

الفننه ووقعه الجمل

روايه
سيف بن عمر الضبي الأسدي
المتوفى سنة

جمع وتصنيف
أحمد راتب غرموش

دار الفخاش

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى : ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م

الطبعة الخامسة : ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

© دار النفائس

بَيرُوت: صَبَّ ١١/٦٣٤٧ - هَاتِفُ ٨١٠١٩٤ - بَرَقِيَا: دَانْفَايَسْكَو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

ليس هذا كتاباً جديداً ، يضاف إلى الكتب الكثيرة التي تناولت موضوع مقتل ثالث الخلفاء الراشدين (عثمان بن عفان) رضي الله عنه ، وما تلاه من أحداث جسام . إنما هو كتاب قديم^(١) اعتمده الطبري وأضرابه لتأريخ حوادث صدر الإسلام ، شاءت الظروف أن تفقد مخطوطاته ، ولا يتوفر أصله ، فرأيت أن أجمعه من كتب التاريخ المختلفة ، ليكون في متناول جميع المهتمين بموضوعه . ونظراً لأهمية البحث ، لا بد من مقدمة جهدت أن أجمل فيها الآراء التي تبين لي صوابها من مختلف الدراسات والكتب التي تمكنت من الاطلاع عليها .

وس يظهر جلياً من خلال هذا الكتاب أن دفاع الصحابة عن الشرعية واستعدادهم للموت في سبيل ما يؤمنون به ويعتقدون صوابه ، هو السبب الرئيسي الذي جعلهم يجودون بأرواحهم في قتالهم فيما بينهم تماماً كما جادوا بها في قتالهم لأعدائهم . وهكذا فقد كانت النتائج باهرة عندما كانت قواهم موجهة ضد الأعداء ، ومحزنة عندما استشرت الخلافات بينهم ووجهت قواهم إلى قتال بعضهم بعضاً .

وليس عجباً أن يكون تاريخ المسلمين كغيرهم من الأمم ذوات الحضارة والأبجاد مليئاً بالصفحات المشرقات . ومن الطبيعي أيضاً ، أن لا يخلو ذلك

(١) من كتبه : « الجمل » و « الفتوح الكبير » و « الردة » ، وكلها مفقودة ، لذلك لا نستطيع أن نجزم بأن هذا الكتاب سيكون كتاباً معيناً كاملاً من كتب سيف . إنما هو رواية كاملة متسلسلة لمقتل عثمان ووقعة الجمل .

التاريخ من صفحات أخرى تعلوها الظلال . وربما كان حادث مقتل (عثمان) الذي اصطلح على تسميته بـ « الفتنة » و « وقعة الجمل » أقم تلك الصفحات . لم لا ؟ وما لا خلاف فيه ، أن هذا الحدث المروع كان نقطة تحول في تاريخ المسلمين ، بل كان بداية الانهيار ، لم تظهر آثاره مباشرة بحكم الاستمرار بتلك الدفعة القوية التي ولدها عهد صدر الإسلام السابق لذلك التاريخ .

بدأ الخلاف سياسياً وانتهى مذهبياً عقائدياً ، فانقسمت الأمة ، وما زالت ، إلى مذاهب شتى بأسها بينها شديد ، تتبادل الطعون حتى التكفير ولا تتورع عن الاقتتال حتى الموت .

ومما يزيد تعقيد تلك القضية ، أن جميع الناس ، بمن فيهم المؤرخين والعلماء ، لم يستطيعوا أن يميزوا بحقائق ما حصل وأسباب ما حدث . فالروايات كثيرة وكلها متضاربة ، والرواة ليسوا بالمستوى المطلوب إذا ما وضعوا على مشرحة أهل (الجرح والتعديل) ، لنأخذ رواياتهم كما نأخذ الحديث الصحيح .

لقد كانت الفتنة فرصة أحسن استغلها أعداء الإسلام ليشنعوا على الإسلام وينالوا من رواه الذين حملوا لواءه ، ومسؤولية نشره مضحين بأرواحهم قبل أموالهم . كذلك وجد فيها « المذهبيون المتعصبون » معيناً لا ينضب لاختلاق الروايات والأقاويل للنيل من صحابي على حساب آخر .

وكثيراً ما كنت أتساءل وأنا أبحث تفاصيل تلك الروايات المختلفة : أصحيح أن الصحابة كانوا على تلك الدرجة من السوء التي تصورها بعض تلك الروايات ؟ وإذا صح ذلك ، فكيف استطاعوا أن يبنوا ذلك التاريخ الذي شهد بمجده جميع المنصفين من مختلف الأمم والأجناس ؟

هنا لا بد لي من التنويه برأي المرحوم الدكتور « يوسف العش » الذي لفت نظري لأول مرة في محاضراته التي كان يلقيها في جامعة دمشق ، إلى أن معظم

الروايات حول هذه النقطة بالذات يجب أن تؤخذ بكثير من الحذر والتمحيص.
وكان مما قاله في هذا الموضوع :

« إنا نجد معظم أخبار الفتنة ترد عن طريق (الواقدي) وترد بعض الأخبار عن طريق (محمد بن اسحاق) . والواقدي تعرض له (أهل الجرح والتعديل) ، فقال زكريا بن يحيى الساجي في المجلد التاسع (ص ٣٦٣) من تهذيب التهذيب : « الواقدي متهم » ، وقال البخاري : « الواقدي متروك الحديث » ، وقال معمر : « ليس بثقة » ، وقال النسائي : « في الضعفاء الكذابين المعروفين بالكذب عن رسول الله ﷺ أربعة » ، وذكر الواقدي في أولهم . وقال ابن راهويه : « هو عندي ممن يضع » . وقال الشافعي : « كان بالمدينة سبعة رجال يضعون الأسانيد أحدهم الواقدي » . . . والتاريخ يجب أن لا يؤخذ عن كذاب » .

— أضيف :

ومن يكذب عن رسول الله ﷺ فمن باب أولى أن يكذب عن غيره ، طالما أن عقاب جريمة الكذب عن رسول الله ﷺ كما ورد في الحديث الشريف : « من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار » ^(١) .

« أما محمد بن اسحاق ، فالمحدثون لا يتهمونهم بالكذب ، إنما يتهمونهم بالتدليس والارسال ، فهو يسقط من بعض الأخبار رجالاً متهمين بالكذب والوضع ، فالأخبار التي أوردها عن الفتنة يجب أن لا يؤخذ بها إلا إذا كانت تامة السند ، وهي غير تامة . وورد في الفتنة خبر عن ابن سميع أجمع المحدثون على أنه منكر . وهكذا تستبعد الأخبار التي وردت عن هذه الطرق ، وتبقى لدينا رواية شبه

(١) البخاري — كتاب العلم .

كاملة للفتنة وردت في الطبري عن شعيب ، عن سيف ، عن أربعة مؤرخين هم : محمد ، وطلحة ، وأبي حارثة ، وأبي عثمان .

أقول : ومما يحتم الأخذ برواية سيف بن عمر أن في متنها ما يرجحها ، فهي الرواية التي يقبلها العقل والمنطق السليم . ولو كان الصحابة كما يصورهم أولئك المؤرخون ، ولو كانت دوافعهم كما يحلو للبعض أن يتخيلوا ، إذن لما كان العرب ولما كان الاسلام ، ولما كانت حضارة ودولة وعقيدة . كيف تصدر تصرفات شاذة — كالتي يصورها بعض أولئك المؤرخين — من رجال رضي الله عنهم ورضوا عنه : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ ^(١) . إن الأعمال الكبيرة لا ينجزها إلا رجال كبار .

لقد كتب تاريخ الفتنة في أوقات صعب على المؤرخين فيها الحياء . فالخوف والتعصب وحدانة البحث العلمي ، كل ذلك سهل الكذب عن الأموات .



للفتنة أسباب كثيرة ، نشأت عن عوامل متعددة ، يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام :

- أ — أسباب أخذها الناس على عثمان وطريقة حكمه .
- ب — أسباب فرضتها ظروف الدولة وطبيعة التحول الاجتماعي في ذلك العصر .
- ج — نشاط الفئات السرية المعادية .

(١) التوبة : ١٠٠ .

وقبل سرد الأمور التي أخذها الثائرون على عثمان لا بد لنا من الإشارة الى أن العرب بطبيعتهم أكثر من غيرهم ميلاً الى التعلق بالأشخاص ، لذلك هم يطلبون من « القائد » أكثر من غيرهم ، بل وربما أكثر مما يستطيع انسان ، بالإضافة الى اندفاعهم أحياناً كثيرة وراء عواطفهم بعيداً عن التعمق بالدراسة وتحكيم العقل . والعواطف تعطي إذا أحسن استثمارها ، ولكن ما أسهل استغلالها أيضاً .. ومن سوء الحظ أن شئت إرادة الله عز وجل أن يكون عثمان خليفة لرجلين لم تعرف البشرية لهما مثيلاً . وبعد أن اعتاد المسلمون على حكم عمر وشخصية عمر ومن قبله أبي بكر .. جاء عثمان .

كان جميع الصحابة يرهبون عمر ويخافونه ، ومع ذلك فقد كان رضي الله عنه يحمل نفسه أكثر مما يحتمل بشر . لما جاع الناس عام الرمادة (١٨ هـ) أقسم ألا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى تنتهي المجاعة ويشبع الناس ... والتزم بذلك حتى انتهى القحط رغم تأثر صحته وانحرافها للدرجة أثارت إشفاق الناس عليه .. وجد خادمه في سوق المدينة ، بعد انفراج الغمة ، عكة سمن وقدر لبن ، فاشترهما وانطلق بهما الى عمر ، وقد رثي لحالته ، وقال له : يا أمير المؤمنين قد أبرّ الله يمينك وعظم أجرك . وقد ورد المدينة عكة سمن وقدر لبن اشتريتها بأربعين . فماذا كان جواب عمر ؟ قال عمر : أغليت بهما ، فتصدق بهما ، فاني أكره أن آكل إسرافاً . وقال عمر : « كيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يمسنني ما مسهم » (١) .

تغير الخليفة ولم يتغير الشعب . فتصرفات عثمان لم تكن كذلك ، في حين أن شخصيته لم تكن في مستوى شخصية عمر من ناحية القوة والرهبة . عمر يقسم أن لا يطعم السمن ما دام الناس جوعاً وعثمان ينخل الدقيق ... يضاف الى ذلك

(١) راجع تاريخ الطبري ، ج ٤ - ٩٨ .

أنه طعن في السن. ومن سنن الحياة أن يضعف المرء مع تقدم سنه، ويكثر حذبه على أهله وأقاربه. فتجمعت الأسباب... وكان أهم ما أخذ الناقون عليه ما يلي:

أ - الأسباب التي أخذها الناس على عثمان وطريقة حكمه :

١ - أنه جمع الناس على مصحف واحد . وقد أجاب رضي الله عنه عن ذلك : القرآن من عند الله ، إنما نهيتكم عن الاختلاف فيه . والحقيقة أن ذلك حسنة من حسناته ، فقد روى الأئمة ^(١) بأجمعهم أن زيد بن ثابت قال : أرسل إليّ أبو بكر رضي الله عنه بعد مقتل أهل اليمامة ، فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر: إن عمر أتانا فقال : إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقرآن القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . وقد تم جمع القرآن في زمن أبي بكر وبقيت المصحف عنده حتى توفاه الله ، ثم عند عمر ، ثم عند ابنته حفصة رضي الله عنها . ولما قدم حذيفة ابن اليمان على عثمان من مناطق القتال في العراق والشام قال لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة كي ترسل له المصحف حيث تم نسخها بواسطة عدد من الصحابة : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن ابن الحارث . فأنسخوها في نسخ أرسل عثمان إلى كل قطر بنسخة منها ، وردَّ المصحف إلى حفصة ، وأمر بإتلاف ما عدا ذلك من الكتابات المتفرقة عند الأشخاص .

(١) ط ٤ - ٣٤٧ .

(٢) العواصم من القواصم - محب الدين الخطيب ص : ٦٦ .

٢ - أنه حمى الحمى (أي حجز أرضاً ومنع الناس من الرعي فيها) . وكان جوابه على ذلك أنه حمى تلك الارض لإبل الصدقة وفعل ذلك قبله عمر ، ولما زادت إبل الصدقة زاد في الحمى .

٣ - أنه أعطى مروان مئة الف ، وفي رواية لم تصح أعطاه خمس افريقيا . والذي صح ^(١) هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبي سرح جزاء جهاده في فتح افريقيا . ولما سخط الناس لذلك واعترضوا بواسطة وفد أرسلوه له أمره برد ذلك ، فردّه .

٤ - أنه ضرب عمار بن ياسر حتى فتق أمعاءه وكذلك ضرب ابن مسعود حتى كسر أضلاعه ، ومنعه العطاء . والذي يبدو أن في الأمر مبالغة . ولكن بما لا شك فيه أنها تعرضا للتعزير ^(٢) لأسباب ترد مختلفة في كتب التاريخ ، وفرض العقوبة حق من حقوق الخليفة .

٥ - أنه نفى أبا ذر الى الربذة ، وذلك أن أبا ذر كان زاهداً وكان يهاجم عمال عثمان بقسوة ويتلو عليهم ﴿ والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ ^(٣) . والحقيقة أنه لم يثبت أن كان النفي غضباً ، أم أن أبا ذر اختار النفي ليعيش عيشة التقشف حسب مبدئه .

٦ - ردّ الحَكَمَ ^(٤) بعد أن نفاه رسول الله ﷺ ، واتخذ من ابنه مروان

(١) العواصم من القواصم - محب الدين الخطيب ص : ١٠٠ .

(٢) التعزير : هو العقاب الذي يفرضه الامام على من يأتي عملاً لم يرد في عقوبته نص ، وهو دون الحد .

(٣) التوبة : ٣٤ .

(٤) الفتنة ، طه حسين ص : ١٨٤ .

مستشاراً ، واستعمل أقرباءه ، وذلك ما كان يخشاه عمر رضي الله عنه فحذره
إن ولي الأمر من تحكيم أقربائه في رقاب الناس .

٧ - أنه قدّم الخطبة في العيد على الصلاة ، وسمح للناس بإخراج زكاتهم
بأنفسهم ، وأتم الصلاة في السفر . وكل ذلك اجتهد يخطيء المرء فيه ويصيب
ولا يؤدي الى فتنة .

٨ - أنه وقف على المنبر في الخطبة على الدرجة التي كان يقف عليها رسول
الله ﷺ . وكان أبو بكر قد انحط عنها درجة وكذلك عمر . والحقيقة أنه لو
كان على كل خليفة أن ينزل درجة لكان على الخليفة السابع أو الثامن عشر مثلاً
أن يخاطب الناس من بر .

٩ - أنه لم يحضر بديراً ، وانهزم يوم أحد ، وغاب عن بيعة الرضوان ، وقد
بيّن ذلك ابن عمر ^(١) فقال : « أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر
له . (وكان معظم الصحابة قد انفضوا عن الرسول في ذلك اليوم ولم يثبت معه
سوى عدد يسير) . وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ
وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ : انت لك أجر رجل ممن شهد بدرأ
وسهمه . وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان
لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب
عثمان الى مكة ، فقال رسول الله ﷺ : بيده اليمنى هذه يد عثمان ، فضرب بها
على يده فقال : هذه لعثمان . »

١٠ - أنه امتنع عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان ^(٢) . وكان

(١) العواصم من القواصم ص : ١٠٤ .

(٢) العواصم من القواصم ، محب الدين الخطيب ، ص : ١٠٦ .

عبيد الله قد رأى الخنجر الذي قتل به والده قبل الحادثة المفجعة مع الهرمزان وهو في وضع مريب مع القاتل (أبي لؤلؤة) . فأدرك أن في الأمر مؤامرة وأن للهرمزان يداً في القتل ، فعمد في ثورة غضبه الى الهرمزان فقتله . وقد اختلف الصحابة في الوضع الشرعي لهذه الحادثة وما يجب على عثمان فعله : أ يقتل عبيد الله بالهرمزان أم يتركه ؟ . ويبدو أن عثمان وجد في ذلك شبهة . وبما أنه ليس للهرمزان ولي ، وعثمان وليه ، كإمام ، فقد عفا عن عبيد الله ودفع دية الهرمزان من جيبه الخاص وأيده في ذلك معظم الصحابة . وربما كان ذلك أسلم وأصح المسالك . وهنا لا بد من وقفة إكبار لأولئك الصحابة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ، الذين رأوا أن يقتل ابن خليفتهم ، العزيز عليهم ، والذي قتل بالأمس غيلة ، بذمي على غير دينهم ، هو الهرمزان .

١١ - أنه اتبع طريقة جديدة في معاقبة الناس فنفى أشخاصاً من الكوفة والبصرة الى الشام ، فأخذ أولئك أينما حلّوا يؤلبون الناس عليه .

١٢ - أنه عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة ، وهو الذي نصحه عمر بتوليته ذلك القطر ، وولى مكانه أحد أقربائه هو (الوليد بن عقبة) . كذلك عزل عمرو بن العاص عن مصر ، وولى مكانه (عبد الله بن كرز) . وتهاون مع عماله حتى أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح ضرب رجلاً من الذين شكوه إلى عثمان حتى قتله (١) .

١٣ - أنه أضع خاتم النبي ﷺ في بئر (اريس) ، وتفصيل ذلك (٢) أن الرسول ﷺ كان قد اتخذ خاتماً نقش عليه اسمه ، وكان يختم به رسائله الرسمية إلى القواد والأمراء والملوك ، ولما توفي ﷺ انتقل الخاتم إلى أبي بكر ثم إلى عمر

(١) أنساب الاشراف ، ص : ١٢٤ .

(٢) الفتنة ، طه حسين ، ص : ٢٠٠ ، وط ٤ - ٢٨٢ .

ثم إلى عثمان ، وكانوا يستعملونه للأغراض نفسها ويتفائلون به . وصادف أن سقط من يد عثمان (سنة ٣٠ هـ) في بئر أريس^(١) وقد حاول المسلمون عبثاً إيجاده ، مما أغاظ عثمان وأدى إلى تشاؤم المسلمين وحنق بعضهم على عثمان ، واعتبارهم إياه متهاوناً في حفظ خاتم رسول الله ﷺ .

هذه الأمور كلها يمكن أن نقول ان عثمان رضي الله عنه سببها ، أو أن الناس أخذوها عليه ، بغض النظر عن وجهة نظر المؤيدين لعثمان أو المعارضين له . لكن تلك الأسباب مجتمعة إنما تشكل جزءاً بسيطاً من مجموع الأسباب ولم تكن لتؤدي إلى الفتنة لولا الأسباب الأخرى التي اجتمعت فأدت إلى ما أدت إليه .

ب - الأسباب التي فرضتها ظروف الدولة وطبيعة التحول الاجتماعي في ذلك العصر :

١ - كان العرب قبل الاسلام قبائل متفرقة ، يدير كل قبيلة رئيس وفق تقاليد عشائرية موروثية ، مواردهم محدودة ، مصدرها ما تدره الماشية ، وما يسلبه بعضهم من بعض ، في غزواتهم وعدوانهم فيما بينهم ، يستثنى من ذلك قریش وبعض القبائل التي أقامت فيما يشبه المدن ، فقد كانت تتعاطى التجارة والزراعة ، لكن لم تكن هناك دولة بمعنى الدولة أو نظام وإدارة . فلما جاء الاسلام انتقل العرب من حال إلى حال . جاء بعقيدة ونظام تتناول جميع أمور الحياة ، من الولادة إلى ما بعد المات . فقد كان العرب أشبه بهادة خام تنتظر لها صناعاً ، وكان الاسلام الصانع المنتظر الذي صنع فأحسن الصنع . وحد العرب في أراضيهم الرحبة وامتد إلى خارجها يرفع راياته خفاقة في الآفاق . وهكذا ولدت في تلك البلاد دولة جديدة ، ولكل دولة مستلزمات . كان عمر - وقبله أبو بكر - كلهما واجه احدهما وضعاً جديداً اجتهد فيه وأحسن

(١) ط ٤ - ٢٨٢ .

الاجتهاد . فذلك أمور من أعمال الدنيا وللناس أن ينظموها حسب الزمان والمكان ، ولا نجد بخصوصها نصوصاً ثابتة في القرآن أو الحديث .

أما في زمان عثمان فقد وجدت حالات أخرى ، وكان على عثمان أن يواجهها ، فاجتهد رأيه ، وأعطى حلولاً ، ولكن حله لم تكن دائماً في المستوى المطلوب .. وذلك لا ينقص من منزلة عثمان الصحابي والرائد من رواد الاسلام الأول ، فهو انسان وكل انسان خطاء .

٢ - اضطر عثمان الى تجنيد الأعراب وهم الذين قال الله عز وجل فيهم : ﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، والله عليم حكيم ﴾ (١) . وقال أيضاً : ﴿ قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ﴾ (٢) . هؤلاء هم الأعراب ، لم يدخل الايمان في قلوبهم ، ذهبوا الى القتال ومعظمهم ينبغي عرض الحياة الدنيا . فشكّلوا بعد فترة طبقة خاصة يمكن تسميتها بلغة العصر بـ (الرعا) . وعندما يكون بيد الرعا سلاح يسهل على المستغلين توجيههم في طريق الفتنة . وما أسوأ السلاح بأيدي تضعه في غير مكانه .

٣ - توقفت الفتوحات في أواخر عهد عثمان أمام حواجز طبيعية لم تتجاوزها من بحار وجبال ، ان كان ذلك في جهات فارس وشمال بلاد الشام أم في افريقيا . وبتوقف الجيوش انقطعت الغنائم ، وبقي الجنود بدون عمل . ولنتصور جيشاً جاهلاً يمضي نصف يومه في الطعام والنوم وقضاء الحاجات ، والنصف الثاني بالخوض في سياسة الدولة والحديث عن تصرفات عثمان التي كانت تهولها عصابة سرية تعمل لهدم الاسلام من داخله - كما سنبين - وكيف أن الأراضي التي قاموا

(١) سورة التوبة ، الآية : ٩٧ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ١٤ .

هم بفتحها والتي يعتبرونها حقاً من حقوقهم تذهب الى بيت المال ويوزعها عثمان على من يريد. تجاه هذه الأوضاع وجدت الادارة العليا نفسها عاجزة عن استيعاب الوضع الطارئ ، بل يمكننا القول أنها عجزت عن إدراكه وتقويمه .

٤ - رافق نشوء طبقة (الرعاى) بن فيها من أعراب وعبيد محررين وموالي ، نشوء طبقة من الأغنياء أصحاب الملايين تركزت الثروات في أيديهم ، وأصبح المال دولة بينهم ، وبدأ شيء من حياة الرفاه .. ويبدو أن من طبيعة الحياة أن يرافق الفنى البطر وفساد الأخلاق ، إلا ما ندر . ولم يكن على رأس الدولة الرسول ﷺ ولا أبو بكر أو عمر ، فتفاقم الأمر لدرجة أن أولاد الأغنياء هؤلاء بدؤوا نوعاً من حياة الفجور . وهنا ثارت ثائرة عثمان الرجل التقى والخليفة الراشد ، وكانت اجراءاته قاسية -- كما يجب أن تكون -- فانضم اولئك المستهترون الى صف اللناقين من الرعاى وغيرهم .

ولم يكن نشوء هذه (الطبقة) ليوذى الى النعمة التي ظهرت لو كان المجتمع جاهلياً ، أما وأنه مجتمع اسلامى ، والفرد فيه في بدء تحرر عقلى شخصى واجتماعى ، فقد تأزم الموقف وأخذت فكرة المساواة طريقها الى الوجود ، كذلك من طرف آخر ، فقد استيقظ شيء من العصبية كان لا يزال غافياً في اللاشعور .. فلم يجد الناقمون غضاضة في حمل السلاح .

ج - نشاط الفئات السرية المعادية :

في كتب التاريخ روايات مختلفة عن نشاط سري لأفراد وجماعات أظهروا الاسلام وأخفوا دياناتهم القديمة ، بغية العمل في صفوف المسلمين على تحطيم الدولة الاسلامية وإفساد المجتمع الاسلامى ، ببث العقائد الفاسدة ونشر الفتنة ، بدوافع دينية وعرقية ، بعدما عجزت تلك القوى عن مجابهة المسلمين في العلن ، كما عجزت شعوبها عن مواجهتهم في ميادين القتال .

وعبد الله بن سبأ ، الملقب بابن السوداء ، وهو يهودي من صنعاء أظهر إسلامه في زمن عثمان بن عفان ، اشتهر أكثر من غيره لأنه أسلم متأخراً ، وبدأ نشاطه مباشرة في العراق والشام ومصر ، وظهر مع الثوار يرسم خططاً ويدلي بآراء هدامة ذكرها معظم المؤرخين في كتبهم .

وقد اختلف الباحث والمؤرخون ، الأقدمون منهم والمعاصرون ، في دوره وأثره اختلافاً كبيراً ، فمنهم من جعله المحرك الرئيسي للفتنة وصوّره رجلاً رهيباً على درجة كبيرة من الحنكة والذكاء ^(١) ، ومنهم من شك أو أنكر حتى وجوده ^(٢) .

في نظرنا لا يهم من هو عبد الله بن سبأ ومتى أسلم ، وأين وكيف بدأ نشاطه . المهم أنه وجد شخص ، بل عدة أشخاص ، لا تهمننا أسمائهم بمقدار ما تهمننا الدور الذي لعبوه ، كانوا يعملون ضمن مخطط واحد مدروس ، لتهديم الدولة الإسلامية من داخلها ، وضرب المسلمين في صميم معتقداتهم ... وإذا كان ذلك مما لا يحوز التحويل من شأنه ، فكذلك لا تجوز الاستهانة بالدور الذي لعبوه . وسيظهر جلياً من خلال هذا الكتاب أن أولئك نفر قد لعبوا دوراً مهماً ، كانت توجههم فيه إدارة حسنة ، وفقاً لخطة تشبه ما يسمى « بالحرب النفسية » في العصر الحديث ، وذلك ببث الاشاعات وإرسال الرسائل المزورة عن لسان علي وعائشة وطلحة والزبير إلى الأمصار ، هذا بالإضافة إلى حملهم السلاح فعلاً وتنظيمهم لحوادث الاغتيال على أعلى المستويات . ويبدو من مراجعة تاريخ صدر الاسلام أن نشاطهم بدأ قبل الفتنة بزمان بعيد ، وما قتل الخليفة عمر بن الخطاب سوى عمل مدبّر من تصميم وتنفيذ تلك القوى الحاقدة .

(١) الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه « عائشة والسياسة » .

(٢) طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى - أحمد لؤي ساني في مكتبته « نظرات جديدة في تاريخ الأدب » مع أنه ركز كثيراً على دور اليهود ونشاطهم السري الخرب في المجتمع الاسلامي .

وفي ظروف مهيأة كالتي وصفناها يمكن بسهولة لعدة أشخاص يعملون بقيادة واحدة وفق مخطط مدروس أن يلهبوا نار الفتنة ، ويلعبوا بعواطف الرعاع ، بل حتى العقلاء والفضلاء ، وهذا ما حصل فعلاً كما سنرى .



كان من نتيجة كل ما أوردناه من أسباب ، أن خرج من أهل مصر ما بين ٦٠٠ الى ١٠٠٠^(١) شخص متجهين الى المدينة ، ولم يحترثوا أن يعلموا الناس بخروجهم الى الحرب ، وإنما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء . وخرج من أهل الكوفة عدد كعدد أهل مصر ، ومثلهم من أهل البصرة . ولما وصل الخبر الى أهل المدينة استعدوا لقتالهم ، فاتصل أهل البصرة بطلحة ، وأهل مصر بعلي ، وأهل الكوفة بالزبير ، فلاقوا صدوداً ورداً واحداً . عندها تظاهروا بالعودة ورجعوا الى عساكرهم على بُعد ثلاث مراحل ، حتى اذا تفرّق أهل المدينة فجؤوها واحتلوها ، واخترعوا الأسباب لعودتهم ، كما سيرد في الكتاب ... وحاصروا عثمان في داره مدة اختلف المؤرخون في مقدارها ، وهي في رواية سيف أربعين ليلة^(٢) ، كان عثمان خلال ثلاثين يوماً قبلها يصلي بالناس بمن فيهم الثوار أنفسهم ، ولكن لما علموا بقرب وصول جيش معاوية لنجدته منعه الخروج والماء والطعام آمليّن أن يترك الخلافة . وعندما يئسوا من ذلك قتلوه . أما كيف استطاعوا قتله في المدينة وفيها علي وطلحة والزبير رضوان الله عليهم وعدد لا بأس به من الصحابة . هنا يعسر الجزم بتحليل ، ولكن الذي يظهر من تتبع النصوص هو ما يلي :

١ - أغلب الظن أنه لم يتوارد الى ذهن أحد من الصحابة أن الأمر سيصل الى حد قتل الخليفة . لقد كان ذلك في نظر الناس ، حتى الثائرين على عثمان ، أمراً جليلاً لا يخطر ببال . إن تمسك المسلمين بالشرعية بلغ في ذلك الزمن حداً

(١) ط ٤ - ٣٤٨ .

(٢) ط ٤ - ٣٥٤ .

لم تبلغه دولة قديمة ولا حديثة . وأعتقد أن كثيرين من الذين نقموا على علي فيما بعد ، إنما كانت دوافعهم الدفاع عن الشرعية . فقد أدرك الصحابة بنقضاء حدسهم وصفاء إخلاصهم أن التجرؤ على مركز أمير المؤمنين ، والتغاضي عن أية فنة تقتل الخليفة أو تحاول خلعه بالقوة ، يشكل ضربة قاتلة لمفهوم الخلافة ، ويفتح الباب على مصراعيه أمام سلسلة لامتناهية من التآمر والاقتتال في سبيل الوصول الى مركز السلطة .

إن الخليفة في نظر الاسلام رجل يختاره المسلمون بملاء إرادتهم ليتولى قيادتهم وتسيير امورهم ، وأي تعدد عليه تعدد على جميع المسلمين ، واستهانة بإرادتهم ، ولا يجوز خلعه شرعاً إلا في حالات معينة حددها الشرع الاسلامي ، مما لا مجال للإطالة في شرحه في مقدمة كتاب تاريخي . كما أن الاسلام واضح في تكريمه للإنسان وحرصه الشديد على المحافظة على حياته ، حيث جعل جريمة قتل الانسان أكبر جريمة يمكن أن يرتكبها امرؤ على الإطلاق : ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾^(١) . تلك نظرة الاسلام الى قتل الانسان . فكيف يُقتل الخليفة ويتهاون المسلمون في إقامة حدود الله على القاتلين ؟

لقد اعتبر الصحابة تلك الجريمة أبشع مما تستطيع أن تصوّره الأقلام ، واعتقدوا أن أي تهاون في إقامة الحدود على القاتلين تهاون بشرع الله وتحطيم للدين .

ولم يكن الإمام علي يخالف هذه النظرة ، فقد كان أشد الصحابة حرصاً على إقامة الحدود ، يؤيد رأينا أنه كان أكثر المتحمسين لإقامة الحد على عبيد الله ابن عمر لقتله الهرمزان . ولكن ظروفًا خارجة عن إرادته منعتة في هذه الحالة من الإسراع في قصاص قتلة عثمان ، ولم يترك ذلك إلا بعد أن قُتلوا جميعهم في المعارك .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٢ .

وقد أثبتت الأيام التالية صدق حدس الصحابة الذين دافعوا عن الشرعية ، فقد فتح منذ ذلك اليوم باب لم يغلق من حوادث الاعتداء على مركز الخليفة حتى غدا المنصب في يوم من الأيام لعبة بأيدي الأقوى من قادة الجيش .

وكان يزيد في اطمئنان الصحابة ، وعثمان نفسه ، أن المحاصرين سمحوا لعثمان أن يصلي بالناس ، وكانوا يصلون خلفه .

٢ - وعلى كل حال فقد منع عثمان الصحابة من القتال دفاعاً عنه . رفض الهرب ، ورفض القتال ، ورفض ترك الخلافة . فأصبح وضع الصحابة حرجاً . وقد يتبادر الى ذهن بعض الناس أنه كان يجب على الصحابة أن يقاتلوا من تلقاء أنفسهم ، وهذا الخطأ عينه ، ولو حصل ذلك لكان موقفاً غير صحيح لا يقول به إلا من لا يقدرون الشرعية حق قدرها ولا يحلّونها المكان الذي كانت تحتله في نفوس المسلمين ، فلا تجوز مخالفة أوامر الخليفة ولا بشكل من الأشكال . ان في موقف الصحابة أقصى غايات الانضباط ، وذلك الانضباط جزء من العقيدة التي بها فتح المسلمون العالم .

٣ - يبدو أن عثمان أراد أن يحقن الدماء ، خاصة أنه لاحظ أن عدد الثوار وقواهم أكبر من أهل المدينة . صحيح أن عددهم لم يكن يتجاوز الألفين . ولكن على ما يبدو أنه لم يكن في المدينة يومها نصف ذلك العدد من المقاتلين ، لذهاب معظمهم الى الفتح والثغور والحج . ولذلك استنجد عثمان بالأمصار اعتقاداً منه ، على ما يبدو ، أن وصول الجيوش الكبيرة سيضطر الثوار الى الاستسلام ، ولن يكون قتال ، ولن تراق دماء ، لأنه كان حريصاً على أن لا تراق محبنة دم مسلم من أجله .

٤ - حال اتساع رقعة الدولة دون وصول النجيدات في الوقت المناسب ، ولما وصلت كان كل شيء قد انتهى ..

٥ - ومع ذلك فقد ترك الصحابة أولادهم على باب عثمان إظهاراً لاستنكارهم الحصار، وترهيباً للشوار، عسى أن يرتدعوا عندما لا يجدون صحابياً مؤيداً لهم.

٦ - إذن فقد حال عثمان دون القتال ، وكأني به في أول الأمر مطمئناً الى أنهم لن يحترقوا عليه . ثم لما أيقن أنهم قاتلوه فكأني به قد أحب الشهادة ، خاصة أن روايات متعددة تقول ، إنه حلم يوم مقتله أنه سيفطر مع الرسول ﷺ فقد جاء في إحدى تلك الروايات^(١) ثم قال (عن لسان رسول الله ﷺ) : « أما أن القوم سينكرون عليك ، فإن قاتلتهم ظفرت ، وإن تركتهم أفطرت عندنا » .

وقد كان لعثمان ، كما يبدو ، مفهوم خاص للخلافة . فهو لم يفهمها تكليفاً من المسلمين ، إنما فهمها أمراً ألبسه الله إياه . لذلك كان يردد : « ما كنت لأخلع قميصاً قمصنيه الله عز وجل » .

« لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أنزع سربالاً سربلنيه الله عز وجل »^(٢) .

من كل ذلك يتبين أن مواقف الصحابة لا غبار عليها . فقد بقوا لآخر لحظة خاضعين لأوامر الخليفة ، المصدر الشرعي للسلطة .

والخليفة قاد المعركة بالطريقة التي ارتأى فيها خيراً . اجتهد فأخطأ ، أو أصاب ، لا يهم . المهم أن المواقف لم يدخلها سوء نية كما يحلو للبعض أن يدعي ، ممن يجعلون صحابياً متواطئاً وآخر محرصاً . لا شك أن بعض الصحابة استاء من مواقف عثمان المخرجة ، وبعضهم أراد أن يتنازل عن الخلافة وبعضهم رغب

(١) البداية والنهاية ، ٧ - ١٨٣ .

(٢) طه حسين ، الفتنة الكبرى ص : ١٩١ .

إليه أن يقاتل ، ولكن تصرفاتهم لم تتأثر برغباتهم . طلب منهم عدم القتال فلم يقاتلوا ، ولو طلب إليهم القتال ربما كانوا استشهدوا جميعاً دونه .



قتل عثمان وبقيت الدولة بدون خليفة عدة أيام . أحجم كل من اتصل به الثوار عن قبول القيام بالأمر ، وأصبح أمر المدينة بأيدي الرعاع ، فكان لا بد لأحد من التضحية والقبول باستلام الأمر . وكان البطل ، وكان الضحية ، علي كرم الله وجهه .

إن سيرة علي وشخصيته تجعلنا نجزم بأنه كان يقدر مسبقاً المصاعب التي تنتظره والموقف الخطر الذي سيواجهه . ولكنه فهم الحكم على أنه مسؤولية وتضحية ، فتقدم... وبايعه الجميع باستثناء نفر بسيط . ولكنه واجه منذ اليوم الأول مشكلة صعب حلها ، بل لم يكن بيده أو بيد غيره حلها ، وهي مشكلة قتلة الخليفة السابق عثمان بن عفان رضي الله عنه . فقد اختلفت وجهات نظر الصحابة في الموضوع فكان لا بد من الخلاف ، ولكن كيف أدى الخلاف في وجهات النظر إلى القتال ؟

يجب ألا يفوتنا هنا الإشارة إلى أمر قد لا ندركه نحن ولا نقدره حق قدره في عصرنا الحاضر ، لاختلافنا عن ذلك الطراز من الرجال . لقد كان المسلمون الأولون على استعداد للموت دفاعاً عما يؤمنون به ، وربما كانت تلك ميزتهم الكبرى التي فتحوها بها الأقطار وسادوا العالم .

لذلك كان خلافهم عنيفاً ، فكل واحد منهم يؤمن بأنه على حق ، وكلهم على استعداد للوجود بأرواحهم لاعلاء كلمة الحق . ولا شك أن الذين كانوا يقيسون الأمور بمقياس الفائدة لا نكاد نجد لهم أثراً ، ولمن يشك في ذلك أن يتبصر بقصة استشهاد عمار بن ياسر رضي الله عنه التي سترد مفصلة خلال الكتاب ، فما هي الفوائد التي كان سيجنسها عمار ، ابن التسعين ، لو ربح علي ؟ .

إذن كان السبب الأول في وقعة الجمل الخلاف بالرأي في موضوع قصاص قتلة عثمان . دخل طلحة والزبير مع عدد من الصحابة على علي فقالوا (١) : « يا علي ، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود ، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل ، وأحلوا بأنفسهم . فقال لهم : يا اخوتاه ، إني لست أجهل ما تعلمون ، ولكنني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ، ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت اليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون ؟ قالوا : لا ، قال : فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله . »

لقد كان موقف علي في غاية الوضوح ، كان راعياً في إقامة الحدود وإنزال القصاص بمن يستحقه . وربما كان يخطط بينه وبين نفسه لذلك . ولكن بعض زملائه من الصحابة أصروا على التدخل في الامر ، فهم حريصون على تطبيق ما أمر الله به ، لكنهم ، على ما يبدو ، قد أسرفوا في ذلك ، ومن هو في موضع المسؤولية يرى الامور بمنظار غير الذي يراها به الآخرون . فتحتم وقوع الخلاف .

وأراد طلحة والزبير أن يؤكدا عدم رضاهاما بإجراء فعلي . فاستأذنا علياً وتوجها الى مكة المكرمة لأداء العمرة . وفي مكة المكرمة قررا ومعها عائشة وكل من لاذ بمكة من أنصار عثمان التوجه الى البصرة ، والامتناع هناك ، ولما علم بذلك علي ، الذي كان يعد جيشه للتوجه الى بلاد الشام ، تحول اليهم .

التقى الفريقان وهما ضمناً أقرب الى التفاهم منها الى القتال .

ولم يكن الخلاف ليؤدي إلى التصادم لولا أنه كان للشوار مصلحة في إسعار النار وتعميق الشقة ، لأن أي تفاهم سيعني إنزال العقاب بهم . وكانوا على ثقة من

(١) الطبري ٤ - ٤٣٧ .

ذلك ، فعلي كثرَّم الله وجهه لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا يبالي في مرضاة الله إذا سخط البشر كلهم أم رضوا .

وهنا لعب ابن السوداء أهم أدواره ، ففي ظروف كتلك الظروف لا وقت عند الناس للتروي والتفكير وتقليب الأمور ، ويسهل تصديق الاشاعات وتحميس المختلفين . وهكذا وجد اليهودي ، مدعي الاسلام ، مجالاً رحباً لعمله ، وأستطيع أن أجزم بأنه كان يساعده في ذلك كثيرون . وكلما أشرف المختلفون على التفاهم والمصالحة ، وجد اولئك سبيلاً لإعادة الأمور أسوأ مما كانت عليه ، يساعدهم في ذلك خوف كل من ثار مع قتلة عثمان من القصاص .

وحصلت المعركة .. واستمات الطرفان ، ووقع القتلى بالمئات والآلاف ، وكان منهم طلحة والزبير ، وانتصر علي ، لكنه كان حزيناً مع ذلك الانتصار ، بل كان أكثر الناس حزناً بين المنتصرين ، كما كانت عائشة رضي الله عنها أكثر الناس حزناً بين المهزمين . كان علي يقول :

« والله لوددت أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة » .

وكانت عائشة تقول :

« والله لوددت أني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة » ^(١) .

الكلام نفسه يصدر عن المنتصر وعن المهزم . فقد حرص الطرفان على حقن الدماء لكن أمر الله كان قضاء مقضياً .

لقد زاد عدد ضحايا وقعة الجمل عن خمسة عشر ألف قتيل ، وكانت بداية حرب أهلية قضت تقريباً على جميع الباقيين من الصحابة الصالحين . ومع مرور

(١) ط ٤ - ٥٣٧ .

الزمن تطور الخلاف السياسي الى خلاف مذهبي ، وتغيرت مفاهيم المسلمين ، وانقرض من الوجود ذلك الضمير الذي خلق المعجزات .

في حروب الجمل تعرض ضمير كل مسلم الى صراع مرير ، واختلط الامر على الناس ، فمنهم من لزم جانب الحياء ، وهؤلاء كانوا أكثر الناس راحة ضمير ، ومنهم من وقف مع الامام الشرعي علي كرم الله وجهه ، وهؤلاء وإن كانوا أقرب إلى الصواب فسرعان ما انتشر الخلاف في صفوفهم ، ومنهم من وقف إلى جانب عائشة وطلحة والزبير ، وهؤلاء كانوا حتى في قياداتهم أكثر الفرقاء تعرضاً لعذاب الضمير وتأرجحاً في موقفهم ، ولعل موقف الزبير ، الذي سيرد مفصلاً فيما بعد ، أبرز مثال على صدق هذا الرأي .

ويجب أن لا يفوتنا هنا، أن الخلاف اقتصر على طريقة تطبيق الشرع ولم يتطرق إلى كنه الشريعة، بل لم يجرؤ أحد من الفريقين على تكفير الفريق الآخر ، ورجا كل منها الجنة لقتلاه ولمن نقسى قلبه من قتلى الفريق الآخر .

لكن تلك الضائرات الحية ذهبت بذهاب أصحابها ، وحوّل الحفدة الخلافات السياسية إلى مذاهب عقائدية فغدا الدين أدياناً ، ولم نعد نلمس ذلك الصراع في الضائرات بعد ذهاب تلك الطبقة من المسلمين ، ولم تمض سنوات قليلة حتى تناول التغيير أهم جانب من جوانب الحياة ، هو مفهوم الحكم في الاسلام ، بعدما كان على ذلك الطراز الرائع الذي لم تعرف البشرية له مثيلاً إلا أيامهم هم ، الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم أجمعين .

أحمد راتب عرموش

ترجمة سيف بن عمر^(١)

هو سيف بن عمر الضبي الأسدي (أو الأسدي) ، ويقال التميمي البُرجمي ، ويقال السَّعدي الكوفي ، كوفي الأصل ، اشتهر وتوفي في بغداد في خلافة الرشيد سنة ٢٠٠ هـ ويقال سنة ١٨٠ هـ .

جاء في ميزان الاعتدال في ترجمته :

« كان اخبارياً عارفاً ، روى عنه جبارة بن المغلس ، وأبو معمر القطيعي ، والنضر بن حماد العتكي ، وجماعة » .

وجاء في تقريب التهذيب :

« سيف بن عمر التميمي ، صاحب كتاب الردة . ويقال له الضبي ، ويقال غير ذلك ، الكوفي . ضعيف في الحديث ، عمدة في التاريخ » .

له عدة كتب ذكر منها ابن حجر : « الفتوح الكبير » ، « الردة » ، « المجمل وسير عائشة وعلي » .

ويبدو من مراجعة كتب التراجم ، أن سيفاً لم يكن من رواة الحديث المعتمدين ، لكن يجمع واضعوها على أنه عمدة في التاريخ وأنه كان إخبارياً عارفاً . وقد اعتمد عليه الطبري كثيراً في تأريخ حوادث صدر الاسلام .

(١) مصادر هذه الترجمة : تقريب التهذيب ، ميزان الاعتدال ، هداية العارفين ، الفهرست ، الذيل الاول لبروكلمان ، الاعلام .

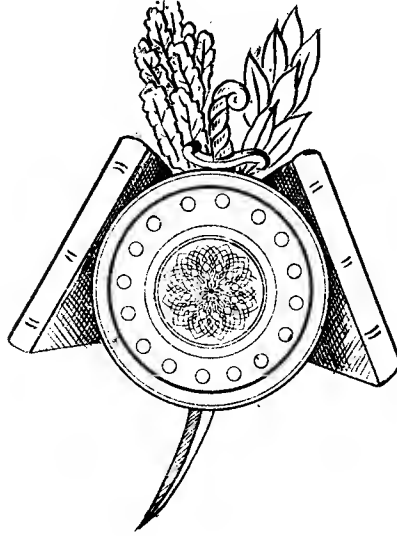
وقد وجه الباحثون مثل ولهوزن Wellhausen وكايتاني Caetani عنايتهم
في درس ما نقله سيف وموازنته بما نقله غيره من ثقات المؤرخين فوجدوه أقل
دقة وإن كان أكثر تفصيلاً .

وقيل إنه يتعصب لقبيلة تميم .

روى له الترمذي « فرد حديث » .

ولم يبق لنا منه إلا ما يقتبسه الطبري .

(أضواء على التاريخ الإسلامي)



حول المصادر وطريقة البحث

أشرت في المقدمة إلى أن عملي في هذا الكتاب ، هو جمع رواية سيف بن عمر عن (مقتل عثمان) و (وقعة الجمل) من كتب التاريخ المختلفة وتبويبها وتصنيفها ، ووضع عناوين لها لتشكل في مجموعها موضوعاً واحداً متكاملًا .

وبعد مطالعة هذين الموضوعين في معظم كتب التاريخ القديمة والحديثة ، تبين لي أن تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) هو أوفاهها موضوعاً وأكملها رواية ، وقد اعترف بمنزلته القدماء والمعاصرون ، ونقل عنه العلماء والباحثون ، فهذا ابن خلدون فيلسوف المؤرخين ينقل عنه حوادث الجمل معللاً اعتماده الكلي عليه بقوله ^(١) : « هذا أمر الجمل ملخصاً من كتاب أبي جعفر الطبري اعتمدناه للوثوق به ، ولسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين » . كذلك فعل الأستاذ سعيد الأفغاني — من الكتاب المعاصرين — عندما وضع كتابه « عائشة والسياسة » حيث يقول في مقدمة الكتاب ^(٢) :

(١) تاريخ ابن خلدون ٢ - ص: ٤٥٢ .

(٢) عائشة والسياسة، ص: ٨ .

« ولا بد من الاشارة إلى أني جعلت أكثر اعتمادي - بعد البحث في المصادر التاريخية - على الطبري خاصة ، فهو أقرب المصادر من الواقع ، وصاحبه أكثر المؤرخين تحريماً وأمانة ، وعليه اعتمد كل من أتى بعده من الثقة ، وليس الكامل لابن الأثير ، إلا تاريخ الطبري منسقاً مختصراً منه الأسانيد واختلاف الروايات » .

وتظهر في تاريخ الطبري رواية سيف بن عمر (للفتنة ووقعة الجمل) كاملة في مقاطع متفرقة ، في صدر كل مقطع سند رواته كاملاً . مما جعلني أنقل تلك المقاطع كلها من تاريخ الطبري^(١) ثم أصنفها حسب تسلسل حوادثها ، وأضع لها عناوين وأبواباً ، حتى إذا انتهت من ذلك ، قابلتها على كتب التاريخ الأخرى ، خاصة كتاب البداية والنهاية لابن كثير ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ، ونهاية الأرب للنوري ، وأنساب الاشراف للبلاذري ، وتاريخ ابن خلدون ، وتاريخ بغداد ، وبعض المصادر الاخرى أقل أهمية ، ولم أعتمد على كتب ابن قتيبة إطلاقاً خاصة أن أهمها وهو « الامامة والسياسة » يشك في نسبه إلى ابن قتيبة .

وبما أن سند كل مقطع يختلف عن سند المقطع الآخر ، فقد ذكرت سند كل مقطع في حاشية الصفحة ، ابتداءً من الشخص الذي روى عنه سيف ، وانتهاءً بالراوي الأول ، حيث أن معظم الروايات نقلها الطبري « كتابة عن السري ، عن شعيب ، عن سيف » ، لذلك حذفت الأشخاص الثلاثة للاختصار وعدم التكرار . أما اذا كان سند الرواية بين الطبري وسيف أشخاصاً آخرين فقد ذكرتهم جميعاً .

وقد أشرت الى المكان الذي يرد فيه كل مقطع في الطبري بذكر الجزء ورقم

(١) الطبعة التي اعتمدها هي من تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر .

الصفحة ، مختصراً كلمتي « تاريخ الطبري » بالحرف « ط » . مثال ذلك :
(ط ٤ - ٣٠٠) يقصد بها : تاريخ الطبري ، الجزء الرابع ، الصفحة ٣٠٠ .

وإذا وجدت أثناء المقابلة على كتب التاريخ الأخرى الفكرة نفسها ترد في عدة كتب ، لم أشر إلى المصادر الأخرى . أما إذا لاحظت اختلافاً في الفكرة أو الرواية ، أو نقصاً ما ، ذكرت النقص أو الاختلاف ، وأشرت في الحاشية إلى اسم المصدر ورقم الصفحة ، باستثناء البداية والنهاية فقد أشرت إليها بالحرف (ب) .

وقد اضطررت في بعض الأحيان لربط الأفكار مع بعضها ، إلى إضافة بعض الكلمات أو الجمل ، فأشرت إلى ذلك بوضع الكلام المضاف بين قوسين مربعين هكذا [] .

وشرحت الكلمات الغريبة بإيجاز ، بحيث يسهل فهم النص مع تفادي كثرة الحواشي .

وبذلك يمكن القول : إن رواية سيف بن عمر عن مقتل عثمان ووقعة الجمل كما كتبها هو ، أصبحت شبه كاملة وغدت في متناول جميع المهتمين بهذا الموضوع .

الفِتْنَةُ
مَقْتُلُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ

نفي المخالفين من أهل الكوفة :

[استعرضنا في مقدمة الكتاب أسباب الفتنة ، وبيننا أن أحد تلك الأسباب نفي عثمان لبعض المخالفين من بلدانهم الى بلدان اخرى . وسنبداً متن الكتاب من حادثة نفي بعض أهل الكوفة الى بلاد الشام سنة ٣٣ هـ . للأسباب التي ستورد مفصلة فيما بعد] (١) .

يقول سيف بن عمر :

كان سعيد بن العاص [والي عثمان على الكوفة] لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام ، وأهل القادسية ، وقراء أهل البصرة (٢) والمتسمتون (٣) ، وكان هؤلاء دخلته اذا خلا ، فأما اذا جلس للناس فإنه يدخل عليه كل أحد . فجلس للناس يوماً ، فدخلوا عليه ، فبينما هم جلوس يتحدثون ، قال خنيس (٤) بن فلان : ما أجود طلحة بن عبيد الله ! فقال سعيد

(١) عن محمد وطلحة ط ٤ - ٣١٧ و ٣١٨ .

(٢) في ابن الاثير « الكوفة » .

(٣) السميت : هيئة أهل الخير (لسان العرب) .

(٤) هو خنيس بن حبيش .

ابن العاص : إن من له مثل النشاستج^(١) لحقيق أن يكون جواداً ، والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشاً رغداً . فقال عبد الرحمن بن خنيس - وهو حدث - : والله لوددت أن هذا اللطاط لك - يعني ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة - قالوا : فضّ الله فاك ! والله لقد هممنا بك ، فقال : خنيس غلام فلا تجازوه^(٢) . فقالوا : يتمنى له سوادنا ! قال : ويتمنى لكم أضعافه ، قالوا : لا يتمنى لنا ولا له ، قال : ما هذا بكم ! قالوا : أنت والله أمرته بها ، فثار إليه الأشر ، وابن ذي الحبكة ، وجندب ، وصعصعة ، وابن الكواء ، وكُمَيْل بن زياد ، وعير بن ضابئ ، فأخذوه ، فذهب أبوه ليمنع منه ، فضربوها حتى غشي عليها ، وجعل سعيد يناشدهم ويأبون ، حتى قضوا منها وطراً . فسمعت بذلك بنو أسد ، فجاءوا وفيهم طليحة ، فأحاطوا بالقصر ، وركبت القبائل ، فعاذوا بسعيد ، وقالوا : أفلتنا وخلصنا .

فخرج سعيد الى الناس فقال : أيها الناس ، قوم تنازعوا وتهاووا ، وقد رزق الله العافية . ثم قعدوا وعادوا في حديثهم ، وتراجعوا ، فساءهم وردّهم ، وأفاق الرجلان ، فقال : أبسكا حياة ؟ قال : قتلنا غاشيتك ، قال : لا يغشوني والله أبداً ، فاحفظا عليّ ألسنتكما ولا تجرّئا عليّ الناس . ففعلا . ولما انقطع رجاء أولئك نفر من ذلك ، قعدوا في بيوتهم ، وأقبلوا على الاذاعة حتى لامه أهل الكوفة في أمرهم ، فقال : هذا أميركم وقد نهاني أن أحرك شيئاً ، فمن أراد منكم أن يحرك شيئاً فليحركه .

فكتب أشرف أهل الكوفة وصلاحهم الى عثمان في إخراجهم ، فكتب : اذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألقوهم بمعاوية . فأخرجوهم ، فذلّوا وانقادوا حتى

(١) النشاستج : ضيعة بالكوفة كانت لطلحة بن عبيد الله التيمي ، وكانت عظيمة الدخل اشتراها من أهل الكوفة المقيمين بالحجاز بما كان له بخير ، وعمرها ، فعظم دخلها (ياقوت ٨ - ٢٨٨) .
(٢) في نسخة : « تحاوروه » . ط ٤ - ٣١٨ .

أَتَوْهُ - وَهُمْ بِضَمَّةٍ عَشْرٌ - فَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَى عَثْمَانَ ، وَكَتَبَ عَثْمَانُ إِلَى مَعَاوِيَةَ :
 إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ أَخْرَجُوا إِلَيْكَ نَفَرًا مُخْلِِقُوا لِلْفِتْنَةِ ، فَرُعْنَهُمْ وَقَمَّ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ
 آتَسْتَ مِنْهُمْ رَشَدًا فاقْبَلْ مِنْهُمْ ، وَإِنْ أَعْيَوُكَ فَارُدَّهُمْ عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا قَدِمُوا
 عَلَى مَعَاوِيَةَ رَحَّبَ بِهِمْ وَأَنْزَلَهُمْ كَنِيسَةً تَسْمَى مَرْيَمَ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ بِأَمْرِ عَثْمَانَ
 مَا كَانَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ بِالْعِرَاقِ ، وَجَعَلَ لَا يَزَالُ يَتَغَدَّى وَيَتَعَشَّى مَعَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ
 يَوْمًا : إِنَّكُمْ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ لَكُمْ أَسْنَانٌ وَالسَّيْنَةُ ، وَقَدْ أَدْرَكْتُمْ بِالْإِسْلَامِ شَرَفًا ،
 وَغَلَبْتُمُ الْأُمَمَ وَحَوَيْتُمْ مَرَاتِبَهُمْ وَمَوَارِيثَهُمْ ، وَقَدْ بَلَغْنِي أَنَّكُمْ نَقَمْتُمْ قَرِيشًا . وَإِنْ
 قَرِيشًا لَوْ لَمْ تَكُنْ عَدْتُمْ أَذْلَةً كَمَا كُنْتُمْ ، إِنْ أَتَمَّكُمْ لَكُمْ إِلَى الْيَوْمِ جُنَّةٌ ^(١) . فَلَا
 تَشِيدُوا عَنْ جُنَّتِكُمْ ، وَإِنْ أَتَمَّكُمْ الْيَوْمَ يَصْبِرُونَ لَكُمْ عَلَى الْجُورِ ، وَيَحْتَمِلُونَ
 مِنْكُمْ الْمَوْؤَنَةَ ، وَاللَّهُ لَتَنْتَهُنَّ أَوْ لَيَبْتَلِيَنَّكُمْ اللَّهُ بِمَنْ يَسُومُكُمْ ، ثُمَّ لَا يَجْعَدُكُمْ عَلَى
 الصَّبْرِ ، ثُمَّ تَكُونُونَ شُرَكَاءَ لَهُمْ فِيمَا جَرَرْتُمْ عَلَى الرِّعْيَةِ فِي حَيَاتِكُمْ وَبَعْدَ مَوْتِكُمْ .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ قَرِيشَ ، فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ أَكْثَرَ الْعَرَبِ
 وَلَا أَمْنَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتَخَوَّفْنَا ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْجُنَّةِ ^(١) فَإِنَّ الْجُنَّةَ إِذَا
 اخْتَرَقَتْ خُلِصَ الْبِنَاءُ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : عَرَفْتُمْ الْآنَ ، عَلِمْتَ أَنَّ الَّذِي أَغْرَاكُمْ عَلَى هَذَا قَوْلِ الْعُقُولِ ،
 وَأَنْتَ خَطِيبُ الْقَوْمِ ، وَلَا أَرَى لَكَ عَقْلًا ، أُعْظِمُ عَلَيْكَ أَمْرَ الْإِسْلَامِ ، وَأَذْكُرُكَ
 بِهِ ، وَتَذْكُرُنِي الْجَاهِلِيَّةَ ! وَقَدْ وَعْظْتُكَ . وَتَزْعُمُ لَمَّا يَخْنُكُ أَنَّهُ يَخْتَرِقُ ، وَلَا
 يَنْسَبُ مَا يَخْتَرِقُ إِلَى الْجُنَّةِ ، أَخْزَى اللَّهُ أَقْوَامًا أَعْظَمُوا أَمْرَكُمْ ، وَرَفَعُوا إِلَى
 خَلِيفَتِكُمْ ! إِفْقَهُوا - وَلَا أَظُنُّكُمْ تَفْقَهُونَ - أَنَّ قَرِيشًا لَمْ تُعْزَ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا
 إِسْلَامٍ إِلَّا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لَمْ تَكُنْ بِأَكْثَرِ الْعَرَبِ وَلَا أَشَدَّهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا
 أَكْرَمَهُمْ أَحْسَابًا ، وَأَحْضَهُمْ أَنْسَابًا ، وَأَعْظَمَهُمْ أَخْطَارًا ، وَأَكْمَلَهُمْ مَرْوَةً ، وَلَمْ

(١) الْجُنَّةُ ، بَضْمُ الْجِيمِ : الْوَقَايَةُ . (أَقْرَبُ الْمَوَارِدِ) .

يَمْتَنِعُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالنَّاسِ بِأَكْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا إِلَّا بِاللَّهِ الَّذِي لَا يُسْتَدَلُّ مِنْ أَعَزَّةٍ ، وَلَا يُوضَعُ مِنْ رَفَعٍ ، فَبِوَأَهْمِ حَرَمًا آمِنًا يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ! هَلْ تَعْرِفُونَ عَرَبًا أَوْ عَجَمًا أَوْ سُودًا أَوْ حَمْرًا إِلَّا قَدْ أَصَابَهُ الدَّهْرُ فِي بِلَدِهِ وَحَرَمَتِهِ بِدَوْلَةٍ ^(١) ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ قَرِيْشٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرُدَّهُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِكَيْدٍ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ خَدَّهُ الْأَسْفَلَ ، حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَسْتَنْقِذَ مِنْ أَكْرَمٍ وَاتَّبَعَ دِينَهُ مِنْ هَوَاتِ الدُّنْيَا وَسُوءِ مُرَدِّ الْآخِرَةِ ، فَارْتَضَى لَذَلِكَ خَيْرَ خَلْقِهِ ، ثُمَّ ارْتَضَى لَهُ أَصْحَابًا ، فَكَانَ خِيَارَهُمْ قَرِيْشًا ، ثُمَّ بَنَى هَذَا الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ ، وَجَعَلَ هَذِهِ الْخِلَافَةَ فِيهِمْ ، وَلَا يَصْلَحُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ اللَّهُ يَحُوطُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ . أَفْتَرَاهُ لَا يَحُوطُهُمْ وَهُمْ عَلَى دِينِهِ وَقَدْ حَاطَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا يَدِينُونَكُمْ ! أَفَ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ ! وَلَوْ أَنَّ مَتَكَلَّمًا غَيْرَكَ تَكَلَّمَ ، وَلَكِنَّكَ ابْتَدَأْتَ . فَأَمَّا أَنْتَ يَا صَعْصَعَةُ فَإِنَّ قَرِيْتَكَ شَرُّ قُرَى عَرَبِيَّةٍ ، أَنْتَنَهَا نَبْتًا ، وَأَعْقَهَا وَادِيًا ، وَأَعْرِفَهَا بِالْشَّرِّ ، وَالْأَمَهَا جِيرَانًا ، لَمْ يَسْكُنْهَا شَرِيفٌ قَطُّ وَلَا وَضِيعٌ إِلَّا سَبَّ بِهَا ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ هُجْنُهُ ، ثُمَّ كَانُوا أَقْبَحَ الْعَرَبِ أَلْقَابًا ، وَالْأَمَهُ أَصْهَارًا ، نَزَاعَ الْأُمَمِ ^(٢) ، وَأَنْتُمْ جِيرَانُ الْخَطَةِ وَفَعَلَةِ فَارَسٍ ، حَتَّى أَصَابَتْكُمْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَكَبَتْكَ دَعْوَتُهُ وَأَنْتَ نَزِيعُ شَطِيرٍ ^(٣) فِي عَمَّانَ . لَمْ تَسْكُنِ الْبَحْرَيْنِ فَتَشْرِكْهُمْ فِي دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَنْتَ شَرُّ قَوْمِكَ ، حَتَّى إِذَا أْبْرَزَكَ الْإِسْلَامَ ، وَخَلَطُكَ بِالنَّاسِ ، وَحَمَلَكَ عَلَى الْأُمَمِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْكَ ، أَقْبَلْتَ تَبْغِي دِينَ اللَّهِ عِوَجًا ، وَتَنَزَعَ إِلَى اللَّامَةِ ^(٤) وَالذَّلَّةَ ، وَلَا يَضَعُ ذَلِكَ قَرِيْشًا ^(٥) ، وَلَنْ

(١) دال الزمان دولة : انقلب من حال الى حال ، وأصابه الدهر بدولة أي غير حاله الى أسوأ .

(٢) نزاع : جمع نازع ، والنزاع والنزيع : الغريب . (أقرب الموارد) .

(٣) الشطير : الغريب . ط ٤ - ٣٢٠

(٤) اللامة : من اللؤم .

(٥) لا يضع ذلك قريشاً : لا يخفض منزلتها .

يضرهم ولن ينعمهم من تأدية ما عليهم ، إن الشيطان عنكم غير غافل ، قد عرفكم بالشر من بين أمتكم ، فأغرى بكم الناس ، وهو صارعكم^(١) . لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء قضاء الله ، ولا أمراً أرادته الله ، ولا تدركون بالشر أمراً أبداً إلا فتح الله عليكم شرأ منه وأخزى .

ثم قام وتركهم ، فتذا مروا ، فتقاصرت إليهم أنفسهم ، فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال : إني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم ، لا والله لا ينفع الله بكم أحداً ولا يضره ، ولا أنتم رجال منفعة ولا مضرة ، ولكنكم رجال نكير . وبعد ، فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم ، وليسعكم ما وسع الدهماء ، ولا يبطنكم الإنعام ، فإن البطر لا يعترى الخيار ، إذهبوا حيث شئتم ، فإني كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم .

فلما خرجوا دعاهم فقال : إني معيد عليكم . إن رسول الله ﷺ كان معصوماً فولاني ، وأدخلني في أمره ، ثم استخلف أبو بكر رضي الله عنه فولاني ، ثم استخلف عمر فولاني ، ثم استخلف عثمان فولاني ، فلم ألِ لأحد منهم ، ولم يولني إلا وهو راضٍ عني . وإنما طلب رسول الله ﷺ للأعمال أهل الجزاء عن المسلمين والغنماء ، ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها . وإن الله ذو سطوات ونقعات^(٢) ، يكره بن مكر به ، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فإن الله غير تارككم حتى يختبركم ويبيد للناس سرائركم ، وقد قال عز وجل : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾^(٣) .

وكتب معاوية إلى عثمان : إنه قدم علي أقوام ليست لهم عقول ولا أديان ،

(١) في نسخة « صاعدكم » ط ٤ - ٣٢٠ .

(٢) نقعات جمع نقعة على وزن كلمة : اسم من الانتقام وهي المكافأة بالعقوبة (أقرب الموارد) .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ١ - ٢ .

أثقلهم الإسلام ، وأضجرهم العدل ، لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلمون بحجة ، إنما همتهم الفتنة وأموال أهل الذمة ، والله مبتليهم ومختبرهم ، ثم فاضحهم ونخزهم ، وليسوا بالذين ينكون ^(١) أحداً إلا مع غيرهم ، فأنه سعيداً ومن قبيله عنهم ، فإنهم ليسوا لأكثر من شغب أو نكير .

وخرج القوم من دمشق فقالوا : لا ترجعوا الى الكوفة ، فإنهم يشمتون بكم وميلوا بنا الى الجزيرة ، ودعوا العراق والشام . فأووا إلى الجزيرة ، وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان معاوية قد ولاه حمص ، وولى عامل الجزيرة حران والرقه - فدعاهم ، فقال : يا آله الشيطان ، لا مرحباً بكم ولا أهلاً ! قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد نشاط ، خسر الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم حتى يحسركم . يا معشر من لا أدري أعرب أم عجم ، لكي لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم تقولون لمعاوية ، أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن من قد عجمته العاجمات ، أنا ابن فاقئ الردة ، والله لئن بلغني يا صعصعة ابن ذل أن أحداً ممن معي دق أنفك ثم أمصك ^(٢) لأطيرن بك طيرة بعيده المهوى . فأقامهم أشهراً كلما ركب أمشاهم ، فإذا مر به [أي صعصعة] قال : يا ابن الحطيئة ^(٣) ، أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر ! ما لك لا تقول كما كان يبلغني أنك تقول لسعيد ومعاوية ! فيقول ويقولون : نتوب الى الله ، أقلنا أقالك الله ! فما زالوا به حتى قال : تاب الله عليكم .

وسرح الأشر إلى عثمان ، وقال لهم : ما شتم ، ان شتم فاخرجوا ، وان شتم فأقيموا . وخرج الأشر ، فأتى عثمان بالتوبة والندم والنزوع عنه وعن أصحابه ، فقال : سلمكم الله . وقدم سعيد بن العاص ، فقال عثمان للأشر :

(١) ينكون : من نكى العدو : قهره .

(٢) أمصك ، أي قال له : مص من (ذكر) أبيك . ط ٤ - ٣٢١

(٣) في نسخة « الحطيئة » .

أحلل حيث شئت ، فقال : مع عبد الرحمن بن خالد ، وذكر من فضله ، فقال :
ذاك اليكم ، فرجع الى عبد الرحمن .

[وفي رواية أخرى ^(١)] :

لما قدم مسيرة أهل الكوفة على معاوية ، أنزلهم داراً ، ثم خلا بهم ، فقال
لهم وقالوا له ، فلما فرغوا ، قال : لم تُؤثِّروا إلا من الحق ، والله ما أرى منطقاً
سديداً ، ولا عذراً مبيناً ، ولا حلاً ولا قوة ، وإنك يا صمصمة لأحقهم ، اصنعوا
وقولوا ما شئتم ما لم تدعوا شيئاً من أمر الله ، فإن كل شيء يحتمل لكم إلا
معصيته ، فأما فيما بيننا وبينكم فأنتم أمراء أنفسكم . فرآهم بعدوهم يشهدون
الصلاة ، ويقفون مع قاص الجماعة ، فدخل عليهم يوماً وبعضهم يقرى بعضاً ،
فقال : إن في هذا خلطاً مما قدمتم به عليّ من النزاع الى أمر الجاهلية ،
إذهبوا حيث شئتم ، واعلموا أنكم إن لزمتم جماعتكم سعدتم بذلك دونهم ،
وإن لم تلتزموها شقيتم بذلك دونهم ، ولم تضرُّوا أحداً ، فجزَّوه خيراً ، وأثنوا
عليه ، فقال : يا ابن الكوِّاء ، أي رجل أنا : قال : بعيد الثرى ، كثير المرعى
طيب البديهة ، بعيد الغور ، الغالب عليك الحلم ، ركن من أركان الاسلام ،
سُدَّتْ بك فرجة مخوفة . قال : فأخبرني عن أهل الإحداث من أهل الأمصار
فإنك أعقل أصحابك . قال : كاتبهم وكاتبوني ، وأنكروني وعرفتهم ، فأما
أهل الإحداث من أهل المدينة فهم أحرص الأمة على الشر ، وأعجزه عنه ،
وأما أهل الاحداث من أهل الكوفة فإنهم أنظر الناس في صغير ، وأركبه
لكبير ، وأما أهل الاحداث من أهل البصرة فإنهم يَرِدُونَ جميعاً ، ويصدُّرون
شئى ، وأما أهل الإحداث من أهل مصر فهم أوفى الناس بشر ، وأسرع
ندامة ، وأما أهل الإحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدهم ،
وأعصاه لمغويهم .

(١) عن أبي حارثة وأبي عثمان ، ط ٤ - ٣٢٨ و ٣٢٩ .

نفي المشاغبين من أهل البصرة الى الشام :

لما مضى ^(١) من إمارة ابن عامر [والي عثمان على البصرة] ثلاث سنين بلغه أن في عبد القيس رجلاً نازلاً على 'حَكِيم بن جَبَلَة' ، وكان حَكِيم بن جبلة رجلاً لصاً ، إذا قفل الجيوش خَنَسَ عنهم ، فسعى في أرض فارس ، فيُغِير على أهل الذمة ، ويتنكر لهم ، ويفسد في الأرض ، ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبيلة إلى عثمان ، فكتب إلى عبد الله بن عامر : أن أحبسه ، ومن كان مثله لا يخرج من البصرة حتى تأمنوا منه رُشداً ، فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرج منها . فلما قدم ابن السوداء ^(٢) نزل عليه ، واجتمع إليه نفر فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرح ، فقبلوا منه ، واستعظموه ، وأرسل اليه ابن عامر ، فسأله : ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب ، يرغب في الإسلام ، ورغب في جوارك ، فقال : ما يبلغني ذلك ، اخرج عني ، فخرج حتى أتى الكوفة ، فأخرج منها ، فاستقر بمصر وجعل يكتبهم ويكتبونه ، ويختلف الرجال بينهم .

[ثم] إن 'حمران' ^(٣) بن أبان تزوج امرأة في عدتها ، فنكل به عثمان ، وفرق بينها ، وسيره إلى البصرة ، فلزم ابن عامر ، فتذاكروا يوماً الركوب والمرور بعامر بن عبد قيس - وكان منقبضاً عن الناس - فقال 'حمران' : ألا أسبقكم فأخبره ! فخرج ، فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف ، فقال : الأمير أراد أن يربك ، فأحببت أن أخبرك ، فلم يقطع قراءته ولم يقبل عليه ، فقام

(١) عن عطية ، عن يزيد الفقعسي ط ٤ - ٣٢٦ و ٣٢٧ .

(٢) هو عبد الله بن سبأ الذي سيرد ذكره ودوره مفصلاً .

(٣) عن محمد وطلحة ط ٤ - ٣٢٧ .

من عنده خارجاً . فلما انتهى إلى الباب لقيه ابن عامر ، فقال : جئتكَ من عند امرئ لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلاً ، واستأذن بن عامر ، فدخل عليه ، وجلس إليه ، فأطبق عامرُ المصحف ، وحدثه ساعة ، فقال له ابن عامر : ألا تغشانا ؟ فقال سعد : ابن أبي العرجاء يحب الشرف ، فقال : ألا نستعملك ؟ فقال : حصين بن أبي الحرّ يحب العمل ، فقال : ألا تزوجك ! فقال : ربيعة بن عِسلٍ يعجبه النساء ، قال : إن هذا يزعم أنك لا ترى لآل إبراهيم عليك فضلاً ، فتصفّح المصحف ، فكان أول ما وقع عليه وافتتح منه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ، فلما رُدَّ حمران تتبّع ذلك منه ، فسمي به ، وشهد له أقوام فسيّرهُ إلى الشام ، فلما علموا علمه ، أذنوا له ، فأبى ولزم الشام .

[وفي رواية أخرى ^(٢)] :

أن عثمان سَيَّرَ حمران بن أبان ، أن تزوج امرأة في عدتها ، وفرق بينهما وضربه ، وسَيَّرَهُ إلى البصرة . فلما أتى عليه ما شاء الله ، وأتاه عنه الذي يحب ، أذن له . فقدم عليه المدينة ، وقدم معه قوم سَعُوا بعامر بن عبد قيس ، أنه لا يرى التزويج ، ولا يأكل اللحم ، ولا يشهد الجمعة - وكان مع عامر انقباض ، وكان عمله كله خفية - فكتب إلى عبد الله بن عامر بذلك ، فألحقه بمعاوية . فلما قدم عليه وافقه وعنده ثريدة ^(٣) ، فأكل أكلًا غريبًا ، فعرف أن الرجل مكذوب عليه ، فقال : يا هذا ، هل تدري فيمَ أخرجت ؟ قال : لا ، قال : أبلغَ الخليفة أنك لا تأكل اللحم ، ورأيتك وعرفت أن قد كذبت عليك ، وأنتك

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٣ .

(٢) عن محمد وطلحة أيضاً ، ط ٤ - ٣٢٧ .

(٣) الثريدة : كسر الخبز المغمور بالمرق .

لا ترى التزويج ، ولا تشهد الجمعة ؟ قال : أما الجمعة فإني أشهدها في مؤخر المسجد ثم أرجع في أوائل الناس . وأما التزويج فإني خرجت وأنا يخطب عليّ ، وأما اللحم فقد رأيت . ولكني كنت امرأ لا آكل ذبائح القصابين منذ رأيت قصاباً يحرّ شاة الى مذبحها ، ثم وضع السكين على مذبحها ، فما زال يقول : النِّفاق النِّفاق ، حتى وجبت ^(١) . قال : فارجع ، قال : لا أرجع الى بلد استحلّ أهله مني ما استحلّوا ، ولكني أقيم بهذا البلد الذي اختاره الله لي . وكان يكون في السواحل ، وكان يلقي معاوية ، فيكثر معاوية أن يقول : حاجتك ؟ فيقول : لا حاجة لي ، فلما أكثر عليه ، قال : ترد عليّ من حرّ البصرة لعل الصوم أن يشتد عليّ شيئاً ، فإنه يخف عليّ في بلادكم .

اجتماع الثوار على عثمان :

لما رجع معاوية المسيّر ^(٢) ، قالوا : إن العراق والشّام ليسا لنا بدار ، فعليكم بالجزيرة . فأتوها اختياراً . ففدا عليهم عبد الرحمن بن خالد ، فسامهم الشدة ، فضرعوا له وتابعوه . وسرّح الأشر إلى عثمان ، فدعا به ، وقال : إذهب حيث شئت ، فقال : أرجع الى عبد الرحمن ، فرجع . ووفد سعيد بن العاص الى عثمان في سنة إحدى عشرة من إمارة عثمان . وقبل مخرج سعيد بن العاص من الكوفة بسنة وبعض اخرى ، بعث الأشعث بن قيس على أذربيجان ، وسعيد بن قيس على الري ، وكان سعيد بن قيس على همدان ، فعزل وجعل عليها النّسير العجلي ، وعلى أصبهان السايب بن الأقرع ، وعلى ماه مالك بن حبيب اليربوعي ،

(١) حتى وجبت : حتى تم بيعها .

(٢) عن المستنير بن يزيد ، عن قيس بن يزيد النخعي ، ط ٤ - ٣٣٠ .

وعلى الموصل حكيم بن سلامة الحِزامي ، وجريز بن عبد الله على قرقيسياء ، وسلمان بن ربيعة على الباب ، وعلى الحرب القعقاع بن عمرو ، وعلى حلوان عتبية ابن النهاس ، وخلت الكوفة من الرؤساء إلا منزوعاً أو مفتوناً . فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان ، فدخل المسجد ، فجلس فيه ، وثاب اليه الذين كان فيهم ابن السوداء يكاتبهم ، فانقضَّ عليه القعقاع ، فأخذ يزيد بن قيس ، فقال : إنما نستعفي من سعيد ، قال : هذا ما لا يعرض لكم فيه ، لا تجلس لهذا ولا يجتمعنَّ اليك ، واطلب حاجتك ، فلمعري لتُعْطِيَنَّهَا . فرجع الى بيته واستأجر رجلاً ، وأعطاه دراهم وبغلاً على أن يأتي المسيرين . وكتب اليهم : لا تضعوا كتابي من أيديكم حتى تجهثوا ، فإن أهل المصر قد جامعونا^(١) . فانطلق الرجل فأتى عليهم وقد رجع الأشتر ، فدفع اليهم الكتاب ، فقالوا : ما اسمك ؟ قال : بُغْثَرُ ، قالوا : ممن ؟ قال : من كلب ، قالوا : سبع ذليل يبغثر النفوس ، لا حاجة لنا بك . وخالفهم الأشتر ، ورجع عاصياً ، فلما خرج قال أصحابه : أخرَجْنَا أخرجه الله ، لا نجد بداً مما صنع ، إن علم بنا عبد الرحمن لم يصدقنا ولم يستقلها ، فاتبعوه فلم يلحقوه ، وبلغ عبد الرحمن أنهم قد رحلوا فطلبهم في السواد ، فسار الأشتر سبعاً والقوم عشراً ، فلم يفجأ الناس في يوم جمعة إلا والأشتر على باب المسجد يقول : أيها الناس ، إني قد جئكم من عند أمير المؤمنين عثمان ، وتركت سعيداً يريد على نقصان نسائكم الى مائة درهم . ورد أهل البلاء منكم الى ألفين ، ويقول : ما بال أشراف النساء ، وهذه العلوة بين هذين العديلين ! ويزعم أن فيئكم بستان قريش ، وقد سايرته مرحلة ، فما زال يرجز بذلك حتى فارقه ، يقول :

ويلٌ لأشرافِ النساءِ مني صَمَحَمَحُ^(٢) كأنني من جنِّ

(١) جامعونا : اجتمعوا معنا ووافقونا .

(٢) الصمحمح : الرجل الشديد المجتمع الألواح .

فاستخفّ الناس ، وجعل أهل الحجى ينهونه فلا يسمع منهم ، وكانت نفجة ^(١) ، فخرج يزيد ، وأمر منادياً ينادي : من شاء أن يلحق بيزيد بن قيس لرد سعيد وطلب أمير غيره فليفعل ، وبقي حلماء الناس وأشرافهم ووجوههم في المسجد ، وذهب من سواهم ، وعمرو بن حريث يومئذ الخليفة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، بعد أن كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، فلا تعودوا في شر قد استنقذكم الله عز وجل منه . أبعد الإسلام وهدّيه وسنته لا تعرفون حقاً ، ولا تصيبون بابه ! فقال القعقاع بن عمرو : أترد السيل عن عبابه ^(٢) ؟ فاردد الفرات عن أدراجه ، هيهات ! لا والله لا تسكّن الغوغاء إلا المشرّفة ^(٣) ، ويوشك أن تُنتَضَى ، ثم يَعِجُّون عَجيج العتدان ^(٤) ، ويتمنون ما هم فيه فلا يرده الله عليهم أبداً . فاصبر ، فقال : أصبر ، وتحول إلى منزله . وخرج يزيد بن قيس حتى نزل الجرعة ، ومعه الأشر ، وقد كان سعيد تلبّث في الطريق فطلع عليهم سعيد وهم مقيمون له معسكرون ، فقالوا : لا حاجة لنا بك . فقال : فما اختلفتم الآن ، إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً وتضعوا إلي رجلاً . وهل يخرج الألف لهم عقولٌ إلى رجل ؟ ثم انصرف عنهم ، وتحسّوا بمولى له على بعير قد حُسِر ، فقال : والله ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع . فضرب الأشر عنقه . ومضى سعيد حتى قدم على عثمان ، فأخبره الخبر ، فقال : ما يريدون ؟ أخلعوا يداً من طاعة ؟ قال : أظهروا أنهم يريدون البذل .

(١) أي ضجة . ط ٤ - ٣٣١ .

(٢) أي عن ارتفاعه وكثرته .

(٣) المشرّفة : ضرب من السيوف ينسب إلى مشارف ، وهي قرى قرب حوران في جنوبي سوريا .

(٤) العتود : الجدي إذا بلغ الحول وجمعه عتدان .

قال : فمن يريدون ؟ قال : أبا موسى ، قال : أثبتنا أبا موسى عليهم ، والله لا نجعل لأحد عذراً ، ولا نترك لهم حجة ، ولنصبرن كما أمرنا حتى نبلي ما يريدون . ورجع من قرب عمله من الكوفة ، ورجع جرير من قرقيساء وعتيبة من حلوان . وقام أبو موسى فتكلم بالكوفة فقال : أيها الناس ، لا تنفروا في مثل هذا ، ولا تعودوا لمثله ، إلزموا جماعتكم والطاعة ، وإياكم والمجالة ، اصبروا ، فكأنكم بأمر . قالوا : فصل بنا ، قال : لا ، إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان ، قالوا : على السمع والطاعة لعثمان .

[قال عبد الله بن عمير الأشجعي ^(١) : قام من المسجد في الفتنة فقال : أيها الناس ، اسكتوا ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خرج وعلى الناس امام - والله ما قال : عادل - ليشق عصاهم ، ويفرق جماعتهم ، فاقتلوه كائناً من كان » .

[وفي رواية أخرى ^(٢) .

لما استعوى يزيد بن قيس الناس على سعيد بن العاص ، خرج منه ذكر لعثمان ، فأقبل إليه القعقاع بن عمرو حتى أخذه ، فقال : ما تريد ؟ ألك علينا في أن نستعفي سبيل ؟ قال : لا ، فهل إلا ذلك ؟ قال : لا ، قال : فاستعف . واستجلب يزيد أصحابه من حيث كانوا ، فردوا سعيداً وطلبوا أبا موسى ، فكتب إليهم عثمان :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد أمّرت عليكم من اخترتم ، وأعفيتكم من سعيد ، والله لأفرشتكم عرضي ، ولأبذلن لكم صبري

(١) عن يحيى بن مسلم ، عن واقد بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمير الأشجعي ، ط ٤ - ٣٣٦ .

(٢) عن محمد وطلحة ، واستعوى القوم : دعاهم إلى الفتنة .

ولأستصلحنكم يجهدى ، فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يُعصى الله فيه إلا سألتموه ،
ولا شيئاً كرهتموه لا يُعصى الله فيه إلا استغفيم منه ، أنزل فيه عندما أحببتم
حق لا يكون لكم على حجة .

وكتب بمثل ذلك في الأمصار ، فقدمت إمارة أبي موسى وغزو حذيفة ،
وتأمر أبو موسى ، ورجع العمال إلى أعمالهم ، ومضى حذيفة إلى الباب .

دعوة عبد الله بن سبا :

كان عبد الله بن سبا يهودياً^(١) من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمان
عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين ، يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ، ثم البصرة
ثم الكوفة ، ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عن أحد من أهل الشام ، فأخرجوه
حتى أتى مصر ، فاعتمر فيهم ، فقال لهم فيما يقول : لعَجَبٌ ممن يزعم أن
عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِي
فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾^(٢) فحمدوا أحق بالرجوع من عيسى . قال :
فقبل ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة ، فتكلموا فيها . ثم قال لهم بعد ذلك :
إنه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصي ، وكان علي وصي محمد ، ثم قال : محمد
خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء ، ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يُحِز وصية
رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة ! ثم قال
لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله ﷺ ،
فانهضوا في هذا الأمر فحركوه ، وابدؤوا بالظعن على أمرائكم ، واظهروا

(١) عن عطية ، عن يزيد الفقمي ط ٤ - ٣٤٠

(٢) سورة القصص ، الآية : ٨٥

الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، تستميلوا الناس ، وادعوهم إلى هذا الأمر .

فَبِثَّ دَعَاتِهِ ^(١) ، وكاتب من كان استفسد من الأمصار وكتبوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار كتباً يضعونها في عيوب ولائهم ، ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كل مصرٍ منهم إلى مصرٍ آخرَ بما يصنعون ، فيقرؤه أولئك في أمصارهم ، وهؤلاء في أمصارهم . حتى تناولوا بذلك المدينة ، وأوسعوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غيرَ ما يُظهرون ، ويسرون غيرَ ما يُبدون ، فيقول أهل كل مصر : إنا لفي عافية بما ابتلي به هؤلاء ، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار ، فقالوا : إنا لفي عافية مما فيه الناس ، وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان ^(٢) ، قالوا : فأتوا عثمان ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ قال : لا والله ، ما جاءني إلا السلامة ، قالوا : فإنا قد أتانا ... وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم ، قال : فأنتم شركائي وشهود المؤمنين ، فأشيروا عليّ ، قالوا : نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار ، حتى يرجعوا إليك بأخبارهم . فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة ، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام ، وفرّق رجالاً سواهم ، فرجعوا جميعاً قبل عمار ، فقالوا : أيها الناس ، ما أنكرنا شيئاً ، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم ، وقالوا جميعاً :

(١) ط ٤ - ٣٤١ .

(٢) أي اشترك مع الراوي في الرواية محمد وطلحة اعتباراً من هذه النقطة . ويستنتج من هذا الكلام ، أن عبد الله بن سبأ لم يكن إلا أحد أفراد جماعة سرية مؤلفة من اليهود وغيرهم ، كانت تعمل جاهدة ، وفق مخطط مدروس لتحطيم الوحدة الإسلامية والقضاء على دولة المسلمين من داخلها بعد ما عجزت تلك القوى عن مجابهة المسلمين في ميادين القتال .

الأمر أمر المسلمين، إلا أن أمراءهم يُقسِطون بينهم، ويقومون^(١) عليهم. واستبطأ الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلا كتابٌ من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء، وخالد بن مَلِجَم، وسودان بن حُمران، وكنانة ابن بشر.

مشاورات عثمان مع ولاته :

كتب عثمان^(٢) إلى أهل الأمصار : أما بعد ، فأني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم ، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يرفع عليّ شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيتُهُ ، وليس لي ولعمالي حق قبَل الرعية إلا متروك لهم ، وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقواماً يُسْتَتَمُونَ ، وآخرون يُضْرَبُونَ ، فيأمن ضَرْبَ سراً ، وشتم سراً ، من ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم ، فليأخذ بحقه حيث كان ، مني أو من عمالي ، أو تصدقوا فإن الله يحزي المتصدقين .

فلما قرىء في الأمصار ، أبكى الناس ، ودعوا لعثمان وقالوا : إنّ الأمة لَتَمَخَّضَ بشراً ، وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه : عبد الله بن عامر ، ومعاوية ، وعبد الله بن سعد ، وأدخل معهم في المشورة سعيداً وعمراً ، فقال : ويحكم ! ما هذه الشكاية ؟ وما هذه الاذاعة ؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم ، وما يُعَصَّب^(٣) هذا إلا بي ، فقالوا له : ألم تبعث ! ألم نرجع إليك الخبر

(١) في نسخة يقيمون .

(٢) عن محمد وطلحة وعطية ، ط ٤ - ٣٤٢ .

(٣) يعصب بي : أي يناط بي .

عن القوم^(١) ! ألم يرجعوا ولم يشافهم أحد بشيء ؟ لا والله ما صدقوا ولا برّوا ، ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً ، وما كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء ، وما هي إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها ، ولا الانتهاء إليها . قال : فأشيروا علي ، فقال : سعيد بن العاص : هذا أمر مصنوع يُصنع في السر ، فيُلقى به غير ذي المعرفة فيخبر به ، فيتحدث به في مجالسهم ، قال : فما دواء ذلك ؟ قال : طلب هؤلاء القوم ، ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم .

وقال عبد الله بن سعد : خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم ، فإنه خير من أن تدعهم .

قال معاوية : قد وليتني فوليت قوماً لا يأتيك عنهم إلا الخير ، والرجلان أعلم بناحيتهما ، قال : فما الرأي ؟ قال : حسنُ الأدب ، قال : فما ترى يا عمرو ؟ قال : أرى أنك قد لنت لهم ، وتراخيت عنهم ، وزدتهم على ما كان يصنع عمر ، فأرى أن تلزم طريقة صاحبك فتشتد في موضع الشدة ، وتلين في موضع اللين . إن الشدة تنبغي لمن لا يألو الناس شراً ، واللين لمن يخلف الناس بالنصح ، وقد فرشتها جميعاً اللين .

وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال : كل ما أشرتكم به علي قد سمعت ، ولكل أمرٍ بابٌ يؤتى منه ، إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن ، وإن بابهُ الذي يُغلق عليه فيُكفكف به اللين والمؤااة والمتابعة ، إلا في حدود الله تعالى ذكره ، التي لا يستطيع أحد أن يباديَ بعيب أحدها ، فإن سده شيء فرفق ، فذاك والله ليفتحن ، وليست لأحد عليّ حجة حق ، وقد علم الله أني لم آلُ الناس خيراً ، ولا نفسي . والله إن رحا الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان

(١) في ابن الأثير « العوام » .

إن مات ولم يجرّ كها . كفكفوا الناس . وهبوا لهم حقوقهم ، واغفروا لهم ،
وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها .

فلما نفر عثمان أشخص معاوية وعبد الله بن سعد إلى المدينة ، ورجع ابن عامر
وسعيد معه ، ولما استقلَّ عثمان رَجَزَ الحادي :

قد عَلِمْتُ ضَوَامِرُ الْمَطِيِّ وضامراتُ عَوَجِ الْقِسِيِّ
أَنْ الْأَمِيرَ بَعْدَهُ عَلِيٌّ وفي الزبير خلفُ رَضِيٍّ
وطلحةُ الحامي لها وليُّ

فقال كعب وهو يسير خلف عثمان: الأميرُ والله بعده صاحب البغلة — وأشار
إلى معاوية .



ما زال معاوية يطمع فيها ^(١) بعد مقدمه على عثمان حين جمعهم ، فاجتمعوا
إليه بالموسم ، ثم ارتحل ، فحدا به الراجز :

إِنَّ الْأَمِيرَ بَعْدَهُ عَلِيٌّ وفي الزبير خلفُ رَضِيٍّ

قال كعب: كذبت! صاحب الشهباء بعده — يعني معاوية — فأخبر معاوية،
فسأله عن الذي بلغه ، قال : نعم ، أنت الأمير بعده ، ولكنها والله لا تصل
إليك حتى تكذَّبَ بحديثي هذا . فوقعت في نفس معاوية .

[وشاركهم في هذا المكان أبو حارثة وأبو عثمان، عن رجاء بن حَبِئَةَ وغيره
قالوا] : فلما وردَ عثمان المدينة ردَّ الأمراء إلى أعمالهم ، فمضوا جميعاً ، وأقام

(١) عن بدر بن الحليل بن عثمان بن قطبة الأسدي، عن رجل من بني أسد ، ط ٤ - ٣٤٣ .

سعيد بعدهم ، فلما ودع معاوية عثمان خرج من عنده وعليه ثياب السفر متقلداً سيفه ، متنكباً قوسه ، فإذا هو بنفر من المهاجرين ، فيهم طلحة والزبير وعلي ، فقام عليهم ، فتوكأ على قوسه بعدما سلم عليهم ، ثم قال : إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان إذ الناس يتغالبون الى رجال ، فلم يكن منكم أحد إلا وفي فصلته من يرئسُهُ ، ويستبد عليه ، ويقطع الأمر دونه ، ولا يُشْهده ، ولا يؤامِرُهُ ، حتى بعث الله جلّ وعزّ نبيه ﷺ وأكرم به من اتبعه ، فكانوا يرئسون من جاء من بعده ، وأمرهم شورى بينهم ، يتفاضلون بالسابقة والقدمة والاجتهاد ، فإن أخذوا بذلك وقاموا عليه كان الأمر أمرهم ، والناس تبع لهم ، وإن أصغوا الى الدنيا وطلبوها بالتغالب سلبوا ذلك ، وردّه الله الى من كان يرئسهم . وإلا فليحذروا الغيّرَ ، فإن الله على البذل قادر ، وله المشيئة في ملكه وأمره . إني قد خلفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً ، وكانفؤوه تكونوا أسعد منه بذلك . ثم ودّعهم ومضى ، فقال علي : ما كنت أرى أن في هذا خيراً ، فقال الزبير : لا والله ، ما كان قط أعظم في صدرك وصدورنا منه الغداة .

وكان معاوية ^(١) قد قال لعثمان غداة ودّعه وخرج : يا أمير المؤمنين ، انطلق معي الى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبّل لك به ، فإن أهل الشام على الأمر لم يزلوا . فقال : أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء ، وإن كان فيه قطع خنيطٍ عنقي . قال : فأبعث اليك جنداً منهم يقيم بين ظهري أهل المدينة ، لئلا تنائب المدينة أو إياك . قال : أنا أقترّ على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق يحنديّ تساكنتهم ، وأضيق على أهل دار الهجرة والنصرة ! قال : والله يا أمير المؤمنين ، لتفتالنّ أو لتغزَيْنّ ، قال : حسبي الله ونعم الوكيل . وقال معاوية : يا أيسار الجزور ! وأين أيسار الجزور ! ثم خرج حتى وقف على النفر ، ثم مضى .

(١) الحديث هنا لسيف عن شيوخه . ط ٤ - ٣٤٥ .

المواجهة الاولى سنة ٣٤ هـ (١) :

وقد كان أهل مصر كاتبوا أشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وجميع من أجايبهم أن يثوروا خلاف أمراءهم. واتعدوا (٢) يوماً حيث شخص أمراؤهم، فلم يستقم ذلك لأحد منهم، ولم ينهض إلا أهل الكوفة، فإن يزيد بن قيس الأرحبي ثار فيها. واجتمع اليه أصحابه، وعلى الحرب يومئذ القعقاع بن عمرو، فأحاط الناس بهم، وناشدوهم، فقال يزيد للقعقاع: ما سبيلك عليّ وعلى هؤلاء! فوالله إني لسامع مطيع، وإني للآزم لجماعتي إلا أني أستعفي ومن ترى من إمارة سعيد، فقال: استعفي الخاصة من أمر قد رضيته العامة؟ قال: فذاك الى أمير المؤمنين. فتركهم والاستعفاء، ولم يستطيعوا أن يظهروا غير ذلك، فاستقبلوا سعيداً، فردّوه من الجرعة، واجتمع الناس على أبي موسى، وأقرّه عثمان رضي الله تعالى عنه. ولما رجع الأمراء لم يكن للسبئية سبيل الى الخروج الى الأمصار، وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون، وأظهروا أنهم يأمرّون بالمعروف، ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس، ولتُحقّق عليه، فتوافوا بالمدينة، وأرسل عثمان رجلين: مخزومياً وزُهيرياً، فقال: انظروا ما يريدون، واعلموا علمهم — وكنا ممن قد ناله من عثمان أدب، فاصطبرا للحق، ولم يضطغنا — فلما رأوها باقوهما وأخبروها بما يريدون، فقالا: من معكم على هذا من أهل المدينة؟ قالوا: ثلاثة نفر، فقالا: هل إلا؟ قالوا: لا! قالوا: فكيف تريدون أن تصنعوا؟ قالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعتها في قلوب الناس، ثم نرجع اليهم فنزعم لهم أننا قررناهم بها. فلم يخرج منها ولم يتب، ثم نخرج كأننا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبى قتلناه. وكانت إياها، فرجعنا الى عثمان بالخبر، فضحك وقال: اللهم سلّم هؤلاء، فإنك إن لم تسلّمهم شقوا.

(١) ط ٤ - ٣٤٥ .

(٢) اتعدوا: تواعدوا .

أما عمار فحمل على عباس بن عتبة بن أبي لهب وعركه . وأما محمد بن أبي بكر فإنه أعجب حتى رأى أن الحقوق لا تلزمه ، وأما ابن سهلة فإنه يتعرض للبلاء . فأرسل إلى الكوفيين والبصريين ، ونادى : الصلاة جامعة ! وهم عنده في أصل المنبر ، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أحاطوا بهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأخبرهم خبر القوم ^(١) ، وقام الرجلان ، فقالوا جميعاً ^(٢) : اقتلهم ، فإن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى نفسه أو إلى أحد ، وعلى الناس إمام ، فعليه لعنة الله ، فاقتلوه » . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا أحلّ لكم إلا ما قتلتموه وأنا شريككم . فقال عثمان : بل نغفو ونقبل ونبصرهم يجهدنا ، ولا نُحَادُّ أحداً حتى يركب حدّاً ، أو يبدي كفرأ . إن هؤلاء ذكروا أموراً قد علموا منها مثل الذي علمتم ، إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونها ليُوجبوها عليّ عند من لا يعلم .

وقالوا : أتمّ الصلاة في السفر ، وكانت لا تُتَمّ ، ألا وإني قدمت بلداً فيه أهلي ، فأعمت لهذين الأمرين ، أو كذلك ؟ قالوا : اللهم نعم .

وقالوا : وحميت حمى ، وإني والله ما حميت ، 'حميَ قبلي' ، والله ما حموا شيئاً لأحد ما حموا إلا غلب عليه أهل المدينة . ثم لم ينعوا من رغبة أحداً ، واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ، ثم ما منعوا ولا نَحَّوْا منها أحداً إلا من ساق درهماً ، وما لي من بعير غير راحلتين ، وما لي ثاغية ولا راغية ، وإني قد وُلِّيتُ ، وإني أكثر العرب بعيراً وشاء ، فما لي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجتي ، أكذاك ؟ قالوا : اللهم نعم .

(١) أي خبر المنشقين .

(٢) أي جميع الصحابة . المقصود بالقتل الثوار .

وقالوا : كان القرآن كتباً ، فتركها إلا واحداً . ألا وإن القرآن واحد ، جاء من عند واحد ، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء ، أأؤكد ؟ قالوا : نعم ، وسألوه أن يقلبهم ^(١) .

وقالوا : إني رددت الحكم ، وقد سيره رسول الله ﷺ والحكم مكسّي ، سيره رسول الله ﷺ من مكة الى الطائف ، ثم رده رسول الله ﷺ ، فرسول الله ﷺ سيره ، ورسول الله ﷺ رده ، أأؤكد ؟ قالوا : اللهم نعم .

وقالوا : استعملت الأحداث . ولم أستعمل إلا مجتمعاً مجتمعاً مرضياً ، وهؤلاء أهل عملهم ، فسلوهم عنه ، وهؤلاء أهل بلده ، ولقد ولي من قبلي أحدث منهم ، وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لي في استعماله أسامة ، أأؤكد ؟ قالوا : اللهم نعم ، يعييون للناس ما لا يفكرون .

وقالوا : إني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه ، وإني إنما نفلته خمساً ما أفاء الله عليه من الخمس ، فكان مائة ألف ، وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك ، فرددته عليهم وليس ذاك لهم ، أأؤكد ؟ قالوا : نعم .

وقالوا : إني أحب أهل بيتي وأعطيهم ، فأما حي فإنّه لم يمل معهم على جور ، بل أحمل الحقوق عليهم ، وأما إعطاؤهم فإني ما أعطيهم من مالي ، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ، ولا لأحد من الناس ، ولقد كنت أعطي العطية الكبيرة الرغبة من صلب مالي أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأنا يومئذ شحيح حريص . أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي ، وفني عمري ، وودعت الذي لي في أهلي ، قال الملحدون ما قالوا ! وإني والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلاً فيجوز ذلك لمن قاله ، ولقد رددته عليهم ، وما قدم علي إلا الأخماس ، ولا يحل لي منها شيء ، فولي المسلمون وضعها في

(١) في نسخة أن يقتلهم ، ط ٤ - ٣٤٨ .

أهلها دوني ، ولا يُتَلَفَّت من مال الله بفلس فما فوقه ، وما أتبلغ منه ، ما
أكل إلا مالي .

وقالوا: أعطيت الأرض رجالاً، وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون
والأنصار أيام افتتحت ، فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ، ومن
رجع الى أهله لم يُذهَب ذلك ما حوى الله له ، فنظرت في الذي يصيبهم مما أفاء
الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عفار ببلاد العرب فنقلت اليهم
نصيبهم ، فهو في أيديهم دوني .

وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية ، وجعل ولده كبعض من
يعطي ، فبدأ ببني أبي العاص ، فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف عشرة
آلاف ، فأخذوا مئة ألف ، وأعطى بني عثمان مثل ذلك ، وقسم في بني العاص
وفي بني العيص وفي بني حرب .

ولانت حاشية عثمان لأولئك الطوائف ، وأبى المسلمون إلا قتلهم ، وأبى
إلا تركهم ، فذهبوا ورجعوا الى بلادهم على أن يغزوه مع الحجاج كالحجاج ،
فتكاثبوا وقالوا : موعدكم ضواحي المدينة في شوال ، حتى إذا دخل شوال من
سنة خمس وثلاثين ضربوا كالحجاج فنزلوا قرب المدينة .

خروج الثوار الى المدينة عام ٥٣٥ هـ :

[وهكذا] لما كان شوال ^(١) سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربع
رفاق على أربعة أمراء ، المقلل يقول : ستمائة ^(٢) . والمكثر يقول : ألف . على
الرفاق عبد الرحمن بن 'عديس البلوي' ، وكنانة بن بشر التجيبي ^(٣) ، وسودان

(١) عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، ط ٤ - ٣٤٨ .

(٢) أي عددهم ما بين ٦٠٠ - ١٠٠٠ .

(٣) في ب ٧ - ١٧٣ « الليثي » بدلاً من التجيبي .

ابن حمران السَّكُونِيّ ، وُقْتيرة بن فلان السَّكُونِيّ ، وعلى القوم جميعاً الغافقي
 ابن حرب العَكِّيّ^(١) ، ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم الى الحرب ،
 وإنما خرجوا كالحجاج ، ومعهم ابن السوداء . وخرج أهل الكوفة في أربع
 رفاق ، وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدي ، والأشتر النخعي ، وزيد بن النضر
 الحارثي ، وعبد الله بن الأصم ، أحد بني عامر بن صعصعة^(٢) ، وعددهم كعدد
 أهل مصر ، وعليهم جميعاً عمرو بن الأصم . وخرج أهل البصرة في أربع رفاق ،
 وعلى الرفاق ، حكيم بن جبلة العبدي ، وذريح بن عباد العبدي ، ويُسْر بن شريح
 الحُطَم بن ضبيعة القيسي وابن الحرث بن عبد بن عمرو الحنفي ، وعددهم كعدد
 أهل مصر ، وأميرهم جميعاً حرقوص بن زهير السعدي ، سوى من تلاحق بهم
 من الناس . فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون علياً ، وأما أهل البصرة فإنهم
 كانوا يشتهون طلحة ، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير .

فخرجوا وهم على الخروج جميع . وفي الناس شتى ، لا تشك كل فرقة إلا
 أن الفُلج^(٣) معها ، وأن أمرها سيتم دون الآخرين ، فخرجوا حتى إذا كانوا
 من المدينة على ثلاث ، تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشْب ، وناس من
 أهل الكوفة فنزلوا الأعوص ، وجاءهم ناس من أهل مصر ، وتركوا عامتهم
 بذئ المرأة . ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زيد بن النضر وعبد الله
 ابن الاصم ، وقالوا : لا تمجلوا ولا تمجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتاد ، فإنه
 بلغنا أنهم قد عسكروا لنا ، فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلوا

(١) اعتمدت في ذكر الاسماء رواية ابن كثير في البداية والنهاية ص ١٧٣ لأن الطبري قال
 أربع رفاق وذكر أربعة أشخاص زيادة ربما يكونون نواب القواد وهم: «عروة بن شبيب الليثي،
 أبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، سواد بن رومان الأصبحي ، زرع بن يشكر الياقعي» .
 (٢) ب ٧ - ١٧٣ (وعلى الجميع عمرو بن الأصم) .
 (٣) الفلج : الظفر والفوز .

قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشدّ ، وإن أمرنا هذا لباطل ، وإن لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلاً لنرجعن اليكم بالخبر .

قالوا : إذهبوا ، فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبي ﷺ وعلياً وطلحة والزبير ، وقالوا : إنما نأتى هذا البيت ، ونستعفي هذا الوالي من بعض عمالنا ، ما جئنا إلا لذلك ، واستأذناهم للناس بالدخول ، فكلهم أبى ، ونهى ، وقال : بينض ما يفرخنّ ، فرجما إليهم ، فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا علياً ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة ، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير ، وقال كل فريق منهم : إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم ، ثم كررنا حتى نبغتهم .

ما قاله علي وطلحة والزبير للشوار وتظاهروا بالعودة :

فأتى المصريون علياً وهو في عسكر عند أحجار الزيت ، عليه حلة أفواف^(١) معتمّ بشقيقة حمراء يمانية ، متقلد السيف ، ليس عليه قميص ، وقد سرّح ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه . فالحسن جالس عند عثمان ، وعلي عند أحجار الزيت ، فسلم عليه المصريون وعرضوا له ، فصاح بهم واطّردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذو خشب^(٢) ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فارجموا لا صحبتكم الله ! قالوا : نعم ، فانصرفوا من عنده على ذلك .

(١) الفوف : ضرب من برود اليمن ، وجمعها أفواف . والفوف أيضاً : القطن .

(٢) أضاف ابن الأثير « والأعوص » .

وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي ، وقد أرسل
إبنيه إلى عثمان ، فسلم البصريون عليه وعرضوا له ، فصاح بهم واطردهم ، وقال :
لقد علم المؤمنون أن جيش ذي المروة وذي خُشب والأعوص ملعونون على لسان
محمد ﷺ .

وأتى الكوفيون الزبير وهو في جماعة أخرى ، وقد سرح ابنه عبد الله إلى
عثمان ، فسلموا عليه وعرضوا له ، فصاح بهم واطردهم ، وقال : لقد علم
المسلمون أن جيش ذي المروة وذي خُشب والأعوص ملعونون على لسان محمد
ﷺ فخرج القوم وأروهم أنهم يرجعون^(١) ، فانفشوا عن ذي خُشب والأعوص
حتى انتهوا إلى عساكرهم ، وهي ثلاث مراحل ، كي يفترق أهل المدينة ، ثم
يكرؤوا راجعين ، فافترق أهل المدينة لخروجهم .

مباغطة المدينة :

فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم ، فبغتهم ، فلم يفجأ أهل المدينة إلا
والتكبير^(٢) في نواحي المدينة ، فنزلوا في مواضع عساكرهم ، وأحاطوا
بعثمان وقالوا : من كف يده فهو آمن .

وصلى عثمان بالناس أياماً ، ولزم الناس بيوتهم ، ولم يمنعوا أحداً من كلام ،
فأتاهم الناس فكلموهم ، وفيهم علي ، فقال : ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم
عن رأيكم ؟ قالوا أخذنا مع [ال] بريد كتاباً بقتلنا ، وأتاهم طلحة فقال
البصريون مثل ذلك ، وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك ، وقال الكوفيون
والبصريون : فنحن نصر إخواننا ونمنعهم جميعاً ، كأنما كانوا على ميعاد .

(١) أي تظاهروا أمام علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم بأنهم عائدون .

(٢) ط ٤ - ٣٥١ .

فقال لهم علي : كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر ، وقد سرتهم مراحل ، ثم طويتم نخونا ؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة ! قالوا : فضعوه على ما شئتم ، لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليعتزلنا . وهو في ذلك يصلي بهم ، وهم يصلثون خلفه ، ويفشى من شاء عثمان وهم في عينه أدق من القرب . وكانوا لا يمنعون أحداً من الكلام ، وكانوا زمراً بالمدينة ، يمنعون الناس من الاجتماع .

كتابة عثمان الى الأمصار :

وكتب عثمان الى أهل الأمصار يستعدهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلغ عن الله ما أمره به ، ثم مضى وقد قضى الذي عليه ، وخلف فينا كتابه ، فيه حلاله وحرامه ، وبيان الأمور التي قدر ، فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا ، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه ، وعمر رضي الله عنه ، ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ من الأمة ، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم ومن الناس عليّ ، على غير طلب مني ولا محبة ، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون تابعاً غير مستتبع ، متبعاً غير مبتدع ، مقتدياً غير متكلف . فلما انتهت الأمور ، وانتكث الشر بأهله ، بدت ضغائن وأهواء على غير إجماع ولا ترة فيما مضى إلا إمضاء الكتاب ، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر ، فعابوا عليّ أشياء مما كانوا يرضون ، وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها ، فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين ^(١) وأنا أرى وأسمع ، فازدادوا على الله عز وجل جرأة ، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمة وأرض الهجرة ، وثابت اليهم الأعراب ، فهم كالأحزاب أيام

(١) في نسخة « منذ سنين » .

الأحزاب ، أو من غزانا بأحد ، إلا ما يُظهرون ، فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق .

فأتى الكتابُ أهلَ الأمصار ، فخرجوا على الصعبة والذلول ، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج السكوني ، وخرج من أهل الكوفة الققعاع بن عمرو .

وكان المحضّضين بالكوفة على إعانة أهل المدينة عقبة بن عمرو وعبد الله بن أبي أوفى ، وحنظلة بن الربيع التميمي ، في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ ، وكان المحضّضين بالكوفة من التابعين أصحاب عبد الله مسروق بن الأجدع ، والأسود بن يزيد ، وشريح بن الحارث ، وعبد الله بن عكيم ^(١) ، في أمثالهم ، يسرون فيها ، ويطوفون على مجالسها ، يقولون : يا أيها الناس ، إن الكلام اليوم وليس به غداً ، وإن النظر يحسن اليوم ويقبح غداً ، وإن القتال يحلّ اليوم ويحرم غداً ، إنهضوا إلى خليفتكم وعصمة أمركم .

وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك ، وهشام بن عامر في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ ، يقولون مثل ذلك . ومن التابعين كعب بن سور وهرم ابن حيان العبدي ، وأشباههما يقولون ذلك . وقام بالشام عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبو أمامة في أمثالهم من أصحاب النبي ﷺ ، يقولون مثل ذلك . ومن التابعين شريك بن خباشة النميري ، وأبو مسلم الخولاني ، وعبد الرحمن بن غنم بمثل ذلك . وقام بمصر خارجة في أشباه له . وقد كانت بعض المحضّضين قد شهد قدومهم ، فلما رأوا حالهم انصرفوا إلى أمصارهم بذلك وقاموا فيهم .

ولما جاءت الجمعة التي على أثر نزول المصريين لمسجد رسول الله ﷺ ، خرج

(١) ابن الأثير « حكيم » .

عثمان فصلت بالناس ، ثم قام على المنبر فقال : يا هؤلاء العدى ، الله الله ! فوالله ، إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فاحموا الخطايا بالصواب ، فإن الله عز وجل لا يمحو السوء إلا بالحسن .

فقام محمد بن مسلمة ، فقال : أنا أشهد بذلك ، فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده ، فقام زيد بن ثابت فقال : ابغني الكتاب ^(١) ، فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قتيبة فأقعده ، وقال فأقطع ، وثار القوم بأجمعهم ، فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد ، وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه ، فاحتُمِلَ فأدْخِلَ داره . وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا في ثلاثة نفر ، فإنهم كانوا يراسلونهم : محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، وعمار بن ياسر . وشتم أناس من الناس فاستقتلوا ، منهم سعد بن مالك ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، والحسن بن علي ، فبعث إليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا ، فانصرفوا . وأقبل علي عليه السلام حتى دخل على عثمان ، وأقبل طلحة حتى دخل عليه ، وأقبل الزبير حتى دخل عليه ، يعودونه من صرخته ، ويشكون بشهم ، ثم رجعوا إلى منازلهم .

وقد سأل أبو عمر الحسن ^(٢) هل شهدت حصر عثمان ؟ قال : نعم ، وأنا يومئذ غلام في أتراب لي في المسجد ، فإذا كثرت اللفظ جثوت على ركبتي أو قمت ، فأقبل القوم حين أقبلوا حتى نزلوا المسجد وما حوله ، فاجتمع إليهم أناس من أهل المدينة ، يعظمون ما صنعوا . وأقبلوا على أهل المدينة يتوعدونهم ، فبينما هم كذلك في لفظهم حول الباب ، فطلع عثمان ، فكأنما كانت ناراً طفقت ، فعمد إلى المنبر ، فصعده ، فحمد الله وأثنى عليه ، فثار رجل ، فأقعده رجل ،

(١) أبغني الكتاب : أحضر لي الكتاب .

(٢) عن أبي عمرو ، عن الحسن «وقد وردت في النص عن لسان أبي عمر : قلت له هل...» ،

وقام آخر فأقعه آخر ، ثم ثار القوم فحصبوا عثمان حتى صرع ، فاحتمل فأدخل ، فضلى بهم عشرين يوماً ، ثم منعه من الصلاة .

[وفي رواية أخرى لسيف] ^(١) .

صلى عثمان بالناس بعدما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوماً ، ثم أنهم منعه الصلاة ، فضلى بالناس أميرهم الغافقي ، دان له المصريون والكوفيون والبصريون وتفرق أهل المدينة في جيطانهم ، ولزموا بيوتهم ، لا يخرج أحد ولا يجلس إلا وعليه سيفه يمتنع به من رَهَقِ القوم ، وكان الحصار أربعين يوماً ، وفيهن كان القتل ، ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح ، وكانوا قبل ذلك ثلاثين يوماً يكفون .

آخر خطبة لعثمان :

[وكانت] آخر خطبة ^(٢) خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة : إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركوا إليها ، إن الدنيا تفتى ، والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، فأثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله . اتقوا الله جلّ وعز . فإن تقواه جنة من بأسه ، ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم ، لا تصيروا أحزاباً ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداءً فالْتَفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ ^(٣) .

(١) عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، ط ٤ - ٣٥٤ .

(٢) عن بدر بن عثمان ، عن عمه ، ط ٤ - ٣٨٤ .

(٣) آل عمران : ١٠٣ .

لما قضى عثمان ^(١) في ذلك المجلس حاجاته وعزم ، وعزم له المسلمون على الصبر والامتناع عليهم بسلطان الله ، قال : اخرجوا رحمكم الله فكونوا بالباب ، وليجامعكم هؤلاء الذين 'حبسوا عني . وأرسل الى طلحة والزبير وعلي وعدة : أن ادنوا . فاجتمعوا فأشرف عليهم ، فقال : يا أيها الناس ، اجلسوا ، فجلسوا جميعاً ، المحارب الطاريء ، والمسالمة المقيم ، فقال : يا أهل المدينة ، إني استودعكم الله ، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي ، وإني والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا حتى يقضي الله في قضاءه ، ولأدعن هؤلاء وما وراءه بآبي غير معطيهم شيئاً يتخذونه عليكم دخلاً في دين الله أو دنياً حتى يكون الله عز وجل الصانع في ذلك ما أحب . وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم ، فرجعوا إلا الحسن ومحمداً وابن الزبير وأشباهاً لهم ^(٢) ، فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم ، وقاب إليهم ناس كثير ولزم عثمان الدار .

الحصار :

كان الحصر ^(٣) أربعين ليلة والنزول سبعين ، فلما مضت من الأربعين ثمان عشرة ، قدم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من قد تهيأ إليهم من الآفاق : حبيب من الشام ، ومعاوية من مصر ، والقعقاع من الكوفة ، ومجاشع من البصرة ، فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ، ومنعوه كل شيء حتى الماء ، وقد كان يدخل علي بالشيء مما يريد . وطلبوا العمل فلم تطلع عليهم علة ، فعثروا في

(١) عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان . ط ٤ - ٣٨٥ .

(٢) كانت الصحابة يهدفون من ذلك إظهار تأييدهم لعثمان . وبذلك يدرك المنحرفون الذين كان عامتهم - وليس مدبرو الفتنة منهم - يميلون إلى تولية أحد الصحابة بعده .

(٣) عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة ، ط ٤ - ٣٨٥ .

داره بالحجارة ليرْمُوا ، فيقولوا : قوتلنا - وذلك ليلاً - فنأداهم : ألا تتقون الله ! ألا تعلمون أن في الدار غيري ؟ قالوا : لا والله ما رميناك . قال : فمن رمانا ؟ قالوا : الله ، قال : كذبتُم ، إن الله عز وجل لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطئوننا . وأشرف عثمان على آل حزم وهم جيرانه ، فسرَّح ابنًا لعمرو إلى علي بأنهم قد منعونا الماء ، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئاً من الماء فافعلوا . وإلى طلحة وإلى الزبير ، وإلى عائشة رضي الله عنها وأزواج النبي ﷺ فكان أولهم إنجاداً له علي وأم حبيبة ، جاء علي في الغلس ، فقال : يا أيها الناس ، إن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين ، لا تقطعوا عن هذا الرجل المادة ، فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقي ، وما تعرض لكم هذا الرجل ، فيمَ تستحلون حصره وقتله ، قالوا : لا والله ولا نعمة عين ، لا نتركه يأكل ولا يشرب ، فرمى بعمامة في الدار بأني قد نهضت فيما أنهضتني ، فرجع . وجاءت أم حبيبة على بغلة لها برحالة ^(١) مشتملة على إداوة ^(٢) ، فقيل : أم المؤمنين أم حبيبة ، فضربوا وجه بغلتها ، فقالت : إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل ، فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل . فقالوا : كاذبة ، وأهروا لها وقطعوا جبل البغلة بالسيف ، فندّت بأم حبيبة ، فتلقاها الناس ، وقد مالت رحالتها ، فتملقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل ، فذهبوا بها إلى بيتها . وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة ، واستتبت أخاها ، فأبى ، فغالت : أما والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن .

وجاء حنظلة الكاتب حتى قام على محمد بن أبي بكر ، فقال يا محمد تستتبعك أم المؤمنين فلا تتبعها ، وتدعوك ذُوبان العرب إلى ما لا يحل فتتبعهم !

(١) الرحالة : السرج من الجلد يتخذ للركض الشديد ، ط ٤ - ٣٨٦ .

(٢) الإداوة : وعاء من جلد يعمعمل للماء .

فقال : ما أنت وذاك يا بن التميمية ! فقال : يا بن الخثعمية ، إن هذا الأمر
إن صار إلى التغالب غلبتك عليه بنو عبد مناف ، وانصرف وهو يقول :

عجبتُ لما يخوض الناسُ فيه يرومون الخلافة أن تزولا
ولو زالت لزال الخيرُ عنهم ولاقوا بعدها ذلاً ذليلاً
وكانوا كاليهود أو النصارى سواء كلهم ضلوا السبيلاً

ولحق بالكوفة . وخرجت عائشة وهي ممتلئة غيظاً على أهل مصر ، وجاءها
مروان بن الحكم فقال : يا أم المؤمنين ، لو أقمت كان أجدر ان يراقبوا هذا
الرجل ، فقالت : أتريد ان يصنع بي كما صنع بأُم حبيبة ، ثم لا أجِد من يمنعني !
لا والله ولا أعير ولا أدري إلامَ يسلم أمر هؤلاء ! وبلغ طلحة والزبير ما لقي
علي وأُم حبيبة . فلزموا بيوتهم ، وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات ،
عليهم الرقباء ، فأشرف عثمان على الناس ، فقال : يا عبد الله بن عباس - فدعي
له - فقال : اذهب فأنت على الموسم - وكان ممن لزم الباب - فقال : والله يا امير
المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب إليّ من الحج ، فأقسم عليه لينطلقن . فانطلق ابن
عباس على الموسم تلك السنة ، ورمى عثمان الى الزبير بوصيته ، فانصرف بها - وفي
الزبير اختلاف : أدرك مقتله أو خرج قبله - وقال عثمان : ﴿ يا قوم لا يحرمكم
شقائي أن يصديكم مثل ما أصاب قوم نوح ﴾ ^(١) ، اللهم حل بين الاحزاب وبين
ما يأملون كما فعل بأشباعهم من قبل .

[و] بعثت ^(٢) ليلي ابنة عميس الى محمد بن ابي بكر ومحمد بن جعفر ، فقالت : إن

(١) سورة هود ، الآية : ٨٩ ، أصل الآية : « ربا قوم ... » .

(٢) عن عمرو بن محمد .

المصباح يأكل نفسه ، ويضيء للناس ، فلا تأثما في امر تسوقانه الى من لا يأثم فيكما ، فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غداً ، فاتقوا ان يكون عملكم اليوم حسرة عليكم. فلجئاً وخرجاً مغضبين يقولان : لا ننسى ما صنع بنا عثمان ، وتقول : ما صنع بكما ! ألا ألزمكما الله ؟ فلقبها سعيد بن العاص ، وقد كان بين محمد بن ابي بكر وبينه شيء ، فأنكره حين لقيه خارجاً من عند ليلى ، فتمثل له في تلك الحال بيتاً :

استبقِ وُدَّكَ للصديق ولا تكن فيئاً يَعْصُ بخاذلٍ ملجاجا
فأجابه سعيد متمثلاً :

ترونَ إذاً ضرباً صميماً من الذي له جانبٌ ناءٍ عن الجُرمِ مُعْغورِ

فلما بويع الناس ^(١) جاء السابق فقدم بالسلامة ، فأخبرهم من الموسم ^(٢) أنهم يريدون جميعاً المصريين وأشياعهم ، وأنهم يريدون أن يجمعوا ذلك الى حجهم ، فلما أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور اهل الأمصار ، أعلقهم الشيطان ، وقالوا : لا يخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل ، فيشتغل بذلك الناس عنا ، ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلا قتله . فراموا الباب ، فمنعهم من ذلك الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم ، واجتلدوا ، فناداهم عثمان : الله الله ! أنتم في حلٍّ من نصرتي فأبوا ، ففتح الباب ، وخرج ومعه الترس والسيف لينهتهم ، فلما رأوه أدبر المصريون ، وركبهم هؤلاء ونهتهم ، فتراجعوا وعظم على الفريقين ، وأقسم

(١) عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، ط ٤ - ٣٨٧ .

(٢) أي من أمر أهل الموسم .

على الصحابة ليدخلن، فأبوا ان ينصرفوا ، فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين، وقد كان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حج ، ثم تعجل في نفر حجوا معه ، فأدرك عثمان قبل ان يقتل وشهد المناوشة ، ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل ، وقال : ما عذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت ؟ فاتخذ عثمان تلك الأيام القرآن نخباً^(١) ، يصلي وعنده المصحف ، فإذا أعياء جلس فقرأ فيه - وكانوا يرون القراءة في المصحف من العبادة - وكان القوم الذين كفكفهم بينه وبين الباب ، فلما بقي المصريون لا يمنهم احد من الباب ولا يقدرّون على الدخول جاؤوا بنار ، فأحرقوا الباب والسقيفة ، فتأجج الباب والسقيفة ، حتى اذا احترق الخشب خرّت السقيفة على الباب ، فثار اهل الدار وعثمان يصلي ، حتى منعوهم الدخول ، وكان اول من برز لهم المغيرة بن الأخنس ، وهو يرتجز :

قد علمت جارية 'عطبول' ذات' وشاح ولها جديل
أني بنصل السيف خنشليل' لأمنعن منكم خلي
بصارم ليس بذي فلول

وخرج الحسن بن علي وهو يقول :

لا دينهم ديني ولا أنا منهم حتى أسير الى طَبَّارِ شَمَام

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول :

أنا ابن من حامى عليه بأحد' وردّ أحزاباً على رغم مَعَدّ

(١) أي مأ وعبادة .

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول :

صبرنا غداة الدار والموت واقبُ بأسيا فنادى ابن أروى نضاربُ
وكنا غداة الروح في الدار نصرةً نشافهم بالضرب والموت ناقبُ

فكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير ، وأمره عثمان أن يصير الى أبيه في وصية بما أراد ، وأمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالانصراف الى منازلهم ، فخرج عبد الله بن الزبير آخرهم ، فما زال يدعي بها ، ويحدث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه .

وأحرقوا ^(١) الباب وعثمان في الصلاة ، وقد افتتح ﴿ طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ ^(٢) - وكان سريع القراءة ، فما كثره ما سمع ، وما يخطيء وما يتمتع حتى أتى عليها قبل أن يصلوا اليه - ثم عاد فجلس الى عند المصحف وقرأ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ^(٣) .

وارتجز المفيرة بن الأخنس وهو دون الدار في أصحابه :

قد عليمَت ذات القرون الميل والحلي والأنامل الطُفول
لتصدُقَنَّ بيعتي خلي بصارمٍ ذي رونق مصقول
لا أستقيلُ إن أفلتُ قيلي

(١) عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان . ط ٤ - ٣٨٩ .

(٢) سورة طه ، الآية : ١ - ٢ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣ .

وأقبل أبو هريرة ، والناس يحجمون عن الدار إلا أولئك العصابة ، قد سروا فاستقتلوا ، فقام معهم وقال : أنا إيسوتكم ، وقال : هذا يوم طاب أمضرب - يعني أنه حل القتال وطاب ، وهذه لغة حمير - ونادى : يا قوم ، مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى انصار ! وبادر مروان يومئذ ونادى : رجل رجل ، فبرز له رجل من بني ليث يدعى النّباع ، فاختلفا ، فضربه مروان أسفل رجليه ، وضربه الآخر على أصل العنق فقلّبه ، فانكبّ مروان ، واستلقى ، فاجترّ هذا أصحابه ، واجتر الآخر أصحابه ، فقال المصريون : أما والله لولا أن تكونوا حجة علينا في الأمة لقد قتلناكم بعد تحذير ، فقال المغيرة : من يبارز ؟ فبرز له رجل فاجتلد ، وهو يقول :

أضربهم باليأس ضرب غلام بائس
من الحياة آيس

فأجابه صاحبه : ... ^(١) وقال الناس : قتل المغيرة بن الأخنس . فقال الذي قتله : إنّا لله ! فقال له عبد الرحمن بن عديس : مالك ؟ قال : إني أتيت فيما يرى النائم ، ففيل لي : بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار ، فابتليت به . وقتل قبّاث الكِناني نيار بن عبد الله الأسلمي ، واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتى ملؤها ولا يشمر الذين بالباب . وأقبلت القبائل على أبنائهم ، فذهبوا بهم إذ غلبوا على أميرهم ، وندبوا رجلاً لقتله ، فانتدب له رجل ، فدخل عليه البيت ، فقال : اخلعها وندعك ، فقال : ويحك ! والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام ، ولا تغنيت ولا تمنيت ، ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله ﷺ ولست خالعاً قبيصاً كسانيه الله عز وجل ، وأنا على مكاني حتى يكرم الله أهل السعادة ، ويهين أهل الشقاء .

(١) كلام ناقص لم أجده في مراجع أخرى ، ط ٤ - ٣٩٠ .

مقتل عثمان :

فخرج ، وقالوا : ما صنعت ؟ فقال : علقنا والله ، والله ما ينجينا من الناس إلا قتله ، وما يحل لنا قتله ، فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث ، فقال : ممن الرجل ؟ فقال : ليثي ، فقال : لست بصاحب ، قال : وكيف ؟ فقال أألسـت الذي دعا لك النبي ﷺ في نفر أن تحفظوا يوم كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال : فلن تضيع ، فرجع وفارق القوم ، فأدخوا عليه رجلاً من قريش ، فقال : يا عثمان ، إني قاتلك ، قال : كلا يا فلان ، لا تقتلني ، قال : وكيف ؟ قال : إن رسول الله ﷺ استغفر لك يوم كذا وكذا ، فلن تقارف دماً حراماً . فاستغفر ورجع ، وفارق أصحابه فأقبل عبد الله بن سلام حتى قام على باب الدار ينهاهم عن قتله ، وقال : يا قوم ، لا تسلوا سيف الله عليكم ، فوالله إن سللتموه لا تغمدوه ، ويلكم ! إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرّة ، فإن قتلتموه لا يقيم إلا بالسيف . ويلكم ! إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله ، والله لئن قتلتموه لتتركنها ، فقالوا : يا بن اليهودية ، وما أنت وهذا ؟ فرجع عنهم .

قالوا : وكان آخر من دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر ، فقال له عثمان : ويلك ! أعلى الله تغضب ؟ هل لي إليك جرم إلا حقّه ^(١) أخذته منك ! فنكل ورجع .

قالوا : فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره ، ثار قتيبة وسودان ابن حمران السكونيان ، والغافقي ، فضربه الغافقي بحديدة معه ، وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف ، فاستقر بين يديه ، وسالت عليه الدماء ، وجاء سودان بن حمران ليضربه ، فانكبت عليه نائلة ابنة الفرافصة ، واتقت

(١) لعلها « لا أحقه » بمعنى لا أذكره ، ط ٤ - ٣٩١ . والأرجح أن المقصود إلا حق الله

السيف بيدها ، فتعمدها ، ونفح أصابعها ، فأطنَّ أصابع يدها وولت ، فغمز أوراكها ، وقال : إنها لكبيرة العجيزة ، وضرب عثمان فقتله ، ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه - وقد كان عثمان أعتق من كف منهم - فلما رأوا سودان قد ضربه ، أهوى له بعضهم فضرب عنقه فقتله ، ووثب قتيرة على الغلام فقتله ، وانتهبوا ما في البيت ، وأخرجوا من فيه ، ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى . فلما خرجوا الى الدار ، وثب غلام لعثمان آخر على قتيرة فقتله ، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا ، حتى تناولوا ما على النساء ، وأخذ رجل ملاءة نائلة - والرجل يدعى كلثوم بن نجيب - فتنحنت نائلة ، فقال : ويح أمك من عجيذة ما أتمك ! وبصر به غلام لعثمان فقتله وقُتل ، وتنادى القوم : أبصر رجل من صاحب بيت المال في الدار : أدركوا بين المال لا تسبقوا اليه ، وسمع اصحاب بيت المال اصواتهم ، وليس فيه إلا غرارثان ، فقالوا : النجاء ، فإن القوم إنما يحاولون الدنيا ، فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه ، وماج الناس فيه ، فالتانى^(١) يسترجع ويبكي ، والطارىء يفرح . وندم القوم ، وكان الزبير قد خرج من المدينة ، فأقام على طريق مكة لئلا يشهد مقتله ، فلما أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! رحم الله عثمان . وانتصر له له ، وقيل : إن القوم نادمون ، فقال : دبّروا دبّروا ﴿ وَحِيلَ بينهم وبينَ ما يشْتَهُونَ ۖ ﴾ الآية^(٢) . وأتى الخبر طلحة ، فقال : رحم الله عثمان ! وانتصر له وللإسلام ، وقيل له : إن القوم نادمون ، فقال : تبّاً لهم ! وقرأ ﴿ فلا يستطيعون توصيةً ولا الى أهلهم يرجعون ﴾^(٣) . وأتى عليّ فقيلاً : قُتِلَ عثمان ، فقال :

(١) التانىء : المقيم . ط ٤ ٣٩٢ .

(٢) سورة سبأ ، الآية : ٥٤ .

(٣) سورة يس ، الآية : ٥٠ .

رحم الله عثمان ، وخلف علينا بخير ! وقيل ندم القوم ، فقرأ ﴿ كمثل الشيطان
إذ قال للانسان اكفر ... ﴾ الآية (١) . وطلب سعد ، فإذا هو في حائطه ، وقد
قال : لا أشهد قتله ، فلما جاءه قتله قال : فررنا إلى المدينة 'تديننا ، وقرأ :
﴿ الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ (٢) .
اللهم أذنبهم ثم خذهم .

وعن المغيرة بن شعبة (٣) أنه قال : قلت لعلي : إن هذا الرجل مقتول ،
وإنه إن قتل وأنت بالمدينة اتخذوا فيك ، فخرج فكن بمكان كذا وكذا ،
فإنك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس . فأبى وحضر عثمان إثنين
وعشرين يوماً ، ثم أحرقوا الباب ، وفي الدار أناس كثير ، فيهم عبدالله بن الزبير
ومروان ، فقالوا : ائذن لنا ، فقال : إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً ، فأنا صابر
عليه ، وإن القوم لم يحرقوا باب الدار إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه ،
فأحرج على رجل يستقتل ويقاقل (٤) .

وخرج الناس كلهم ، ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده ، فقال : إن
أباك الآن لفي أمر عظيم ، فأقسمت عليك لما خرجت ! وأمر عثمان أبا كَرِب
— رجلاً من همدان — وآخر من الأنصار أن يقيما على باب بيت المال ، وليس
فيه إلا غرارثان من ورق (٥) . فلما أطفئت النار بعدما ناوشهم ابن الزبير

(١) سورة الحشر ، الآية : ١٦ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١٠٤ .

(٣) عن المجالد ، عن الشعبي عن المغيرة بن شعبة : ط ٤ - ٣٩٢ .

(٤) ابن الأثير « أو يقاتل »

(٥) الورق : الفضة .

ومروان ، وتوعد محمد بن أبي بكر ابن الزبير ومروان ، فلما دخل على عثمان هربا . ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان ، فأخذ بلحيته ، فقال : أرسل لحيتي ، فلم يكن أبوك ليتناولها ، فأرسلها . ودخلوا عليه ، فنهزم من يحبوه بنصل سيفه ، وآخر يلكزه ، وجاءه رجل بمشاقص معه ، فوجأه في ترقوته ، فسال الدم على المصحف ، وهم في ذلك يهابون في قتله ، وكان كبيراً ، وغشي عليه . ودخل آخرون ، فلما رأوه مغشياً عليه جرؤوا برجله ، فصاحت نائلة وبناته ، وجاء التَّجِيبِي مختطفاً سيفه ليضعه في بطنه ، فوقته نائلة ، فقطع يدها ، واتكأ بالسيف عليه في صدره . وقتل عثمان رضي الله عنه قبل غروب الشمس ، ونادى منادٍ : ما يحلّ دمه ويخرج ماله ، فانتهبوا كل شيء ، ثم تبادروا بيت المال ، فألقى الرجلان المفاتيح ونجوا ، وقالوا : الهرب الهرب ! هذا ما طلب القوم .

بعض سير عثمان بن عفان رضي الله عنه :

كان عمر بن الخطاب ^(١) قد حَجَرَ على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا باذن وأجل ، فشكوه فبلغه ، فقام فقال : ألا إني قد سنت الاسلام سنّ البعير ، يبدأ فيكون جذعاً ، ثم ثنياً ، ثم رابعياً ، ثم سديساً ، ثم بازلاً ^(٢) ، ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان ! ألا فان الاسلام قد بَزَلَ . ألا وان قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ، ألا فأما وابن الخطاب هي فلا ، إني قائم دون شعب الحرة ، آخذ بحلّاقم قريش وحُجَزَها أن يتهافتوا في النار .

(١) عن عبارة بن القعقاع ، عن الحسن البصري ، ط ٤ - ٣٩٦ .

(٢) الثني : الذي يلقي ثنيته (٣ سنوات) والجذع قبله ، والرابعي : الذي ألقى رابعيته وهو بعد الثني ، والسديس : ما أتت عليه السادسة ، والبازل : الذي انشق فابه بدخوله في السنة التاسعة .

فلما ولي عثمان ^(١) لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر ، فانساحوا في البلاد ، فلما رأوها ورأوا الدنيا ، ورآهم الناس ، انقطع اليهم من لم يكن له طول ولا مزية في الاسلام ، فكان مغموماً ^(٢) في الناس ، وصاروا أوزاعاً اليهم وأملوهم ، وتقدموا في ذلك فقالوا : يملكون فنكون قد عرفناهم ، وتقدمنا في التقريب والانقطاع اليهم ، فكان ذلك أول وهن دخل على الاسلام وأول فتنة كانت في العامة ، ليس إلا ذلك .

آراء متفرقة في تحليل الفتنة :

لم يمض عمر رضي الله عنه حتى ملته قريش ^(٣) ، وقد كان حصرهم بالمدينة ، فامتنع عليهم ، وقال : إنَّ أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد ، فإن كان الرجل ليستأذنه في الغزو - وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين ، ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من اهل مكة - فيقول : قد كان في غزوك مع رسول الله ﷺ ما يبلتغك ، وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك ، فلما ولي عثمان خلّى عنهم ، فاضطربوا في البلاد ، وانقطع اليهم الناس ، فكان أحب اليهم من عمر .

[و] لما ولي عثمان ^(٤) حج سنواته كلها إلا آخر حجة ، وحج بأزواج رسول الله ﷺ كما كان يصنع عمر ، فكان عبد الرحمن بن عوف في موضعه ، وجعل في

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٣٩٧ .

(٢) مغموماً . أي مفطى وهو استعمال قديم لأهل المدينة (شفاء الغليل ص : ١٩٣) .

(٣) عن عمرو ، عن الشعبي .

(٤) عن مبشر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله .

موضع نفسه سعيد بن زيد ، هذا في مؤخر القطار ، وهذا في مقدمه ، وأمن الناس ، وكتب في الأمصار أن يوافيه العمال في كل موسم ومن يشكوههم . وكتب الى الناس الى الأمصار ، ان ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، ولا يذل المؤمن نفسه ، فأني مع الضعيف على القوي ، ما دام مظلوماً إن شاء الله ، فكان الناس بذلك ، فجرى ذلك الى ان اتخذ أقوام وسيلة الى تفريق الأمة .

[و] لم تمض سنة ^(١) من إمارة عثمان حتى اتخذ رجال من قریش أموالاً في الأمصار ، وانقطع اليهم الناس ، وثبتوا سبع سنين ، كل قوم يحبون ان يلي صاحبهم . ثم ان ابن السوداء أسلم ، وتكلم وقد فاضت الدنيا وطلعت الأحداث على يديه ، فاستطالوا عمر عثمان رضي الله عنه .

[وقد كان] اول منكر ^(٢) ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا ، وانتهى 'وسع الناس طيران الحمام والرمي على الجلاهاقات ^(٣) ، فاستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمان ، فقصها وكسر الجلاهاقات .

[وهكذا فإن] أول من منع الحمام الطيارة ^(٤) والجلاهاقات عثمان ، ظهرت بالمدينة فأمر عليها رجلاً ، فمنعهم منها .

[وفي رواية اخرى] ^(٥) زيادة : وحدث بين الناس النشؤ . قال : فأرسل عثمان طائفاً يطوف عليهم بالمعصا ، فمنعهم من ذلك ، ثم اشتد ذلك فأفشى

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٣٩٨ .

(٢) عن عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن أبيه .

(٣) الجلاهاق : قوس البندق الذي يرمى به .

(٤) عن محمد بن عبد الله ، عن عمرو بن شعيب .

(٥) عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد ، عن أبيه .

الحدود ، ونبأ ذلك عثمان ، وشكاه الى الناس ، فاجتمعوا على أن يجلدوا في
النبيذ ، فأخذ نفر منهم فجلدوا .

[و] لما حدثت الأحداث ^(١) بالمدينة ، خرج منها رجال الى الأمصار
مجاهدين ، وليدنوا من العرب ، فممنهم من أتى البصرة ، ومنهم من أتى الكوفة ،
ومنهم من أتى الشام ، فهجموا جميعاً من أبناء المهاجرين بالأمصار على مثل ما
حدث في أبناء المدينة إلا ما كان من أبناء الشام ، فرجعوا جميعاً الى المدينة إلا من
كان بالشام ، فأخبروا عثمان بنخبرهم ، فقام عثمان في الناس خطيباً فقال : يا أهل
المدينة ، أنتم أصل الاسلام ، وإنما يفسد الناس بفسادكم ويصلحون بصلاحكم ،
والله ، والله ، والله ، لا يبلغني عن احد منكم حدث أحدثه إلا سيرته ، ألا فلا
أعرفن احداً عرض دون اولئك بكلام ولا طلب ، فإن من كان قبلكم كانت
تقطع اعضاؤهم دون ان يتكلم احد منهم بما عليه ولا له . وجعل عثمان لا يأخذ
احداً منهم على شر او شهر سلاح - عصا فما فوقها - إلا سيره ، فضج آباؤهم
من ذلك حتى بلغه أنهم يقولون : ما أحدث التسيير ^(٢) إلا أن رسول الله ﷺ
سير الحكم بن ابي العاص ، فقال : إن الحكم كان مكياً ، فسيره رسول الله
ﷺ منها الى الطائف ، ثم رده الى بلده ، فرسول الله ﷺ سيره بذنبه ، ورسول
الله ﷺ رده بعفوه . وقد سير الخليفة من بعده ، وعمر رضي الله عنه من بعد
الخليفة ، وأيم الله لآخذن العفو من أخلاقكم ، ولأبدلنه لكم من خلقي ، وقد
دنت امور ، ولا احب ان تحل بنا وبكم ، وأنا على وجلٍ وحذر ، فاحذروا
واعتبروا .

(١) عن مبشر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله .

(٢) التسيير : هو النفي بالمعنى المعروف حالياً تقريباً .

[وقد] سأل سائل سعيد بن المسيب^(١) عن محمد بن أبي حذيفة: ما دعاه الى الخروج على عثمان؟ فقال: كان يتيماً في حجر عثمان، فكان عثمان والي أيتام أهل بيته، ومحتمل كلهم، فسأل عثمان العمل حين وُلِّيَ، فقال: يا بني، لو كنت راضاً ثم سألتني العمل لاستعملتك، ولكن لست هناك! قال: فاذن لي فلأخرج فلأطلب ما يقوتني، قال: اذهب حيث شئت، وجهزه من عنده، وحمله وأعطاه، فلما وقع الى مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية. قيل: فعمار ابن ياسر؟ قال: كان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب كلام، فضربها عثمان، فأورث ذلك بين آل عمار وآل عتبة شراً حتى اليوم وكنتى عما ضربا عليه وفيه.

قال مبشر^(٢): سألت سالم بن عبد الله عن محمد بن أبي بكر: ما دعاه الى ركوب عثمان؟ فقال: الغضب والطمع، قلت: ما الغضب والطمع؟ قال: كان من الاسلام بالمكان الذي هو به، وغرّه أقوام فطمع. وكانت له دالة فلزمه حق، فأخذ عثمان من ظهره، ولم يدهن، فاجتمع هذا الى هذا، فصار مذمماً بعد أن كان محمداً.

لما ولي عثمان لان لهم، فانتزع الحقوق انتزاعاً، ولم يعطل حقاً، فأحبوه على لينه، فأسلمهم ذلك الى أمر الله عز وجل.

[و] كان مما أحدث عثمان^(٣) فرضي به منه، أنه ضرب رجلاً في منازعة استخف فيها بالعباس بن عبد المطلب، فقبل له، فقال: نعم، أيفحّم

(١) عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ويحيى بن سعيد.

(٢) عن مبشر.

(٣) عن سهل، عن القاسم.

رسول الله ﷺ عنه ، وأرخص في الاستخفاف به ! لقد خالف رسول الله ﷺ
مَن فعل ذلك ، ومَن رضي به منه .

قال مُحمران بن أبان ^(١) : أرسلني عثمان الى العباس بعدما بويع ، فدعوته
اليه ، فقال : مالك تعبدتني ! قال : لم أكن قط أحوج اليك مني اليوم ، قال :
الزم خمساً ، لا تنازعك الأمة خزائنها ما لزمها ، قال : وما هن ؟ قال : الصبر
عن القتل ، والتجيب ، والصفح ، والمداراة ، وكتان السر .

[و] بلغ عثمان ^(٢) أن ابن ذي الحبكة النّهدي يعالج نيرنجاً - قال محمد بن
سلمة : إنما هو نيرج ^(٣) - فأرسل الى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك ، فإن
أقرّ به فأوجعه ، فدعا به فسأله ، فقال : إنما هو رفق وأمرٌ يعجب منه ، فأمر
به فعزّر ، وأخبر الناس خبره ، وقرأ عليهم كتاب عثمان : إنه قد جُدّ بكم ،
فعلیکم بالجدّ ، وإياكم والهزّال ، فكان الناس عليه ، وتعجبوا من وقوف عثمان
على مثل خبره ، فغضب ، فنفر في الذين نفروا ، فضرب معهم ، فكتب الى عثمان
فيه ، فلما سيّر الى الشام من سيّر ، سيّر كعب بن ذي الحبكة ومالك بن
عبد الله - وكان دينه كدينه - الى دُنباوند ، لأنها أرضٌ سَحيرة ، فقال في
ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد :

لعمري لئن طردتني ما إلى التي طمعتَ بها من سقطتي لسبيل
رَجوتُ رجوعي يابن أروى ورجعتي إلى الحق دهرأ غال ذلك غول

(١) عن رزيق بن عبد الله الرازي ، عن علقمة بن مرثد .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٠١ .

(٣) النيرج : أخذ كالسحر وليس به .

وإن اغترابي في البلاد وجفوتي وشمتي في ذات الإله قليل
وإن دُعائي كل يومٍ وليلة عليك بدُنيا ونَدِمَ كَطَوِيلُ
فلما ولي سعيد أقفله، وأحسن إليه واستصلحه، فكفره، فلم يزد إلا فساداً.

واستعار ضايء بن الحارث البرهمي في زمان الوليد بن عقبة من قوم من
الأنصار كلباً يدعى قرحان، يصيد الطباء، فحبسه عنهم، فنافره الأنصار يون
واستعانوا عليه بقومه فكاثروه، فانتزعوه منه وردوه على الأنصار، فهجّاهم
وقال في ذلك :

تحشّم دوني وفدُ قرحان خطة تضلُّ لها الوجناء وهي حسيرُ
فباتوا شباعاً ناعمين كأنما حبّاهم بيت المرزبان أمير
فكلبكم لا تترُكوا فهو أممكم فإنّ عقوق الأمهات كبيرُ

فاستعدوا عليه عثمان، فأرسل إليه، فعزّره وحبسه كما كان يصنع بالمسلمين،
فاستنقل ذلك، فما زال في الحبس حتى مات فيه. وقال في الفتك يعتذر
إلى أصحابه :

حمتُ ولم أفعل وكدت وليتني فعَلْتُ وولَّيتُ البكاءَ حلائله
وقائلة قد مات في السجن ضايء ألا من لحصم لم يَحمِد من يجادله
وقائلة لا يبعد الله ضائباً فنعم الفتى تخلو به وتحاوله

فلذلك صار عمير بن ضايء سبياً.

عن المستنير، عن أخيه قال (١) : والله ما علمت ولا سمعت بأحد غزا عثمان

(١) عن سيف، عن المستنير، ط ٤ - ٤٠٣.

رضي الله عنه ، ولا ركب إليه إلا قتل ، لقد اجتمع بالكوفة نفرٌ ، فيهم الأشر
وزيد بن صُوحان وكعب بن ذي الحُبكة وأبو زينب وأبو مورّع وكميل بن
زياد وعمير بن ضابيء ، فقالوا : لا والله لا يُرفع رأسٌ ما دام عثمان على الناس ،
فقال عمير بن ضابيء ، وكميل بن زياد : نحن نقتله . فركبا إلى المدينة ، فأما عمير
فإنه نكل عنه ، وأما كميل بن زياد فإنه حسر وثاوره ، وكان جالساً يرصده حتى
أتى عليه عثمان ، فوجأ عثمان وجهه ؛ (فوقع على أسته ، وقال : أوجعتني يا أمير
المؤمنين ! قال : أولستَ بفاتك ؟ قال : لا والله الذي لا إله إلا هو ، فحلف
وقد اجتمع عليه الناس ، فقالوا : نفتشه يا أمير المؤمنين ، فقال : لا ، قد رزق
الله العافية ، ولا أشتي أن أطلع منه على غير ما قال . وقال : إن كان كما
قلت يا كميل فاقتدُ مني - وجئنا - فوالله ما حسبتك إلا تريدني ، وقال إن كنتَ
صادقاً فأجزل الله ، وإن كنت كاذباً فأذّل الله . وقعد له على قدميه وقال :
دونك ! قال : قد تركت .

فبقيا حتى أكثر الناس في نجائهما ، فلما قدم الحجاج قال : من كان من بعث
المهلب فليواف مكتبه ، ولا يجعل على نفسه سبيلاً . فقام إليه عمير ، وقال :
إني شيخ ضعيف ، ولي ابنان قويان ، فأخرج أحدهما مكاني أو كليهما ، فقال :
من أنت ؟ قال : أنا عمير بن ضابيء ، فقال : والله لقد عصيت الله عز وجل
منذ أربعين سنة ، والله لأنكئن بك المسلمين ، غضبت لسارق الكلب ظالماً ،
إن أباك إذ غل لهم ، وإنك هممت ونكلت ، وإني أهمُّ ثم لا أنكل . فضربت
عنقه .

قال سيف : حدثنا رجل من بني أسد ، قال : كان من حديثه أنه كان قد
غزا عثمان رضي الله عنه فيمن غزاه ، فلما قدم الحجاج ونادى بما نادى به ، عرض

رجل عليه ما عَوَّضَ نفسه ، فقبل منه ، فلما ولَّى قال اسماء بن خارجة : لقد كان شأن عمير بما يهمني ، قال : ومن عمير ؟ قال : هذا الشيخ ، قال :

ذكرتني الطعن وكنت ناسياً^(١)

أليس فيمن خرج إلى عثمان ؟ قال : بلى ، قال : فهل بالكوفة أحد غيره ؟ قال : نعم ، كميل ، قال : عليّ بعمير ، ف ضرب عنقه ، ودعا بكيل فهرب ، فأخذ النّخع به ، فقال له الأسود بن الهيثم : ما تريد من شيخ قد كفاكه الكبير ! فقال : أما والله لتحبسنّ عني لسانك أو لأحسّنّ رأسك بالسيف . قال : افعل . فلما رأى كميل ما لقيَ قومه من الخوف وهم ألفا مقاتل ، قال : الموت خير من الخوف إذا أخيف ألفان من سببي وحرّموا . فخرج حتى أتى الحجاج ، فقال له الحجاج : أنت الذي أردت ثم لم يكشفك أمير المؤمنين ، ولم ترضَ حتى أقعدته للقصاص إذ دفعك عن نفسه ؟ فقال : على أي ذلك تقتلني ! تقتلني على عفوهِ أو على عافيتي ؟ قال : يا أدهم بن الحرز ، اقتله ؛ قال : والأجر بيني وبينك ؟ قال : نعم ، قال أدهم : بل الأجر لك ، وما كان من إثم فعلي . وقال مالك بن عبد الله - وكان من المسيرين :

مَضَتْ لابنِ أروى في كُميلٍ ظلامَةٌ

عفاها له والمستفيدُ يُلامُ

وقال له لا أقبحُ اليومَ مثلاً عليكَ أبا عمرو وأنتَ إمامُ

رؤيدكَ رأسي والذي نسكّت له قریشٌ بنا على الكبير حرامُ

(١) مثل تستعمله العرب .

وَالْعَفْوِ أَمِنْ تُعْرِفُ النَّاسُ فَضْلَهُ وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْقِصَاصِ أَثَامٌ
وَلَوْ عَلِمَ الْفَارُوقُ مَا أَنْتَ صَانِعٌ نَهَى عَنْكَ نَهْيًا لَيْسَ فِيهِ كَلَامٌ

دفن عثمان رضي الله عنه :

لما قتل عثمان ^(١) أرسلت نائلة الى عبد الرحمن بن عديس ، فقالت له : إنك
أمسّ القوم رحماً ، وأولاهم بأن تقوم بأمرى ، اغرب عني هؤلاء الأموات .
قال : فشتمها وزجرها ، حتى إذا كان في جوف الليل خرج مروان حتى أتى
دار عثمان ، فأتاه زيد بن ثابت وطلحة بن عبيد الله وعلي والحسن وكعب بن مالك
وعامة من ثم من صحابه ، فتوافى الى موضع الجنائز صبيان ونساء ، فأخرجوا
عثمان فصلى عليه مروان ، ثم خرجوا به حتى انتهوا إلى البقيع ، فدفنوه فيه مما
يلي حشّ كوكب ، حتى إذا أصبحوا أتوا أعبد عثمان الذين قتلوا معه فأخرجوهم ،
فرأوهم فمنعوهم من أن يدفنوا ، فأدخلوهم حشّ كوكب ، فلما أمسوا خرجوا
بعبدين منهم فدفنوهما إلى جنب عثمان ، ومع كل واحد منها خمسة نفر وامرأة ،
فاطمة أم ابراهيم بن عدي ، ثم رجعوا فأتوا كنانة بن بشر ، فقالوا : إنك أمسّ
القوم بنا رحماً ، فأمر بهاتين الجيفتين اللتين في الدار أن تخرجا ، فكلهم في
ذلك ، فأبوا ، فقال : أنا جار لآل عثمان من أهل مصر ومن لف لفهم ، فأخرجوهما
فارموا بهما ، فجرّأ بأرجلهما ، فرمي بهما على البلاط ، فأكلتها الكلاب ، وكان
العبدان اللذان قتلوا يوم الدار يقال لهما نُجَيْحٌ وصَبِيحٌ ، فكان اسماهما الغالب على

(١) عن أبي حارثة ، وأبي عثمان ومحمد وطلحة ، ط ٤ - ٤١٤ .

الرفيق لفضلها وبلائها ، ولم يحفظ الناس اسم الثالث ، ولم يغسل عثمان ، وكُفّن في ثيابه ودماؤه ولا غُسل غلاماه .

ودفن^(١) عثمان رضي الله عنه في الليل ، وصلى عليه مروان بن الحكم ، وخرجت ابنته تبكي في أثره ، ونائلة ابنة الفرافصة ، رحمهم الله .

وكان قتل^(٢) عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة لثاني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين [٣٥ هـ] على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر رضي الله عنه . وقُتل وهو ابن ثلاث وستين سنة^(٣) .

ولاية الأمصار عند وفاة عثمان :

مات عثمان^(٤) رضي الله عنه وعلى الشام معاوية ، وعامل معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة ، وعلى الاردن أبو الأعور بن سفيان ، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكناني ، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزاري ، وعلى القضاء أبو الدرداء .

(١) عن مجالد ، عن الشعبي ، ط ٤ - ٤١٥ .

(٢) عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، ط ٤ - ٤١٦ .

(٣) يبدو أن هنا خطأ بين ٦٣ و ٨٣ ، لأن الرواة اختلفوا في عمره بين ٨٢ و ٩٠ سنة ، رواقع حاله رضي الله عنه يدل أنه كان قد جاوز الثمانين .

(٤) عن أبي حارثة وأبي عثمان ط ٤ - ٤٢١ .

وفي رواية سيف عن عطية ^(١) : مات عثمان رضي الله عنه ، وعلى الكوفة ، على صلاتها أبو موسى ، وعلى خراج السواد جابر بن عمرو المزني - وهو صاحب المعناة الى جانب الكوفة - وسماك الأنصاري . وعلى حربها القعقاع بن عمرو ، وعلى قرقيسياء جرير بن عبد الله ، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس ، وعلى حلوان عتيبة بن النّشاس ، وعلى ماه مالك بن حبيب ، وعلى همدان النّسير ، وعلى الري سعيد بن قيس ، وعلى اصبهان السائب بن الأقرع ، وعلى ماسبذان حبّيش ، وعلى بيت المال عقبة بن عمرو . وكان على قضاء عثمان يومئذ زيد بن ثابت .

بعض خطب عثمان :

خطب عثمان الناس بعدما بويع فقال ^(٢) :

أما بعد ، فإني قد حملت وقد قبلت ، ألا وإني متّبع ولست بمبتدع ؛ ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله عز وجل وُسْنَةٌ نبيه ﷺ ثلاثاً : اتباع مَنْ كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم ، وسُنُّ سُنَّةِ أَهْلِ الْخَيْرِ فيما لم تسنّوا عن ملأ ، والكف عنكم إلا فيما استوجبتم . ألا وإن الدنيا خَصِرَةٌ قد شَهِيَتْ الى الناس ، ومال اليها كثير منهم . فلا تركنوا الى الدنيا ولا تثقوا بها ، فإنها ليست بثقة ، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها .

[و] آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه في جماعة ^(٣) :

(١) ط ٤ - ٤٢٢ .

(٢) عن القاسم بن محمد ، عن عون بن عبد الله بن عتبة . ط ٤ - ٤٢٢ .

(٣) عن بدر بن عثمان ، عن عمه .

إن الله عزّ وجلّ إنّما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يُعْطِكُوهَا
لتركنوا اليها . إن الدنيا تفتنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفانية ، ولا
تشغلنكم عن الباقية ، فأثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن
المصير الى الله . إتقوا الله جلّ وعزّ ، فإن تقواه جنةٌ من بأسه ، ووسيلةٌ عنده ،
واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً ، ﴿واذكروا
نعمةَ الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّفَ بين قلوبكم فأصبحتُمْ بنعمته
إخواناً﴾ (١) .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .

خِلافَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

الدولة بلاد خليفة :

بقيت المدينة ^(١) بعد قتل عثمان رضي الله عنه خمسة أيام ، وأميرها الغافقي ابن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجردونه ، يأتي المصريون علياً فيختبئ منهم ويلوذ بجيطان ^(٢) المدينة ، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقاتلتهم مرة بعد مرة ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجردونه ، فأرسلوا إليه حيث هو رسلاً ، فباعدهم وتبرأ من مقاتلتهم ، ويطلب البصريون طلحة ، فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقاتلتهم مرة بعد مرة ، وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يهودون ، فلما لم يجدوا ممالئاً ولا مجيئاً جمعهم الشر على أول من أجاهم ، وقالوا : لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة ، فبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا : إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع ، فاقدّم نبأيعك ، فبعث اليهم : إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حال ، وتمثل :

لا تَخْلِطَنَّ خَبِيثَاتٍ بِطَيِّبَةٍ واخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَانْجُ عُرْيَاناً

ثم إنهم أتوا ابنَ عمر عبد الله ، فقالوا : أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر ، فقال :

(١) عن محمد بن عبد الله بن سواد بن نيرة ، وطلحة بن الأعلم ، وأبي حارثة ، وأبي عثمان ، ط ٤ - ٤٣٢ .
(٢) أي بساتين المدينة .

إن لهذا الأمر انتقاماً ، والله لا أتعرض له ، فالتمسوا غيري . فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون والأمر أمرهم .

وكانوا إذا لقوا طلحة أبى وقال ^(١) :

ومن عَجَبِ الأيام والدهر أنني بقيتُ وحيداً لا أميرٌ ولا أحلي

فيقولون : إنك لتوعدنا . فيقومون فيتركونه ، فإذا لقوا الزبير وأرادوه أبى وقال :

متى أنت عن دارٍ بفيحان راحلٌ وباحتِها تخنو عليك الكتاب

فيقولون : إنك لتوعدنا ! فإذا لقوا علياً وأرادوه أبى ، وقال :

لو أن قومي طاوعتني سَراتهم أمرتهم أمراً يديخ الأعدايا

فيقولون : إنك لتوعدنا ! فيقومون ويتركونه .

[و] لما كان يوم الخميس ^(٢) على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضي الله عنه ، جمعوا أهل المدينة ، فوجدوا سعداً والزبير خارجين ، ووجدوا طلحة في حائط له ، ووجدوا بني أمية قد هربوا إلا من لم يُطِيق الهرب ، وهرب الوليد وسعيد إلى مكة في أول من خرج ، وتبعهم مروان ، وتتابع على ذلك من تتابع ، فلما

(١) عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد .

(٢) عن أبي حارثة وأبي عثمان ، ط - ٤٣٣ .

اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر : أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون الامامة ، وأمركم عابر ^(١) على الأمة ، فانظروا رجلاً تنصبونه ، ونحن لكم تبّع ، فقال الجمهور : علي بن أبي طالب نحن به راضون .

المبايعة لعلي :

فقالوا لهم ^(٢) : دونكم يا أهل المدينة فقد أجلناكم يومين ، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً . فغشي الناس علياً ، فقالوا : نبأيمك فقد ترى ما نزل بالإسلام ، وما ابتئسنا به من ذوي القربى ^(٣) فقال علي : دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول . فقالوا : نشدك الله ألا ترى ما نرى ! ألا ترى الإسلام ! ألا ترى الفتنة ! ألا تخاف الله ! فقال قد أحببتكم لما أرى ، واعلموا ان أحببتكم ركبتمكم ما أعلم ، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم ، إلا أني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم . ثم افترقوا على ذلك واتعدوا القد.

وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا : إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت . فبعث البصريون إلى الزبير بصرياً ، وقالوا : إحذر لا تحادّه - وكان رسولهم حُكَيْم ابن جبلة العبدي في نفر - فجاءوا به يحدّونه بالسيف . وإلى طلحة كوفياً ، وقالوا له : إحذر لا تحادّه ، فبعثوا الأشر في نفر فجاءوا به يحدّونه بالسيف . وأهل الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبهم ، وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة ، وقد خضع أهل الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعاً

(١) ابن الأثير « جائز » .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٣٤ .

(٣) ابن الأثير والنويري « بين القرى » .

لأهل مصر وحشوة فيهم ، وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظاً ، فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد ، وجاء علي حتى صعد المنبر ، فقال يا أيها الناس - عن ملا وإذن - إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم وقد افترقنا بالأمس على أمر ، فإن شئتم قعدت لكم ، وإلا فلا أجد على أحد . فقالوا : نحن على ما فارقناك عليه بالأمس . وجاء القوم بطلحة فقالوا : بايع ، فقال : إني إنما أباع كرهاً ، فبايع - وكان به شلل - أول الناس ، وفي الناس رجل يعتاف ^(١) ، فنظر من بعيد ، فلما رأى طلحة أول من بايع قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أول يد بايعت أمير المؤمنين يدٌ شلاء ! لا يتم هذا الأمر ! ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع - وفي الزبير اختلاف - ثم جيء بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا : نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد ، والعزير والذليل ، فبايعهم ، ثم قام العامة فبايعوا .

مبايعة طلحة والزبير :

لما قتل عثمان ^(٢) رضي الله عنه واجتمع الناس على علي ، ذهب الأشتر فجاء بطلحة ، فقال له : دعني أنظر إلى ما يصنع الناس ، فلم يدعه وجاء به يتلوه تلا عنيفاً ^(٣) ، فصعد المنبر فبايع .

(١) يعتاف : يتكهن .

(٢) عن أبي زهير الأزدي ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن أبيه ، ط ، ٤ - ٤٣٥ .

(٣) يتله تلا عنيفاً : يدفعه دفعاً شديداً .

[و] جاءُ حُكيمُ بنُ جبلةَ بالزبير حتى بايع ^(١) ، فكان الزبير يقول :
جاءني لصٌ من لصوص عبد القيس فبايعت واللج ^(٢) على عنقي .

وبايع الناس كلهم ^(٣) .

أول خطبة لعلي رضي الله عنه :

[يبيع علي يوم الجمعة خمس بقين من ذي الحجة ، وكانت أول خطبة خطبها ^(٤)
بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، أن قال :]

إن الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير
ودعوا الشر . الفرائض أدّوها إلى الله سبحانه يؤدّكم إلى الجنة . إن الله حرّم
حُرماً غير مجهولة ، وفضل حُرمة المسلم على الحرّم كلّها ، وشدّ بالإخلاص
والتوحيد المسلمين . والمسلم من سلّم الناس من لسانه ويده إلا بالحق . لا يحلّ
أذى المسلم إلا بما يجب . بادروا أمر العامة ، وخاصة أحدكم الموت ، فإن الناس
أمامكم ، وإن ما من خلفكم الساعة تحدوكم . تخففوا تلتحقوا ، فإنما ينتظر الناس
أخراهم . اتقوا الله عباده في عباده وبلاده ، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع
والبهائم . أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه ، وإذا رأيتم الخير فخذوا به ، وإذا
رأيتم الشر فدعوه ، ﴿ واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون في الأرض ﴾ .

(١) عن محمد بن قيس ، عن الحارث الوالي .

(٢) اللج : السيف .

(٣) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٣٥ .

(٤) عن سليمان بن أبي المغيرة ، عن علي بن الحسين ، ط ٤ - ٤٣٦ .

ولما فرغ علي من خطبته وهو على المنبر قال المصريون :

خذها واحذراً أبا حسن ^(١) إِنَّا نَمِرُ الْأَمْرَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ

وإنما الشعر :

خذها اليك واحذراً أبا حسن

فقال عليّ مجيباً :

إِنِّي عَجَزْتُ عَجْزَةً مَا أَعْتَذِرُ سَوْفَ أَكَيْسُ بَعْدَهَا وَأَسْتَمِرُّ

[وفي رواية أخرى ^(٢) :

ولما أراد علي الذهاب الى بيته قالت السبئية :

خذها اليك واحذراً أبا حسن إِنَّا نَمِرُ الْأَمْرَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ

صَوْلَةَ أَقْوَامٍ كَأَسْدَادِ السُّفُنِ بِمَشْرِفَاتٍ كَقُدْرَانِ اللَّبَنِ

وَنَطْعُنُ الْمُلُوكَ بِلِينٍ كَالشُّطْنِ حَتَّى يُمِرَّنَا عَلَى غَيْرِ عَنَنٍ

فقال علي وذكر تركهم العسكر والكينونة على عِدَّة ما مُنُّوا حين غزوهم
ورجعوا اليهم ، فلم يستطيعوا أن يمتنعوا حتى ... ^(٣)

(١) هكذا غير موزون .

(٢) عن معتمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٣٦ .

(٣) يوجد نقص في الأصل .

إني عَجَزْتُ عَجْزَةً لَا أَعْتَذِرُ سوف أكيس بعدها وأستعير
أرفعُ من ذَنبِي ما كذتُ أَجْرُ وأجمعُ الأمرَ الشَّيْثَ المنتشر
إن لم يُشَاغِبْنِي المَعْجُولُ المنتصر أو يترُكوني والسلاحُ يُبْتَدَرُ

مطالب طلحة والزبير :

واجتمع الى علي، بعدما دخل، طلحة والزبير في عدة من الصحابة ، فقالوا : يا علي ، إنا قد اشتطنا إقامة الحدود ، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلّوا بأنفسهم . فقال لهم : يا اخوتاه ، إني لست أجهل ما تعلمون ، ولكنني كيف أصنع بقوم يلكوننا ولا نملكهم ! ها هم هؤلاء قد ثارت معهم 'عبدانكم' ، وثابت اليهم أعرابكم ، وهم خِلالكم يسومونكم ما شاؤوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون ؟ قالوا : لا ، قال : فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله ، إن هذا الأمرُ أمر جاهلية ، وإن هؤلاء القوم مادة ، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً . إن الناس من هذا الأمر إن 'حرك' على امور : فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا ، حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق ، فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ، ثم عودوا .

واشدت على قريش ، وحال بينهم وبين الخروج على حالٍ ، وإنما هيَّجَه على ذلك هربُ بني أمية . وتفرّق القوم ، وبعضهم يقول : والله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الأشرار ، لتركُ هذا إلى ما قال علي أمثل .

وبعضهم يقول : نقضي الذي علينا ولا نؤخره ، والله إن علياً لمستغن برأيه وأمره عنا ، ولا نراه إلا سيكون على قريش أشد من غيره . فذكر ذلك لملي فقام فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضلهم وحاجته اليهم ونظره لهم وقيامه دونهم ، وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك ، والأجر من الله عز وجل عليه ، ونادى : برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه . فتدامرت السبئية والاعراب ، وقالوا : لنا غداً مثلها ، ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء .

[و] خرج علي في اليوم الثالث ^(١) على الناس ، فقال : يا أيها الناس ، أخرجوا عنكم الأعراب . وقال : يا معشر الاعراب ، الحقوا ببياهكم . فأبى السبئية وأطاعهم الأعراب . ودخل علي بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبي ﷺ فقال : دونكم ثأركم فاقتلوه ، فقالوا : عَشُوا ^(٢) عن ذلك ، قال : هم والله بعد اليوم أعشى وآبى . وقال :

لو أن قومي طاوعنني سَرَاتهم أَمَرْتُهُمُ أَمراً يَدِينُ الأعَادِيَا

وقال طلحة : دعني فَلَآتِ البَصْرَةَ فلا يَفْجُوكَ إلا وأنا في خيل ، فقال : حتى أنظر في ذلك . وقال الزبير : دعني آتِ الكُوفَةَ فلا يَفْجُوكَ إلا وأنا في خيل ، فقال : حتى أنظر في ذلك . وسمع المغيرة بذلك المجلس فجاء حتى دخل عليه ، فقال : إن لك حق الطاعة والنصيحة ، وإن الرأي اليوم 'تحرز به ما في

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٣٨ .

(٢) عَشُوا : أعرضوا .

غد ، وإن الضياع اليوم تضيع به ما في غد ، أقرر معاوية على عمله ، وقرر ابن عامر على عمله ، وأقرر العمال على أعمالهم ، حتى إذا أئتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت . قال : حتى أنظر .

فخرج من عنده وعاد اليه من الغد ، فقال : إني أشرت عليك بالأمس برأي ، وإن الرأي أن تعاجلهم بالنزوع فيعرف السامع من غيره ويستقبل أمرك ، ثم خرج . وتلقاه ابن عباس خارجاً وهو داخل ، فلما انتهى الى علي قال : رأيت المغيرة خرج من عندك ، ففيم جاءك ؟ قال : جاءني أمس بذية وذية ، وجاءني اليوم بذية وذية ، فقال : أما أمس فقد نصحتك ، وأما اليوم فقد غشك . قال : فما الرأي ؟ قال : كان الرأي أن تخرج حين قتل الرجل أو قبل ذلك ، فتأتي مكة فتدخل دارك وتغلق عليك بابك ، فإن كانت العرب جائلة مضطربة في أترك لا تجد غيرك ، فأما اليوم ، فإن في بني أمية من يستحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الأمر ، ويشبهون على الناس ، ويطلبون مثل ما طلب أهل المدينة ، ولا تقدر على ما يريدون ولا يقدر عليه ، ولو صارت الأمور اليهم حتى يصيروا في ذلك أموت لحقوقهم ، وأترك لها إلا ما يعجلون من الشبهة .

وقال المغيرة : نصحته والله ، فلما لم يقبل غششته . وخرج المغيرة حتى لحق بمكة

أخبار عمال علي :

[ولما دخلت سنة ست وثلاثين] بعث علي عماله على الأمصار ^(١) ، فبعث

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٤٢ .

عثمان بن حنيف على البصرة ، وعمار بن شهاب على الكوفة ، وكانت له هجرة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد على مصر ، وسهل بن حنيف على الشام .

فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيلٌ ، فقالوا : مَنْ أنت ؟ قال : أمير ، قالوا : على أي شيء ؟ قال : على الشام ، قالوا : إن كان عثمان بعثك فحيث بك ، وإن كان بعثك غيره فارجع . قال : أو ما سمعتم بالذي كان ؟ قالوا : بلى ، فرجع الى علي .

وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى الى ايلة لقيته خيلٌ ، فقالوا : من أنت ؟ قال : من فالة عثمان ، فأنا أطلب مَنْ آوي اليه وأنتصر به ، قالوا : من أنت ؟ قال : قيس بن سعد ، قالوا : امض ، فمضى حتى دخل مصر ، فافترق أهل مصر فِرَقًا ، فرقة دخلت في الجماعة وكانوا معه ، وفرقة وقفت واعتزلت الى خَرَبْنَا ، وقالوا : إن قَتِلَ قَتَلَهُ عثمان فنحن معكم ، وإلا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نُصيب حاجتنا ، وفرقة قالوا : نحن مع علي ما لم يقَدِ إخواننا ، وهم في ذلك مع الجماعة ، وكتب قيس الى أمير المؤمنين بذلك .

وأما عثمان بن حنيف فسار فلم يردّه أحد عن دخول البصرة ولم يوجد في ذلك لابن عامر رأي ولا حزم ولا استقلال بحرب . وافترق الناس بها ، فاتبعت فرقة القوم ، ودخلت فرقة في الجماعة ، وفرقة قالت : ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا .

وأما عمار فأقبل حتى إذا كان بزُبالة لقيه طلحة بن خويلد ، وقد كان حين بلغهم خبر عثمان خرج يدعو الى الطلب بدمه ويقول : لهفي على أمرٍ لم يسبقني ولم ادر كه .

يا ليتني فيها جدع أكره فيها وأضع

فخرج حين رجع القعقاع من إغاثة عثمان فيمن أجابه حتى دخل الكوفة ، فطلع عليه عمارة قادماً على الكوفة ، فقال له : إرجع فإن القوم لا يريدون بأمرهم بدلاً ، وإن أبيت ضربت عنقك . فرجع عمارة وهو يقول : إحذر الخطر ما يماسك الشر خير من شر منه .

فرجع إلى علي بالخبر . وغلب على عمارة بن شهاب هذا المثل من لدن اعتناصت عليه الأمور إلى أن مات . وانطلق عبيد الله بن عباس إلى اليمن ، فجمع على ابن أمية كل شيء من الجباية وتركه وخرج بذلك وهو سائر على حاميته إلى مكة فقدمها بالمال . ولما رجع سهل بن حنيف من طريق الشام وأتته الأخبار ، ورجع من رجع ، دعا علي طلحة والزبير ، فقال : إن الذي كنت أحذركم قد وقع يا قوم ، وإن الأمر الذي وقع لا يدرك إلا بإماتته ، وإنها فتنة كالنار ، كلما سُعِرت ازدادت واستنارت . فقالوا له : فأذن لنا أن نخرج من المدينة ، فإما أن نكابر وإما أن نَدَعَا . فقال : سأمسك الأمر ما استمسك ، فإذا لم أجد بُدّاً ، فأخر الدواء الكي .

كتابة علي إلى أبي موسى ومعاوية :

وكتب [علي] إلى معاوية وإلى أبي موسى ، وكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم ، وبين الكاره منهم للذي كان ، والراضي بالذي قد كان ، ومن بين ذلك ، حتى كأن علياً على المواجهة من أمر أهل الكوفة . وكان رسول علي إلى أبي موسى معبد الأسلمي .

وكان رسول أمير المؤمنين إلى معاوية سبرة الجُهني ، فقدم عليه فلم يكتب معاوية بشيء ولم يحبه ، ورد رسوله ، وجعل كلما تنجّز جوابه لم يزد على قوله :

أدِم إدامة حصن أو خذاً بيدي حرباً ضروساً تشب الجزل والضرمًا
في جارِك وابنكم إذ كان مقتلهُ شنعاء شبت الأصداع والشمما
أعيًا المسودُ بها والسيدون فلم يوجد لها غيرُنا مولى ولا حَكَمًا

وجعل الجهني كلما تنجّز الكتاب لم يزد على هذه الأبيات ، حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر ، دعا معاوية برجل من بني عباس ، ثم أحد بني رواحة يدعى قبيصة ، فدفع إليه طوماراً مختوماً ، عنوانه : من معاوية إلى علي . فقال إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار ، ثم أوصاه بما يقول وسرّح رسول علي . وخرجا فقدمَا المدينة في ربيع الأول لفرته ، فلما دخلا المدينة رفع العبسي الطومار كما أمره ، وخرج الناس ينظرون إليه ، فتفرقوا إلى منازلهم وقد علموا أن معاوية معترض ، ومضى حتى يدخل على علي ، فدفع إليه الطومار ، ففض خاتمه فلم يجد في جوفه كتابة ، فقال للرسول : ما ورائك ؟ قال : آمنٌ أنا ؟ قال : نعم ، إن الرسل آمنة لا تقتل ، قال : ورائي أني تركت قومًا لا يرضون إلا بالقود ، قال : ممن ؟ قال : من خيط نفسك ^(١) ، وتركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم ، قد ألبسوه منبر دمشق . فقال : مني يطلبون دمَ عثمان ؟ أَلستُ موقوراً كثره عثمان ؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، نجبا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله ،

(١) ابن الأثير والنويري « رقتك » .

فإنه إذا أراد أمراً أصابه ، أخرج ، قال : وأنا آمن ؟ قال : وأنت آمن .
فخرج العبسي ، وصاحت السبئية قالوا : هذا الكلب ، هذا وافد الكلاب ،
اقتلوه ! فنادى : يا آل مُضر ، يا آل قيس ، الخيل والنبيل ، إني أحلف بالله
جل اسمه ليُردنّها عليكم أربعة آلاف خصي ، فانظروا كم الفحولة والركاب !
وتعاونوا عليه ومنعنه مضر ، وجعلوا يقولون له : أسكت ، فيقول : لقد حل
بهم ما يحذرون ، انتهت والله أئمتهم ، وذهبت ريحهم ، فوالله ما أمسوا حتى
عرف الذلّ فيهم .

وقتِ اجماع

استئذان طلحة والزبير علياً في العمرة :

استأذن ^(١) طلحة والزبير علياً في العمرة ، فأذن لهما ، فلحقا بمكة ، وأحب أهل المدينة أن يعلموا ما رأي علي في معاوية وانتقاضه ، ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة ، أيجسر عليه أو ينكل عنه ؟ وقد بلغهم أن الحسن بن علي دخل عليه ودعاه الى القعود وترك الناس ، فدسوا اليه زياد بن حنظلة التميمي - وكان منقطعاً الى علي - فدخل عليه فجلس اليه ساعة ، ثم قال له علي : يا زياد ، تيسر ، فقال : لأي شيء ؟ فقال : تغزو الشام ، فقال زياد : الأناة والرفق أمثل ، فقال :

ومن لا يصانع في أمور كثيرة يُضَرِّسُ بأنياب ويوطأ بمنسم

فتمثل علي وكأنه لا يريدہ :

مَنْ تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذِّكْيَ وَصَارَ مَا وَأَنْفًا حِمِيًّا تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ

فخرج زياد على الناس ، والناس ينتظرونه ، فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : السيف يا قوم ، فعرفوا ما هو فاعل . ودعا علي محمد بن الحنفية ، فدفع اليه اللواء ، وولى عبد الله بن عباس ميمنته ، وعمر بن أبي سلمة - او عمرو بن سفيان

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٤٤ .

ابن عبد الأسد - ولاء ميسرته ، ودعا أبا ليلى بن عمر بن الجراح ، ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح ، فجعله على مقدمته ، واستخلف على المدينة قُثم بن عباس ، ولم يولِ من خرج على عثمان أحداً ، وكتب الى قيس بن سعد ان يندب الناس الى الشام ، والى عثمان بن حنيف والى أبي موسى مثل ذلك ، وأقبل على التهيؤ والتجهز ، وخطب أهل المدينة فدعاهم الى النهوض في قتال أهل الفرقة ، وقال : إن الله عز وجل بعث رسولا هاديا مهديا بكتاب ناطق وأمر قائم واضح ، لا يهلك عنه إلا هالك ، وإن المبتدعات والشبهات هن المهلكات إلا من حفظ الله ، وإن في سلطان الله عصمة أمركم ، فأعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها ، والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم أبداً حتى يأرز الأمر اليها (١) ، انهضوا الى هؤلاء القوم الذين يريدون يفرقون جماعتكم ، لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل' الآفاق ، وتقضون الذي عليكم . فبيناهم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وتنام على خلاف ، فقام فيهم بذلك ، فقال : إن الله عز وجل جعل لظالم هذه الأمة العفو والمغفرة ، وجعل لمن لزم الأمر واستقام الفوز والنجاة ، فمن لمن يسمعه الحق أخذ بالباطل . ألا وإن طلحة والزبير وأم المؤمنين قد تماثلوا على سخط إمارتي ، ودعوا الناس الى الإصلاح ، وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم ، وأكف إن كفوا ، وأقتصر على ما بلغني عنهم .

استنفار أهل المدينة :

ثم أتاه أنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والإصلاح ، فتعبد للخروج اليهم ، وقال : إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين وما كان عليهم في المقام فينا

(١) أي الى المدينة .

مَوْؤنة ولا إكراه. فاشتد على أهل المدينة الأمر ، فتشاقلوا ، فبعث الى عبدالله ابن عمر كُمَيْلاً النَخَعِي ، فجاء به ، فقال : انهض معي ، فقال : أنا مع أهل المدينة ، إنما أنا رجل منهم وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلت معهم فلا أفارقهم ، فإن يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد . قال : فاعطني زعيماً بالألا تخرج ، قال : ولا أعطيك زعيماً ، قال : لولا ما أعرف من سوء خلقك صغيراً وكبيراً لأنكرتني ، دعوه فأنا به زعيم . فرجع عبد الله بن عمر الى المدينة وهم يقولون : لا والله ما ندرى كيف نصنع ، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ، ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر .

فخرج من تحت ليلته وأخبر ام كلثوم بنت علي بالذي سمع من أهل المدينة ، وأنه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة علي ما خلا النهوض ، وكان صدوقاً فاستقرّ عندها ، وأصبح علي فقيل له : حدث البارحة حدثٌ هو أشدّ عليك من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومعاوية ، قال : وما ذلك ؟ قال : خرج ابن عمر الى الشام ، فأتى علي السوق ودعا بالظَّهْر فحمل الرجال ، وأعدّ لكل طريق طلاباً . وماج أهل المدينة ، وسمعت ام كلثوم بالذي هو فيه ، فدعت ببغلتها فركبتها في رَحْل ثم أتت علياً وهو واقف في السوق يفرق الرجال في طلبه ، فقالت : ما لك لا تَرْتَدُّ (١) من هذا الرجل ؟ إن الأمر على خلاف ما بُلِّغته وحدثته . قالت : أنا ضامنة له ، فطابت نفسه وقال : انصرفوا ، لا والله ما كذبتُ ولا كَذَب ، وإنه عندي ثقة فانصرفوا .

ولما رأى علي (٢) من أهل المدينة ما رأى لم يرضَ طاعتهم حتى يكون معها نصرته ، قام فيهم وجمع اليه وجوه أهل المدينة ، وقال : إن آخر هذا الأمر

(١) ترتد : ضاق صدره . رجل مزند : مريع الغضب .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٤٧ .

لا يَصْلُحُ إلا بما صَلَحَ أوله ، فقد رأيتُم عواقبَ قضاء الله عز وجل على من مضى منكم ، فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم . فأجابه رجلان من أعلام الانصار ، أبو الهيثم بن التَّيَّهَان - وهو بدري - وخزيمة بن ثابت - وليس بندي الشهادتين ، مات ذو الشهادتين في زمن عثمان رضي الله عنه .

[وقد سُئِلَ الْحَكَمَ] ^(١) : أَشْهَدَ خَزِيمَةَ بْنَ ثَابِتٍ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ الْجَمْلُ ؟؟ فقال : ليس به ، ولكنه غيره من الأنصار ، مات ذو الشهادتين في زمن عثمان ابن عفان رضي الله عنه .

قال الشعبي ^(٢) : بالله الذي لا إله إلا هو ، ما نهض في تلك الفتنة إلا ستة بدريين ما لهم سابع ، أو سبعة ما لهم ثامن .

[وفي رواية أخرى] عن الشعبي ^(٣) ، قال : بالله الذي لا إله إلا هو ما نهض في ذلك الأمر إلا ستة بدريين ما لهم سابع . فقلت : اختلفتا . قال : لم تختلف ، إن الشعبي شك في أبي أيوب : أَخْرَجَ حَيْثُ أُرْسِلْتَهُ أُمُّ سَلَمَةَ إِلَى عَلِيٍّ بَعْدَ صَفِينٍ ، أَمْ لَمْ يَخْرُجْ ! إِلَّا أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ فَمَضَى إِلَيْهِ ، وَعَلِيٌّ يَوْمَئِذٍ بِالنَّهْرَوَانِ .

وعن سعيد بن زيد أنه قال ^(٤) : ما اجتمع أربعة من أصحاب النبي ﷺ ففازوا على الناس بخير يحوزونه إلا وعلي بن أبي طالب أحدهم .

(١) عن محمد ، عن عبيد الله ، عن الحكم ، ط ٤ - ٤٤٧ .

(٢) عن مجالد ، عن الشعبي .

(٣) عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي .

(٤) عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ، عن رجل .

ثم إن زياد بن حنظلة لما رأى تفاقل الناس عن علي ابتدر إليه وقال : من تفاقل عنك فلنا نخف معك ونقاتل دونك . وبينما علي يمشي في المدينة إذ سمع زينب ابنة أبي سفيان وهي تقول : ظلامتنا عند مُدَمِّمٍ وعند مكحلة ، [هما محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر] فقال : إنها لتعلم ما هما لها بئار .

وصول الخبر إلى عائشة :

قتل عثمان في ذي الحجة ^(١) لثمان عشرة خلت منه ، وكان على مكة عبد الله ابن عامر الحضرمي ، وعلى الموسم يومئذ عبد الله بن عباس ، بعثه عثمان وهو محصور فتعجل أناس في يومين فأدركوا مع ابن عباس ، فقدموا المدينة بعدما قتل وقبل أن يُبايَع علي ، وهرب بنو أمية فلحقوا بمكة ، وبويع علي لخمس بقين من ذي الحجة يوم الجمعة ، وتساقط الهرباب إلى مكة ، وعائشة مقيمة بمكة تريد عمرة المحرم ، فلما تساقط إليها الهرباب استخبرتهم فأخبروها أن قد قتل عثمان رضي الله عنه ولم يجبهم إلى التأمير أحد ، فقالت عائشة رضي الله عنها : ولكن أكياس ، هذا غيبٌ ما كان يدور بينكم من عتاب الاستصلاح . حتى إذا قضت عمرتها وخرجت فانتهدت إلى سرف ، لقيها رجل من أخوالها من بني ليث - وكانت واصلة لهم ، رفيقة عليهم - يقال له عبيد بن أبي سلمة يعرف بأمه أم كلاب ، فقالت : مهيم ! فأصم ودمدم ، فقالت : ويحك ! علينا أو لنا ؟ فقال : لا تدري ؟ قتل عثمان وبقوا ثمانياً ، قالت : ثم صنعوا ماذا ؟ فقال : أخذوا أهل المدينة بالاجتماع على علي ، والقوم الغالبون على المدينة . فرجعت إلى مكة وهي لا تقول شيئاً ولا يخرج منها شيء ، حتى نزلت على باب المسجد ، وقصدت للحجر فسترت فيه ، واجتمع الناس إليها ، فقالت : يا أيها للناس إن الغوغاء

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٤٨ .

من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الإرب واستعمال من حدثت سنه ، وقد استعمل أسنانهم قبله ، ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم ، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها ، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً خلجوا وبادوا بالعدوان ونبا فعلهم عن قولهم ، فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام ، واستحلوا الشهر الحرام . والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم . فنجاة من اجتماعكم عليهم حتى ينشكل بهم غيرهم ويشرد من بعدهم ، والله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً خلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه ^(١) كما يماص الثوب بالماء . فقال عبد الله بن عامر الحضرمي : هاأنذا لها أول طالب - وكان أول مجيب ومنتدب .

توجه عائشة الى المدينة وعودتها :

خرجت عائشة ^(٢) رضي الله عنها نحو المدينة من مكة بعد مقتل عثمان ، فلقبها رجل من أخوالها ، فقالت : ما وراءك ؟ قال : قُتل عثمان واجتمع الناس على علي ، والأمر أمر الغوغاء . فقالت : ما أظن ذلك تاماً ، رُدُّوني . فانصرفت راجعة الى مكة ، حتى إذ دخلتها أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي - وكان

(١) في نهاية ابن الأثير : « في حديث عائشة قالت عن عثمان : مصتموه كما يماص الثوب ، ثم عدوتم عليه فقتلتموه ، الموص : الفصل بالأصابع ، يقال : مصته أمرسه موصاً ، أرادت أنهم استنابوه عما تقموا منه ، فلما أعطاهم ما طلبوه قتلوه .

(٢) عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، ط ٤ - ٤٤٩ .

أميرَ عثمان عليها - فقال : ما ردُّكَ يا أمَّ المؤمنين ؟ قالت : ردني أنَّ عثمان قُتِلَ مظلوماً ، وأنَّ الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمرٌ . فاطلبوا بدَمَ عثمان تُعِزُّوا الاسلامَ . فكان أول من أجابها عبد الله بن عامر الحضرمي ، وذلك أول ما تكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم ، وقام معهم سعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وسائر بني أمية . وقد قدِم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة ^(١) ، ويعلي بن أمية من اليمن ، وطلحة والزبير من المدينة ، واجتمع ملؤهم بعد نظر طويل في أمرهم على البصرة ، وقالت [عائشة] : أيها الناس ، إن هذا حدِّث عظيمٌ وأمرٌ منكرٌ ، فانهضوا فيه الى اخوانكم من أهل البصرة فأنكروه ، فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم ، لعل الله عز وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بشارهم .

[وفي رواية اخرى] ^(٢) :

كان أول من أجاب الى ذلك عبد الله بن عامر وبنو أمية ، وقد كانوا سقطوا اليها بعد مقتل عثمان ، ثم قدم عبد الله بن عامر ، ثم قدم يعلي بن أمية ، فاتفقا بمكة ، ومع يعلي ستائة بغير وستائة الف ^(٣) ، فأناخ بالأبْطَح معسكراً ، وقدِم معهم طلحة والزبير ، فلقيا عائشة رضي الله عنها . فقالت : ما وراءكما ؟ فقالا : وراءنا أننا تحملنا بقليتنا ^(٤) ، هرباً أباً من المدينة من غوغاء وأعراب ، وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا ينعون أنفسهم . قالت : فائتمروا أمراً ، ثم انهضوا الى هذه الغوغاء . وتمثلت :

ولو أنَّ قومي طاوعتني سَراتهم لأنقذتهم من الحبالِ أو الحبلِ

(١) بعدها في ابن الأثير « مجال كثير » .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٥٠ .

(٣) أي ستائة الف درهم .

(٤) ارتحل القوم بقليتهم : لم يدعوا وراءهم شيئاً .

وقال القومُ فيما ائتمروا به : الشَّامُ . فقال عبد الله بن عامر : قد كفاكم الشَّامُ من يستمر في حَوَزَتِهِ ، فقال له طلحة والزبير : فأين ؟ قال : البصرة ، فإن لي بها صنائع ولهم في طلحة هوى ، قالوا : قَبَّحَكَ اللهُ ! فوالله ما كنتَ بالمسلم ولا بالمحارب ، فهلاً أقيمت كما أقام معاوية فنكتفي بك ، ونأتي الكوفة فنسدَّ على هؤلاء القوم المذاهبَ ! فلم يجدوا عنده جواباً مقبولاً ، حتى إذا استقام لهم الرأي على البصرة قالوا : يا أم المؤمنين ، دعي المدينة فإن من معنا لا يُقرنون لتلك الغوغاء التي بها ، واشخصي معنا إلى البصرة ، فإننا نأتي بلدًا مضيئاً ، وسيحتجون علينا فيه ببينة علي بن أبي طالب فتُهنّضينهم كما أنهضت أهل مكة ثم تقعدين ، فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدن ، وإلا احتسبنا ودفعنا عن هذا الأمر يجهدا حتى يقضي الله ما أراد .

فلما قالوا ذلك لها - ولم يكن ذلك مستقيماً إلا بها - قالت : نعم ، وقد كان أزواج النبي ﷺ معها على قصد المدينة ، فلما تحول رأبها إلى البصرة تركن ذلك ، وانطلق القوم بعدها إلى حفصة فقالت : رأيي تبع لرأي عائشة ، حتى إذا لم يبقَ إلا الخروج ، قالوا : كيف نستقلّ وليس معنا مالٌ نجهز به الناس ! فقال يعلي بن أمية : معي ستمائة ألف وستائة بعير فاركبوها . وقال ابن عامر : معي كذا وكذا فتجهزوا به . فننادي المنادي : إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة ، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان ، ومن لم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهذا جهازٌ وهذه نفقة . فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقصة سوى من كان له مركب - وكانوا جميعاً ألفاً - وتجهزوا بالمال ، ونادوا بالرحيل واستقلُّوا ذاهبين . وأرادت حفصة الخروج فأتاها عبد الله بن عمر فطلب إليها أن تقعد ، فقعدت ، وبعثت إلى عائشة : أن عبد الله حال بيني وبين الخروج ، فقالت : يغفر الله لعبد الله ! وبعثت أم الفضل بنت الحارث رجلاً من جُهينة يدعى ظفراً ، فاستأجرته على أن يطويَ ويأتيَ علياً بكتابها ، فقدم على علي بكتاب أم الفضل بالخبر .

[و] خرج المغيرة ^(١) وسعيد بن العاص معهم مرحلة من مكة ، فقال سعيد للمغيرة : ما الرأي ؟ قال : الرأي والله الاعتزال ، فإنهم ما يفلح أمرهم ، فإن أظفره الله أتيناها ، فقلنا : كان هوانا وصغونا ^(٢) معك ، فاعتزلا فجلسا ، فجاء سعيد مكة فأقام بها ، ورجع معها عبد الله بن خالد بن أسيد .

[وفي رواية أخرى] :

لما انتهت عائشة رضي الله عنها ^(٣) إلى سرف راجعة في طريقها إلى مكة ، لقيها عبد بن أم كلاب - وهو عبد بن أبي سلمة ، يُنسب إلى أمه - فقالت له : مهيم ؟ قال : قتلوا عثمان رضي الله عنه ، فمكثوا ثمانياً ، قالت : ثم صنعوا ماذا ؟ قال : أخذها أهل المدينة بالاجتماع ، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز ، اجتمعوا على علي بن أبي طالب . فقالت : والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ! ردوني ردوني ، فانصرفت إلى مكة وهي تقول : ' قتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه ، فقال لها ابن أم كلاب : ولم ؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ! ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعتلاً فقد كفر ، قالت : إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأول . فقال لها ابن أم كلاب :

فَمَعْنِكَ الْبَدَاءُ وَمِنْكَ الْغَيْبُ وَمِنْكَ الرِّيحُ وَمِنْكَ الْمَطَرُ
وَأَنْتِ أَمَرْتِ بِقَتْلِ الْإِمَامِ وَقُلْتِ لَنَا إِنَّهُ قَدْ كَفَرَ
فَهَبْنَا أَطْعَمْنَاكَ فِي قَتْلِهِ وَقَاتَلَهُ عِنْدَنَا مِنْ أَمْرِ
وَلَمْ يَسْقُطِ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِنَا وَلَمْ تَنْكَسِفْ شَمْسُنَا وَالْقَمَرُ

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٥٢ .

(٢) صغونا : ميلنا .

(٣) عن سيف بن عمر ، عن محمد بن نيرة وطلحة بن الأعلم الحنفي ، ط ٤ - ٤٥٨ .

وَقَدْ بَايَعَ النَّاسَ ذَا تُدْرَةَ^(١) يُزِيلُ الشُّبَا وَيُقِيمُ الصَّعْرَ
وَيَلْبَسُ الْحَرْبِ أَثْوَابَهَا وَمَا مِنْ وَفِيٍّ مِثْلُ مَنْ قَدْ غَدَرَ

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر ، فسترت ،
 واجتمع اليها الناس ، فقالت : يا أيها الناس ، إنَّ عثمان قُتِلَ مظلوماً ، ووالله
 لأُطلبن بدمه .

توجه عائشة وطلحة والزبير الى البصرة :

لما اجتمع^(٢) إلى مكة بنو أمية ويعلي بن منية وطلحة والزبير ، اثتمروا
أمرهم ، وأجمع ملؤهم على الطلب بدمِ عثمان وقِتال السبئية حتى يثأروا
ويستقموا ، فأمرتهم عائشة رضي الله عنها بالخروج إلى المدينة ، واجتمع القوم
على البصرة وردُّوها عن رأيها ، وقال لها طلحة والزبير : إنا نأتي أرضاً قد
أُضيعت وصارت إلى علي ، وقد أجبرنا على بيعته ، وهم محتجون علينا بذلك
ونار كوا أمرنا إلا أن تخرجي فتأمري بمثل ما أمرت بمكة ، ثم ترجعي . فنادى
المنادي : إن عائشة تريد البصرة وليس في ستائة بغير ما تُغنون به غوغاء وجلبة
الأعراب وعبيداً قد انتشروا وافترشوا أذرعهم مسعدين لأول واعية . وبعثت
إلى حفصة ، فأرادت الخروج ، فعزم عليها ابن عمر ، فأقامت . فخرجت عائشة
ومعها طلحة والزبير ، وأمّرت على الصلاة عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد ،
فكان يصلي بهم في الطريق وبالبصرة حتى قتل ، وخرج معها مروان وسائر بني
أمية إلا من خَشَعَ ، وتيامنت عن أوطاس ، وهم ستائة راكب سوى من كانت
له مطية ، فتركت الطريق ليلة وتيامنت عنها كأنهم سيارة ونَجعة ، مساحلين

(١) ذو تدراً : ذو عدة وقوة .

(٢) عن محمد بن قيس ، عن الأغر ، ط ٤ - ٥٣ .

لم يدنُ من المنكدر ولا واسط ولا فلنج منهم أحد ، حتى أتوا البصرة في عام خصب . وتمثلت :

دَعي بلادَ 'جموع الظلم إذ صلحت فيها المياه' وسيري سيرَ مذعور
تخيري النبت فارعي ثم ظاهرةً وبطنَ وادٍ من الضمائرِ بمنطورِ

• [وقد] جمع الزبير^(١) بنّيه حين أراد الرحيل ، فودّع بعضهم وأخرج بعضهم ، وأخرج ابني أسماء جميعاً ، فقال : يا فلان أقم ، يا عمرو أقم . فلما رأى ذلك عبد الله بن الزبير ، قال : يا عروة أقم ، يا منذر أقم ، فقال الزبير : ويحك ! استصحب ابني واستمتع منها ، فقال : إن خرجت بهم جميعاً فاخرج ، وإن خلفت منهم أحداً فخلّفتها ولا تُعرّض أسماء للشكل من بين نسائك . فبكى وتركها ، فخرجوا حتى إذا انتهوا إلى جبال أوطاس تيامنوا ، وسلكوا طريقاً نحو البصرة ، وتركوا طريقها يساراً ، حتى إذا دنوا منها فدخلوها ركبوا المنكدر .

خرج الزبير وطلحة^(٢) ففصلا ، ثم خرجت عائشة فتبعها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق ، فلم يُرَ يومٌ كان أكثر باكيةً على الإسلام أو باكيةً له من ذلك اليوم ، كان يسمى يوم النحيب . وأمّرت عبد الرحمن بن عتاب ، فكان يصلي بالناس ، وكان عدلاً بينهم .

[و] لما تيامن^(٣) عسكرها عن أوطاس أتوا على مليح بن عوف السلمي ، وهو

(١) عن سميد بن عبد الله ، عن ابن أبي مليكة ، ط ٤ - ٤٦٠ .

(٢) عن ابن الشهيد ، عن ابن أبي مليكة ، ط ٤ - ٤٦٠ .

(٣) عن محمد بن عبد الله ، عن يزيد بن معن السلمي ، ط ٤ - ٤٦١ .

مطلع ماله ، فسلم على الزبير ، وقال : يا أبا عبد الله ، ما هذا ؟ قال : 'عدي علي أمير المؤمنين رضي الله عنه فقتل بلا ترة ولا عذر ، قال : ومن ؟ قال : الفوغاء من الأمصار ونزاع القبائل ، وظاهرهم الأعراب والعبيد ، قال : فتريدون ماذا ؟ قال : 'ننهض الناس فيدرك بهذا الدم لثلا يُبطل ، فإن في إبطاله توهينَ سلطان الله بيننا أبداً . إذا لم يُفطمَ الناس عن أمثالها لم يبقَ إمامٌ إلا قتله هذا الضرب ، قال : والله إن ترك هذا لشديد ، ولا تدرون إلى أين ذلك يسير ! . فودّع كل واحد منها صاحبه ، وافترقا ومضى الناس .

موقف عبد الله بن عمر :

لما اجتمع الرأي^(١) من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومن بمكة من المسلمين على السير الى البصرة والانتصار من قتل عثمان رضي الله عنه ، خرج الزبير وطلحة حتى لقيا ابن عمر ودعّوا الى الخفوف^(٢) ، فقال : إني امرؤٌ من أهل المدينة ، فإن يجتمعوا على النهوض أنهض ، وإن يجتمعوا على القعود أقعد ، فتركا ورجعا .

خروج علي الى الرينة يريد البصرة :

كان عليّ في همٍّ من توجه القوم^(٣) لا يدري إلى أين يأخذون ! وكان أن يأتوا البصرة أحب إليه . فلما تيقن أن القوم يعارضون طريق البصرة سرّ بذلك

(١) عن سيف ، عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٦٠ .

(٢) أي الخفة معهم وإعانتهم على ما يريدون .

(٣) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٥٩ .

وقال : الكوفة فيها رجال العرب وبيوتاتهم ، فقال له ابن عباس : إن الذي يسرك من ذلك ليسوءني ، إن الكوفة فسطاط فيه أعلام من أعلام العرب ، ولا يحملهم عدّة القوم ، ولا يزال فيهم من يسمو إلى أمر لا يناله ، فإذا كان كذلك شغب على الذي نال حتى يفتأه فيفسد بعضهم على بعض . فقال علي : إن الأمر ليسبه ما تقول ، ولكن الأثرة لأهل الطاعة وألحق بأحسنهم سابقة وقدمة ، فإن استوا أعفيناهم واجتبرناهم ، فإن أقمعهم ذلك كان خيراً لهم ، وإن لم يقنعهم كلفونا إقامتهم وكان شراً على من هو شر له . فقال ابن عباس : إن ذلك لأمر لا يدرك إلا بالقنوع .

جاء علياً الخبر^(١) عن طلحة والزبير وأم المؤمنين ، فأمر على المدينة تمام بن العباس ، وبعث إلى مكة قثم بن العباس ، وخرج وهو يرجو أن يأخذهم بالطريق ، وأراد أن يعترضهم ، فاستبان له بالرُبْدَةِ أن قد فاتوه ، وجاءه بالخبر عطاء بن رثاب مولى الحارث بن حزن .

بلغ علياً الخبر^(٢) - وهو بالمدينة - باجتماعهم على الخروج إلى البصرة وبالذي اجتمع عليه ملؤهم ، طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم ، وبلغه قول عائشة ، وخرج علي يبادرهم في تعبئته التي كان تعبئ بها إلى الشام ، وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخفين في سبعمائة رجل ، وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج ، فلقيه عبد الله بن سلام ، فأخذ بعنانه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لا تخرج منها ، فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً ، فسيبوه ، فقال : دعوا الرجل ، فنعم الرجل من أصحاب محمد ﷺ ، وسار حتى انتهى إلى الرُبْدَةِ فبلغه بمرثهم ، فأقام حين فاتوه يأتمر الرُبْدَةُ .

(١) عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، ط ، ٤ - ٤٥٥ .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ، ٤ - ٤٥٥ .

قال طارق بن شهاب ^(١) : خرجنا من الكوفة معتمرين حين أئانا قتل عثمان رضي الله عنه فلما انتهينا إلى الرُبذة - وذلك في وجه الصبح - إذا الرفاق وإذا بعضهم يحذو بعضاً فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : أمير المؤمنين ، فقلت : ما له ؟ قالوا : غلبه طلحة والزبير ، فخرج يعترض لهما ليردهما ، فبلغه أنها قد فاتاه ، فهو يريد أن يخرج في آثارهما ، فقلت ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! آتي علياً فأقاتل معه هذين الرجلين وأم المؤمنين أو أخالفه ؟ إن هذا لشديد . فخرجت فأتيته ، فأقيمت الصلاة بغلس ، فتقدم فصلي ، فلما انصرف أتاه ابنه الحسن فجلس فقال : قد أمرتك فعصيتني ، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك ، فقال علي : إنك لا تزال تحن خنين الجارية ! وما الذي أمرتني فعصيتك ؟ قال : أمرتك يوم أحيط بعمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبائع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر ، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا ، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك ، فعصيتني في ذلك كله ، قال : أي بني ، أما قولك : لو خرجت من المدينة حين أحيط بعمان ، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به . وأما قولك : لا تبائع حتى تأتي بيعة الأمصار ، فإن الأمر أمر أهل المدينة ، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر . وأما قولك حين خرج طلحة والزبير ، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام ، ووالله ما زلت مقهوراً مذوليت ، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي . وأما قولك : إجلس في بيتك ، فكيف لي بما قد لزمني ؟ أو مَنْ تريدني ؟ أتريد أن أكون مثل الضبُع التي يحاط بها ويقال : دباب دباب ^(٢) ليست هاهنا حتى يحل عرقوبها ثم تخرج ، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه ! فكف عنك أي بني .

(١) عن خالد بن مهران البجلي ، عن مروان بن عبد الرحمن الحنيس ، ط ٤ - ٤٥٥ .

(٢) دباب كقطام : دعاء الضبُع للضبُع ، أي دبي ، ط ٤ - ٤٥٨ .

الموقف في البصرة :

ومضى الناس^(١) حتى إذا عاجوا عن الطريق وكانوا بفناء البصرة ، لقيهم عمير ابن عبد الله التميمي ، فقال : يا ام المؤمنين ، أنشدك بالله أن تقدمي اليوم على قوم تراسلي منهم أحداً فيكفيكمهم ! فقالت : جئتني بالرأي ، امرؤ صالح ، قال : فعجلي ابن عامر فليدخل ، فإن له صنائع فليذهب إلى صنائعه فليلقوا الناس حتى تقدمي ويسمعوا ما جئتم فيه . فأرسلته فاندس إلى البصرة . فأتى القوم . وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى رجال من أهل البصرة ، وكتبت إلى الأخنف ابن قيس وصبرة بن كيسان وأمثالهم من الوجوه ، ومضت حتى إذا كانت بالحفير انتظرت الجواب بالحبر ، ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران ابن حصين - وكان رجل عامّة - وألزّه^(٢) بأبي الأسود الدؤلي - وكان رجل خاصة - فقال : انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها ، فخرجا فانتھيا إليها وإلى الناس وهم بالحفير ، فاستأذنا ، فأذنت لهما ، فسما وقالا : إن أميرنا بعثنا اليك نسألك عن مسيرك ، فهل أنت مخبرتنا ؟ فقالت : والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يغطي لبنيه الخبر . إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث ، وآووا فيه المحدثين ، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله ، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترّة ولا عذر ، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه ، وانتهبوا المال الحرام ، وأحلّوا البلد الحرام ، والشهر الحرام ، ومزّقوا الأعراض والجلود ، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرّين ، غير نافعين ولا متقين ، لا يقدرّون على امتناع ولا يأمنون ، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا ، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا . وقرأت : ﴿ لا خير في

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٦١ .

(٢) أي ألصقه ، ألحقه .

كثير من نجواهم إلا من أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس ^(١) ﴿١﴾ .
 نهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير
 والذكر والأنثى ، فهذا شأننا الى معروفٍ نأمركم به ، ونحضكم عليه ، ومنكر
 منها كم عنه ، ونحشمكم على تغييره .

فخرج أبو الأسود ^(٢) وعمران من عندها فأتيا طلحة ، فقالا : ما أقدمك ؟
 قال : الطلب بدم عثمان ، قال : ألم تبائع علياً ؟ قال : بلى ، واللج ^(٣) على
 عنقي ، وما استقبل علياً إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان . ثم أتيا الزبير
 فقالا : ما أقدمك ؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قال : ألم تبائع علياً ؟ قال : بلى ،
 واللج على عنقي ، وما أستقبل علياً إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان . فرجعا
 الى ام المؤمنين فودعاها فودعت عمران ، وقالت : يا أبا الأسود إياك أن يقودك
 الهوى إلى النار ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ ^(٤) ﴿٤﴾ فسرحتهما ،
 ونادى مناديهما بالرحيل ، ومضى الرجلان حتى دخلا على عثمان بن حنيف ،
 فبدر أبو الأسود عمران فقال :

يَا بَنَى حَنِيفٍ قَدْ أَتَيْتَ فَاغْفِرْ وَطَاعِينَ الْقَبُومَ وَجَالِدٌ وَاصْبِرْ
 وَابْرُزْ لَهُمْ مُسْتَلْتِمًا وَشَمِّرْ

فقال عثمان : إنا لله وإنا اليه راجعون ! دارت رحى الإسلام ورب الكعبة ،
 فانظروا بأي زيفان تزيف ؟ فقال عمران : إي والله لتعركم عركاً طويلاً ثم

(١) سورة النساء ، الآية : ١١٤ .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٦٢ .

(٣) اللج : السيف .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٨ .

لا يساوي ما بقيَ منكم كثير شيء ، قال : فأشيرَ عليَّ يا عمران ، قال : إني قاعد فاقعد ، فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين علي ، قال عمران : بل يحكم الله ما يريد ، فانصرف الى بيته ، وقام عثمان في أمره ، فأناه هشام بن عامر فقال : يا عثمان ، إن هذا الأمر الذي تروم يُسلم الى شرٍّ مما تكره ، إن هذا فتق لا يترتق ، وصدع لا يُجبر ، فسامحهم حتى يأتي أمر علي ولا تحادهم ، فأبى ، ونادى عثمان في الناس وأمرهم بالتهيث ، ولبسوا السلاح ، واجتمعوا الى المسجد الجامع ، وأقبل عثمان على الكيد فكاد الناس لينظر ما عندهم ، وأمرهم بالتهيث ، وأمر رجلاً ودسه الى الناس خدعاً كوفياً قيسياً ، فقام فقال : يا أيها الناس ، أنا قيس بن الفَقْدِيَّة الحُمَيْسي ، إن هؤلاء القوم الذين جاؤوكم إن كانوا جاؤوكم خائفين فقد جاؤوا من المكان الذي يأمن فيه الطير ، وإن كانوا جاؤوا يطلبون بدم عثمان رضي الله عنه فما نحن بقتلة عثمان . أطيعوني في هؤلاء القوم فردوهم من حيث جاؤوا . فقام الأسود ابن سريع السعدي ، فقال : أوزعمو أنّا قتلنا عثمان رضي الله عنه ؟ فإنما فرعوا إلينا يستعينون بنا على قتل عثمان منا ومن غيرنا ، فإن كان القوم أخرجوا من ديارهم كما زعمت ، فمن ينعمهم من إخراجهم الرجال او البلدان ، فحصبه الناس ، فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً ممن يقوم معهم ، فكسره ذلك . وأقبلت عائشة رضي الله عنها فيمن معها ، حتى اذا انتهوا الى المربد ودخلوا من أعلاه ، أمسكوا ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه ، وخرج اليها من أهل البصرة من أراد أن يخرج اليها ، ويكون معها ، فاجتمعوا بالمربد وجعلوا يثوبون حتى غص بالناس .

فتكلم طلحة وهو في ميمنة المربد ومعه الزبير ، وعثمان في ميسرته ، فأنصتوا له فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضي الله عنه وفضله والبلد وما استحل منه ، وعظم ما أتى اليه ، ودعا الى الطلب بدمه ، وقال : إن في ذلك

إعزاز دين الله عز وجل وسلطانه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم فإنه حَدٌّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم وعاد أمركم اليكم ، وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام .

فتكلم الزبير بمثل ذلك . فقال من في ميمنة المريد : صدقا وبراً ، وقال الحق ، وأمرنا بالحق . وقال من في ميسرته : فجراً وغدراً ، وقالوا الباطل ، وأمرنا به ، قد بايعنا ثم جاءا يقولان ما يقولان ! وتحاشى^(١) الناس وتحاصبوا وأرهبوا . فتكلمت عائشة - وكانت جهورية يعلو صوتهـا كثرة كأنه صوت امرأة جليلة - فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه ، وقالت : كان الناس يتجنثون على عثمان رضي الله عنه ، ويُزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما نخبروننا عنهم ، ويرون حسناً من كلامنا في صلاح بينهم ، فننظر في ذلك فنجده بريئاً تقياً وفيئاً ونجدهم فجراً كذابةً ، يحاولون غير ما يظهرون . فلما قووا على المكاثرة كاثروه فافتحموا عليه داره ، واستحلوا الدماء الحرام ، والمال الحرام ، والبلد الحرام ، بلا تيرة ولا عذر ، ألا إن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره ، أخذ قتلة عثمان رضي الله عنه ، وإقامة كتاب الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾^(٢).

فافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين ، فقالت فرقة : صدقت والله وبرت ، وجاءت والله بالمعروف ، وقال الآخرون : كذبت والله ما نعرف ما تقولون ، فتحاشوا وتحاصبوا وأرهبوا ، فلما رأت ذلك عائشة انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان حتى وقفوا في المريد في موضع الدباغين ، وبقي أصحاب عثمان على حالهم يتدافعون حتى تحاجزوا ، ومال بعضهم إلى

(١) الحشي كالرمي : ما رفعت به يدك ، ط ٤ - ٤٦٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٣ .

عائشة ، وبقي بعضهم مع عثمان على فم السكة . وأتى عثمان بن 'حَنيف فيمن معه ، حتى إذا كانوا على فم السكة ، سكة المسجد عن يمين الدِّبَاجين ، استقبلوا الناس فأخذوا عليهم بقمها .

وأقبل جارية بن قدامة السعدي^(١) فقال : يا أمّ المؤمنين ، والله لَنَقْتُلُ عثمان بن عفان أهونُ منُ خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح ! إنه قد كان لك من الله سترٌ وحرمة ، فهتكت سترك وأبجت حرمتك ، إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك ، وإن كنت أتيّتنا طائفة فارجمي الى منزلك ، وإن كنت أتيّتنا مستكرهةً فاستعيني بالناس . قال : فخرج غلام شاب من بني سعد الى طلحة والزبير ، فقال : أما أنت يا زبير فحواري رسول الله ﷺ وأما أنت يا طلحة فوَقِيت رسول الله ﷺ بيدك ، وأرى أُمسكا معكما فهل جئتما بنسائكما ؟ قالا : لا ، قال : فما أنا منكما في شيء ، واعتزل .

وقال السعديّ في ذلك :

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم هذا لعمرك قلة الانصاف
أمرتُ يجرّ ذبولها في بيتها فهوت تشقّ البيد بالإيفاف
غرضاً يُقاتلُ دونها ابناؤها بالنبل والخطي والأسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها هذا المخبر عنهم والكافي

وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة - وكان محمد رجلاً عابداً - فقال :

• نصر بن مزاحم ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم .

أخبرني عن قتلة عثمان ! فقال : نعم ، دم عثمان ثلاثة أثلاث ، ثلث على صاحبة الهودج - يعني عائشة - وثلث على صاحب الجمل الأحمر - يعني طلحة - وثلث على علي بن أبي طالب ، فضحك الغلام وقال : ألا أراني على ضلال ! ولحق بعلي ، وقال في ذلك شعراً :

سألتُ ابن طلحة عن هالكٍ	يحوف المدينة لم يُقْبِرِ
فقال ثلاثة رهطٍ هُمُ	أما تَوا ابن عفان واستعبرِ
فثلث على تلك في خدرها	وثلث على راكب الأحمر
وثلث على ابن أبي طالبِ	ونحن بدويّةٍ قرقَرِ
فقلتُ صدقتَ على الأولين	واخطأت في الثالث الأزهر

قتال عائشة وعثمان بن حنيف :

فخرج أبو الأسود ^(١) وعمران وأقبل حُكيم بن جبلة ، وقد خرج وهو على الحليل ، فأنشب القتال ، وأسرع أصحاب عائشة رضي الله عنها رماحهم وامسكوا ليمسكوا ، فلم ينته ولم يُثْنِ ، فقاتلهم واصحاب عائشة كافّون إلا ما دافعوا عن انفسهم ، وحكيم يدمرُ خيله ويركبهم بها ، ويقول : إنها قریش ليردينّها جُبْنها والطيش ، واقتتلوا على فم السكة ، وأشرف أهل الدور ممن كان له في واحد من الفريقين هوى ، فرموا باقي الآخرين بالحجارة ، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا الى مقبرة بني مازن ، فوقفوا بها ملياً ، وثار اليهم الناس ، فحجز الليل بينهم . فرجع عثمان إلى القصر ، ورجع الناس إلى

(١) من هنا يرجع الحديث إلى رواية سيف عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٦٦ .

قبائلهم ، وجاء أبو الجرباء - أحد بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم - إلى عائشة وطلحة والزبير ، فأشار عليهم بأمثل من مكانهم فاستنصحوه وتابعوا رأيه ، فساروا من مقبرة بني مازن فأخذوا على مُسَنَّة البصرة من قبل الجبانة حتى انتهوا إلى الزابوقة ، ثم أتوا مقبرة بني حصن وهي متنجية إلى دار الرزق ، فباتوا يتأهبون ، وبات الناس يسرون اليهم ، وأصبحوا وهم على رجل في ساحة دار الرق ، وأصبح عثمان بن حنيف فغاداهم ، وغدا حكيم بن جبلة وهو يُبربر وفي يده الرمح ، فقال له رجل من عبد القيس : من هذا الذي تسبّ وتقول له ما أسمع ؟ قال : عائشة ، قال : يابن الحبيثة ، ألام المؤمنين تقول هذا ؟ فوضع حكيم السنان بين ثديه فقتله . ثم مرّ بامرأة وهو يسبها - يعني عائشة - فقالت : من هذا الذي ألك إلى هذا ؟ قال : عائشة ، قالت : يابن الحبيثة ، ألام المؤمنين تقول هذا ؟ فطعننها بين ثدييها فقتلها . ثم سار ، فلما اجتمعوا واقفوه ، فاقتتلوا بدار الرزق قتالاً شديداً من حين بزغت الشمس الى أن زال النهار . وقد كثر القتلى في أصحاب ابن حنيف وفشت الجراحة في الفريقين ، ومنادي عائشة يناشدهم ويدعوهم الى الكف فيأبون ، حتى إذا مسهم الشر وعضّهم^(١) ، نادوا أصحاب عائشة الى الصلح والتماب ، فأجابوهم ، وتواعدوا ، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولا الى المدينة ، وحتى يرجع الرسول من المدينة ، فإن كانا أكرها خرج عثمان وأخلى لهما البصرة . وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير :

الاتفاق على وقف القتال بين عثمان بن حنيف وعائشة :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اصطلىح عليه طلحة والزبير ومن معهم من المؤمنين والمسلمين ، وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين . إن عثمان

(١) في ابن الأثير : « وعضّهم الحرب » .

يقيم حيث أدركه الصلح على ما في يده ، وإن طلحة والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما في أيديهما ، حتى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن سور من المدينة . ولا يضار واحد من الفريقين الآخر في مسجد ولا سوق ولا طريق ولا 'فرضة' ، بينهم عيبة مفتوحة حتى يرجع كعب بالخبر ، فإن رجع بأن القوم أكرهوا طلحة والزبير فالأمر أمرهما ، وإن شاء عثمان خرج حتى يلحق بطيئته ، وإن شاء دخل معها ، وإن رجع بأنها لم يكرها فالأمر أمر عثمان ، فإن شاء طلحة والزبير أقاما على طاعة علي ، وإن شاء أخرجا حتى يلحقا بطيئتهما ، والمؤمنون أعوان الفالح منها .

فخرج كعب حتى يقدم المدينة ، فاجتمع الناس لقدومه ، وكان قدومه يوم جمعة ، فقام كعب فقال : يا أهل المدينة ، إني رسول أهل البصرة اليكم ، أأكره هؤلاء القوم هذين الرجلين على بيعة علي ، أم أتيا طائعين ؟ فلم يجبه أحد من القوم إلا ما كان من أسامة بن زيد ، فإنه قام فقال : اللهم إنها لم يبايعا إلا وهما كارهان . فأمر به تمام ، فوثبه سهل بن حنيف والناس ، وثار صهيب بن سنان وأبو أيوب بن زيد ، في عدة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم محمد بن مسلمة ، حين خافوا أن يقتل أسامة ، فقال : اللهم نعم ، فانفرجوا عن الرجل ، فانفرجوا عنه ، وأخذ صهيب بيده حتى أخرجه فأدخله منزله ، وقال : قد علمت أن أم عامر حامقة ، أما وسعك ما وسعنا من السكوت ؟ قال : لا والله ما كنت أرى أن الأمر يتراعى إلى ما رأيت ، وقد أبسلنا ^(١) لعظيم . فرجع كعب وقد اعتد طلحة والزبير فيما بين ذلك بأشياء كلها كانت مما يعتد به ، منها أن محمد بن طلحة - وكان صاحب صلاة - قام مقاما قريبا من عثمان بن حنيف ،

(١) أبسلت فلانا : أسلمته للهلكة ، ط ٤ - ٤٦٨ .

فخشي بعض الزط والسيابجة ^(١) أن يكون جاء لغير ما جاء له، فبعثنا إلى عثمان، هذه واحدة . وبلغ علينا الخبر الذي كان بالمدينة من ذلك ، فبادر بالكتاب إلى عثمان يعجزه ويقول : والله ما أكرها إلا كرهاً على فرقة ، ولقد أكرها على جماعة وفضل ، فإن كنا يريدان الخلع فلا عذر لهما ، وإن كنا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا . فقدم الكتاب على عثمان بن حنيف .

عودة القتال وانتصار عائشة :

وقدم كعب فأرسلوا إلى عثمان أن اخرج عنا ، فاحتج عثمان بالكتاب وقال : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه ، فجمع طلحة والزبير والرجال في ليلة مظلمة باردة ذات رياح وندى ، ثم قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء - وكانوا يؤخرونها - فأبطأ عثمان بن حنيف ، فقدما عبد الرحمن بن عتاب ، فشهز الزط والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم ، فأقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد وصبروا لهم ، فأناموهم وهم أربعون ، وأدخلوا الرجال على عثمان ليخرجوه إليها ، فلما وصل إليها توطؤوه وما بقيت في وجهه شعرة ، فاستعظما ذلك ، وأرسلوا إلى عائشة بالذي كان ، واستطلعا رأيها ، فأرسلت إليها أن خلوا سبيله فليذهب حيث شاء ولا تحبسوه ، فأخرجوا الحرس الذين كانوا مع عثمان في القصر ودخلوه ، وقد كانوا يعتقبون حرس عثمان في كل يوم وفي كل ليلة أربعون ، فصلى عبد الرحمن بن عتاب بالناس العشاء والفجر ، وكان الرسول فيما بين عائشة وطلحة والزبير هو ، أتاهما بالخبر ، وهو رجع إليها بالجواب ، فكان رسول القوم .

(١) السيابجة : قوم من السند كانوا بالبصرة .

فأصبح طلحة والزبير ^(١) وبيت المال والحرس في أيديهما ، والناس معها ، ومن لم يكن معها مغمور مستسر ، وبعثا حين أصبحا بأن حكيماً في الجمع ، فبعثت : لا تحبسوا عثمان ودعاه . ففعلاً ، فخرج عثمان فمضى لطلبته ، وأصبح حكيم بن جبلة في خيله على رجل فيمن تبعه من عبد القيس ومن نزع إليهم من أفناء ربيعة ، ثم وجهوا نحو دار الرزق وهو يقول : لست بأخيه إن لم أنصره ، وجعل يشتم عائشة رضي الله عنها فسمعته امرأة من قومه ، فقالت : يا ابن الحبيثة ، أنت أولى بذلك ، فطعنها فقتلها ، فغضبت عبد القيس إلا من كان اغتسر منهم ، فقالوا : فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم ! والله لندعناك حتى يقيدك الله . فرجعوا وتركوه ، ومضى حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان ابن عفان وحصره من نزاع القبائل كلها ، وعرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة ، فاجتمعوا إليه ، فانتهى بهم إلى الزبوة عند دار الرزق ، وقالت عائشة : لا تقتلوا إلا من قاتلكم ، ونادوا من لم يكن من قتلة عثمان رضي الله عنه فليكفف عنا ، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا نبداً أحداً ، فأنشب حكيم القتال ولم يرع للمنادي ، فقال طلحة والزبير : الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة اللهم لا تبق منهم أحداً ، وأقيد منهم اليوم فاقتلهم . فجادوا وهم القتال ، فاقتلوا أشد قتال ومعه أربعة قواد ، فكان حكيم بجيال طلحة ، وذريح بجيال الزبير ، وابن الحرث بجيال عبد الرحمن بن عتّاب ، وحرقوق بن زهير بجيال عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، فزحف طلحة لحكيم وهو في ثلاثمائة رجل ، وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول :

أضربُهم باليابسِ ضربَ غلامِ عابسِ
من الحياة آيسِ في الغرفاتِ نافسِ

(١) ما زال الحديث حديث سيف عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٧٠ .

فضرب رجل رجله فقطعها، فحبا حتى أخذها فرمى بها صاحبه، فأصاب جسده فصرعه ، فأثاه حتى قتله ، ثم اتكأ عليه وقال :

يا فخذِ لن تراعي إنَّ معي ذراعي
أحي بها كراعي

وقال وهو يرتجز :

ليس عليّ أن أموتَ عارُ والعار في الناس هو الفرار
والجد لا يفضحه الدمار

فأتى عليه رجلٌ وهو رثيث^(١) ، رأسه على الآخر، فقال : مالك يا حَكيم؟ قال : قُتلت ، قال : من قتلَكَ ؟ قال : وسادتي ، فاحتمله فضمه في سبعين من أصحابه ، فتكلم يومئذ حَكيم وإنه لقائم على رجل ، وإن السيوف لتأخذهم فما يتتبع، ويقول : إنا خلفنا هذين وقد بايعا علياً وأعطياه الطاعة، ثم أقبلنا مخالفين محاربين يطلبان بدم عثمان بن عفان، ففرقا بيننا، ونحن أهل دار وجوار . اللهم إنها لم يريدا عثمان . فنادى منادٍ : يا خبيث جزعت حين عضك نكال الله عز وجل إلى كلام من نَصَبَكَ وأصحابك بما ركبتُم من الإمام المظلوم ، وفرقتُم من الجماعة، وأصبتم من الدماء، ونلتُم من الدنيا ! فذق وبال الله عز وجل وانتقامه ، وأقيموا فيمن أنتم .

وقتل ذَرِيح ومن معه ، وأفلت حُرْقُوص بن زهير في نفر من أصحابه ، فلهجؤا إلى قومهم ، ونادى منادي الزبير وطلحة بالبصرة : ألا من كان فيهم من

(١) الرثيث : الجريح وبه رمق .

قبائلكم أحدٌ من غزا المدينة فليأتنا بهم . فجاء بهم كما يُجاء بالكلاب ، فقتلوا ، فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً إلا حرقوص بن زهير ، فإن بني سعد منعوه ، وكان من بني سعد ، فمستهم في ذلك أمرٌ شديد ، وضربوا لهم فيه أجلاً وخشَّسُوا صدور بني سعد وإنهم لعثمانية حتى قالوا : نعتزل ، وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الواقعة ومن كان هرب اليهم إلى ما هم عليه من لزوم طاعة علي ، فأمرنا للناس بأعطياتهم وأرزاقهم وحقوقهم ، وفضلنا بالفضل أهل السمع والطاعة . فخرجت عبد القيس وكثيرٌ من بكر بن وائل حين زووا عنهم الفضول ، فبادروا إلى بيت المال ، وأكبَّ عليهم الناس فأصابوا منهم ، وخرج القوم حتى نزلوا على طريق علي ، وأقام طلحة والزبير ليس معها بالبصرة ثار إلا حرقوص ، وكتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا وصاروا اليه : إنا خرجنا لوضع الحرب ، وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده في الشريف والوضيع والكثير والقليل ، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يردنا عن ذلك ، فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم ، وخالفنا شرارهم ونزاعهم ، فردونا بالسلاح وقالوا فيما قالوا : نأخذ ام المؤمنين رهينة ، أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه . فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة ، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذراً استبسل قتلة أمير المؤمنين ، فخرجوا إلى مضاجعهم فلم يُفلت منهم مخبر إلا حرقوص بن زهير ، والله سبحانه مُقيده إن شاء الله . وكانوا كما وصف الله عز وجل ، وإنا نناشدكم الله في أنفسكم إلا نهضتم بمثل ما نهضنا به ، فنلقى الله عز وجل وتلقونه وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا .

وبعثوا به مع سيار العجلي ، وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثله مع رجل من بني عمرو بن أسد يدعى مظفر بن معرض . وكتبوا إلى أهل اليمامة ، وعليها سبرة بن عمرو العنبري مع الحارث السدوسي . وكتبوا إلى أهل المدينة مع ابن قدامة القشيري ، فدسَّه إلى أهل المدينة .

وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى أهل الكوفة مع رسولهم : أما بعد فإني أذكركم الله عز وجل والاسلام ، أقيموا كتاب الله بإقامة ما فيه ، إتقوا الله واعتصموا بحبله^(١) وكونوا مع كتابه . فإننا قدمنا البصرة فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده . فأجابنا الصالحون إلى ذلك . واستقبلنا من لا خير فيه بالسلاح ، وقالوا : لنُتَبِعَنَّكُمْ عثمان ، ليزيدوا الحدود تعطيلاً ، فعاندوا فشهدوا علينا بالكفر وقالوا لنا المنكر ، فقرأنا عليهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾^(٢) . فأذعن لي بعضهم ، واختلفوا بينهم ، فتركناهم وذلك ، فلم يمنع ذلك من كثرت منهم على رأيه الأول من وضع السلاح في أصحابي ، وعزم عليهم عثمان بن حنيف إلا قاتلوني حتى منعي الله عز وجل بالصالحين فردّ كيدهم في نخورهم ففككتنا ستاً وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حدوده - وهو حقن الدماء أن تُهرأق دون من قد حلّ دمه - فأبوا واحتجّوا بأشياء ، فاصطلحنا عليها ، فخافوا وغدروا وخانوا ، فجمع الله عز وجل لعثمان رضي الله عنه ثأرهم ، فأقادهم فلم يُفلت منهم إلا رجلٌ وأردأنا الله ، ومنعنا منهم بعُمير بن مرثد ومرثد بن قيس ، ونفر من قيس ، ونفر من الرّباب والأزد . فالزموا الرضا إلا عن قتلة عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقه ، ولا تخاصموا الخائنين ولا تمنعوهم ، ولا ترضوا ببدويٍّ حدود الله فتكونوا من الظالمين . فكتبتُ إلى رجال بأسمائهم . فثبّطوا الناس عن منع هؤلاء القوم ونصرتهم واجلسوا في بيوتكم ، فإن هؤلاء القوم لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفان رضي الله عنه ، وفرّقوا بين جماعة الأمة ، وخالفوا الكتاب والسنة ، حتى شهدوا علينا فيما أمرناهم به ، وحثناهم عليه من إقامة كتاب الله وإقامة حدوده بالكفر ، وقالوا لنا المنكر ، فانكر

(١) ط ٤ - ٤٧٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٣ .

ذلك الصالحون وعظموا ما قالوا ، وقالوا : ما رضيتم أن تقتلتم الإمام حتى خرجتم على زوجة نبيكم ﷺ ، أن أمرتكم بالحق ، لتقتلوهما وأصحاب رسول الله ﷺ وأئمة المسلمين ! فعزموا وعثمان بن حنيف معهم على من أطاعهم من جهال الناس وغوغائهم على زطهم وسيابجهم ، فلئذنا منهم بطائفة من الفسطاط ، فكان ذلك الدأب ستة وعشرين يوماً ، ندعوهم إلى الحق وألا يحولوا بيننا وبين الحق ، فغدروا وخانوا فلم نقايسهم^(١) ، واحتجوا ببيعة طلحة والزبير ، فأبردوا بريدأ فجاءهم بالحجة ، فلم يعرفوا الحق ولم يصبروا عليه ، فغادوني في الغلَس ليقتلوني ، والذي يحاربهم غيري ، فلم يبرحوا حتى بلغوا سدة بيتي ومعهم هادي يهديهم إليّ ، فوجدوا نفرأ على باب بيتي ، منهم عمير بن مرثد ، ومرثد بن قيس ، ويزيد بن عبد الله بن مرثد ، ونفر من قيس ، ونفر من الرباب والأزد ، فدارت عليهم الرحي ، فأطاف بهم المسلمون فقتلوهم ، وجمع الله عز وجل كلمة أهل البصرة على ما أجمع عليه الزبير وطلحة ، فإذا قتلنا بثأرنا وسعنا الغدر .

وكانت الواقعة لخمس ليالٍ بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين .

وكتب عبيد بن كعب في جمادى .

مسير علي بن أبي طالب الى البصرة :

لما أتى علياً الخبر^(٢) وهو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزبير أنهم قد توجهوا نحو العراق ، خرج يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردّهم ، فلما انتهى إلى الربذة [كما مرّ معنا ص ١١٩] أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا . فأقام بالربذة

(١) أي لم نجارهم وتقابلهم المثل بالمثل .

(٢) عن عبيدة بن معتب ، عن يزيد الضخم ، ط ٤ - ٤٧٧ .

أياماً ، وأتاه عن القوم أنهم يريدون البصرة ، فسري بذلك عنه ، وقال : إن أهل الكوفة أشدَّ إليّ حباً ، وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم . فكتب إليهم : إنني قد اخترتكم على الأمصار وإنني بالأثرة ^(١) .

[و] لما قدم علي الربذة ^(٢) أقام بها وسرّح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر ، وكتب إليهم : إنني اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث ، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً ، وأيدونا وانفضوا إلينا فالإصلاح ما نريد ، لتعود الأمة اخواناً ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق وآثره ، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه ^(٣) . فضى الرجلان وبقي علي بالربذة يتهيأ ، وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح ، وأمير أمره ^(٤) وقام في الناس فخطبهم ، وقال : إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخواناً بعد ذلّة وقلّة وتباغض وتباعد ، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله . الإسلام دينهم ، والحق فيهم ، والكتاب أمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة ، ألا إن هذه الأمة لا بدّ مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم ، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن . ثم عاد ثانية ، فقال : إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرّها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعلمي ، فقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم واهدوا بيهدي نبيكم ﷺ ، واتبعوا سنته ،

(١) الأثرة : الحال غير المرضية - الكرمة المتوارثة . (أقرب الموارد)

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٧٨ .

(٣) غمصه : أي تهون به .

(٤) أمير أمره : اشتد أمره .

وأعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن ، فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردّوه ، وارضوا بالله جل وعز رباً وبالاسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ، وبالقرآن حكماً وإماماً .

[و] لما أراد علي^(١) الخروج من الربذة الى البصرة قام اليه ابن لرفاعة بن رافع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذي نريد وننوي فالاصلاح ، إن قبلوا منا وأجابونا اليه ، قال : فإن لم يجيبوا اليه ؟ قال : ندعهم بعدرهم ونعطيهم الحق ونصبر ، قال : فإن لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعم إذا . وقام الحجاج بن غزية الأنصاري فقال : لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول ، وقال :

دَرَاكها دراكها قبل الفوت وانقر بنا واسمُ نحو الصوت
لا وَالَّتْ نفسي إن هِبْتُ الموت

والله لأنصرن الله عز وجل كما سمانا أنصاراً . فخرج أمير المؤمنين وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح ، والراية مع محمد بن الحنفية ، وعلى اليمين عبد الله بن عباس ، وعلى اليسرة عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وخرج علي وهو في سبعمائة وستين ، وراجز علي يرجز به :

سيروا أبابيلَ وُحِثُوا السَّيْرَا إذا عزم السَّيْرَ وقولوا خيرا
حتى يلاقوا وتلاقوا خيراً نغزو بها طلحة والزبيرا

وهو أمام أمير المؤمنين ، وأمير المؤمنين علي على ناقته له حمراء يقود فرساً

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٧٨ .

كميتاً . فتلقاهم بفَيْدَ غلامٍ من بني سعد بن ثعلبة بن عامر يدعى مرة ، فقال : من هؤلاء ؟ فقيل : أمير المؤمنين ، فقال : سفرة فانية فيها دماء من نفوس فانية ، فسمعها علي ، فدعاه ، فقال : ما اسمك ؟ قال : مُرّة ، قال : أمر الله عيشك ، كاهن سائر اليوم ؟ قال : بل عائف^(١) . فلما نزل بفيد أخته أسد وطيء فعرضوا عليه أنفسهم ، فقال : الزموا قراركم ، في المهاجرين كفاية . وقدم رجلٌ من أهل الكوفة فيدأ قبل خروج علي فقال : من الرجل ؟ قال : عامر بن مطر ، قال : الليثي ؟ قال : الشيباني ، قال : أخبرني عما وراءك ، قال : فأخبره حتى سأله عن أبي موسى ، فقال : إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك ، وإن أردت القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك ، قال : والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يُردّ علينا ، قال : قد أخبرتك الخبر ، وسكت وسكت علي .

ولما نزل علي الثعلبية^(٢) أتاه الذي لقي عثمان بن حنيف وحرسه ، فقام وأخبر القوم الخبر ، وقال : اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير من قتل المسلمين ، وسلمنا منهم أجمعين . ولما انتهى إلى الإسناد أتاه ما لقي حكيم بن جبلة وقتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقال : الله أكبر ، ما ينجيني من طلحة والزبير إذ أصابا نأرها أو ينجيها ؟ وقرأ : ﴿ ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ﴾^(٣) . وقال :

دعا حَكِيمٌ دعوة الزُّمَاعِ حلَّ بها منزلةَ النَّزَاعِ

(١) العائف : هو الذي يزجر الطير (يتكهن بجهة طيران الطير ويتنبأ به) .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٨١ .

(٣) سورة الحديد ، الآية : ٢٢ .

ولما انتهوا إلى ذي قار انتهى إليه فيها عثمان بن حنيف ، وليس في وجهه شعر ، فلما رآه علي نظر إلى أصحابه فقال : انطلق هذا من عندنا وهو شيخ ، فرجع إلينا وهو شاب . فلم يزل بذئ قار يتلوم محمداً ومحمداً . وأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس ونزولهم بالطريق ، فقال : عبد القيس خير ربيعة ، وفي كل ربيعة خير . وقال :

يا لهفَ نفسي على ربيعة^١ ربيعة السامِعةِ المطيعة^٢
 قد سبقتنني فيهم الواقعة دعا علي^٣ دعوة^٤ سمِعة^٥
 حلّثوا بها المنزلة الرفِعة

قال : وعرضت عليه بكر بن وائل ، فقال لهم مثل ما قال لطبيء وأسد .

موقف أبي موسى الأشعري :

ولما قدم محمد ومحمد على الكوفة ، وأتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين ، وقاما في الناس بأمره ، فلم يجابا إلى شيء ، فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجبى على أبي موسى فقالوا : ما ترى في الخروج ؟ فقال : كان الرأي بالأمس ليس باليوم ، إن الذي تهاونتم به فيما مضى ، هو الذي جرّ عليكم ما ترون ، وما بقي إنما هما أمران : القعود سبيل الآخرة ، والخروج سبيل الدنيا ، فاختاروا . فلم ينفر إليه أحد ، فغضب الرجلان وأغلظا لأبي موسى ، فقال أبو موسى : والله إن بيعة عثمان رضي الله عنه لفي عنقي وعنق صاحبكما ، فإن لم يكن بد من قتال ، لا نقاتل أحداً حتى يُفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا . فانطلقا إلى علي فوافياه بذئ قار وأخبراه الخبر ، وقد خرج مع الأشتر وقد كان يعجل إلى الكوفة ، فقال علي : يا أشتر ، أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شيء ، إذهب انت وعبد الله بن عباس فأصلح ما أفسدت .

فخرج عبد الله بن عباس ومعه الأشر ، فقدما الكوفة وكلثما أبا موسى واستمعانا عليه بأناس من الكوفة ، فقال للكوفيين: انا صاحبكم يوم الجرعة وأنا صاحبكم اليوم ، فجمع الناس فخطبهم وقال : أيها الناس ، إن اصحاب النبي ﷺ الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله جل وعز وبرسوله ﷺ ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً فأنا مؤديه اليكم ؟ كان الرأي ألا تستخفوا بسلطان الله عز وجل ، ولا تجترئوا على الله عز وجل ، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم اليها حتى يجتمعوا، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم، ولا تكلّفوا الدخول في هذا ، فأما إذ كان ما كان فإنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، فاغمدوا السيوف وأنصلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة .

ولما رجع ^(١) ابن عباس إلى علي بالخبر دعا الحسن بن علي فأرسله ، فأرسل معه عمار بن ياسر ، فقال له : انطلق فأصلح ما أفسدت ، فأقبلا حتى دخلا المسجد ، فكان أول من أتاها مسروق بن الأجدع ، فسلم عليها ، وأقبل على عمار فقال : يا أبا اليقظان ، علام قتلتم عثمان رضي الله عنه ؟ قال : على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا ! فقال : والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين . فخرج أبو موسى ، فلقي الحسن فضمه إليه ، وأقبل على عمار فقال : يا أبا اليقظان ، أعدّوتَ فيمن عدا على أمير المؤمنين ، فأحلت نفسك مع الفسّجّار ؟ فقال : لم أفعل ، ولم تسؤني ؟ وقطع عليها الحسن فأقبل على أبي موسى ، فقال : يا أبا موسى ، لم تثبط الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا

(١) ما زال الحديث عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٨٣ .

الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين 'يخاف على شيء'. فقال: صدقت بأبي أنت وأمي ، ولكن المستشار مؤتمن ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون فتنة » القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب » قد جعلنا الله عز وجل إخواناً ، وحرّم علينا أموالنا ودماءنا ، وقال : ﴿ يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ ^(٢) . وقال جل وعز : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ ^(٣) ، فغضب عمارٌ وساءه وقام وقال : يا أيها الناس ، إنما قال له خاصة : أنت فيها قاعداً خير منك قائماً . وقام رجل من بني تميم فقال لعمار : أسكت أيها العبد ، أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا ، وثار زيد بن صوحان وطبقته ، وثار الناس وجعل أبو موسى يكفكف الناس ، ثم انطلق حتى أتى المنبر ، وسكن الناس ، وأقبل زيد على حمار حتى وقف بباب المسجد ومعه الكتابان من عائشة رضي الله عنها إليه وإلى أهل الكوفة ، وقد كان طلب كتاب العامة فضمه إلى كتابه ، فأقبل بهما ومعه كتاب الخاصة وكتاب العامة : أما بعد ، فثبطوا أيها الناس واجلسوا في بيوتكم إلا عن قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

فلما فرغ من الكتاب قال : أُمِرْتُ بأمر وأُمِرْنَا بأمر . أُمِرْتُ أَنْ تَقْرَأَ فِي بَيْتِهَا وَأُمِرْنَا أَنْ نَقَاتِلَ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، فَأُمِرْتُمَا بِمَا أُمِرْتُ بِهِ ، وَرَكِبْتُ مَا أُمِرْنَا بِهِ . فقام إليه شُبْتُ بْنُ رَبِيعٍ فَقَالَ : يَا عُمَانِي - وَزَيْدٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ عُمَانٌ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ - سَرَقْتَ يَحْلُولَاءَ فَقَطَعَكَ اللَّهُ ، وَعَصَيْتَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَتَلَكَ اللَّهُ ! مَا أُمِرْتُ إِلَّا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ ، فَقُلْتُ :

(١ - ٢) سورة النساء ، الآية : ٩٢ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٩٣ .

ورب الكعبة ، وتهاوى الناس . وقام ابو موسى فقال : أيها الناس ، أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوي اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف ، إننا أصحاب محمد ﷺ أعلم بما سمعنا ، إن الفتنة إذا أقبلت شبت وإذا أدبرت بينت ، وإن هذه الفتنة باقرة كدء البطن تجري بها الشمال والجنوب والصبا والدبور ، فتسكن أحيانا فلا يُدرى من أين تؤتى ، تذر الحليم كابن أمس ، شيموا ^(١) سيوفكم وقصدوا ^(٢) رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم . خلّوا قريشاً - إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالإمرة - تترق فتقها وتشعب صدعها ، فإن فعلت فلأنففسها سعت ، وإن أبت فعلى أنفسها منت ^(٣) ، سمنها تهريق في أديمها ، استنصحنوني ولا تستغشّوني ، وأطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم ، ويشقى بحر هذه الفتنة من جناها .

فقام زيد فшал يده المقطوعة فقال : يا عبد الله بن قيس ، ردّ الفرات عن دراجه ^(٤) ، اردده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد ، فدع عنك ما لست مُدركه . ثم قرأ . ﴿الم . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ ^(٥) إلى آخر الآيتين ، سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين ، وانفروا اليه أجمعين تصيبوا الحق .

فقام القعقاع بن عمرو فقال : إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، احب ان ترشّدوا ، ولأقولن لكم قولاً هو الحق ، أما ما قال الأمير فهو الأمر لو أن اليه

-
- (١) شام السيف : أغمده .
(٢) قصدوا رماحكم : اكسروها .
(٣) أي جلبت لنفسها المنية .
(٤) أي منحدره وطريقه .
(٥) سورة العنكبوت ، الآية ٢ .

سبيلاً ، وأما ما قال زيد فزيدٌ في الأمر فلا تستنصحوه فإنه لا ينتزع أحد من الفتنة طعن فيها وجرى إليها ، والقول الذي هو القول إنه لا بد من إمارة تنظم الناس وتزغ الظالم وتُعزِّز المظلوم ، وهذا علي يلي بما ولي ، وقد أنصف في الدعاء وإنما يدعو الى الإصلاح ، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع .

وقال سَيِّحان : أيها الناس ، إنه لا بد لهذا الأمر وهؤلاء الناس من والٍ يدفع الظالم ويُعزِّز المظلوم ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه ، وهو المأمون على الأمة ، الفقيه في الدين ، فمن نهض اليه فإِنَّا سائرون معه .

ولانَ عمار بعد نزوته الاولى . فلما فرغ سَيِّحان من خطبته ، تكلم عمار فقال : هذا ابن عم رسول الله ﷺ يستنفركم الى زوجة رسول الله ﷺ وإلى طلحة والزبير (١) . وإني أشهد أنها زوجته في الدنيا والآخرة ، فانظروا ثم انظروا في الحق فقاتلوا معه . فقال رجل : يا أبا اليقظان ، لهو مع من شهدت له بالجنة على من لم تشهد له . فقال الحسن : اكفف عنا يا عمار ، فإن للإصلاح أهلاً .

وقام الحسن بن علي ، فقال : يا أيها الناس ، أجيئوا دعوة أميركم ، وسيروا الى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر اليه ، والله لأن يليه أولو النهي أمثلُ في العاجلة وخير في العاقبة ، فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم . فسامح الناس وأجابوا ورضوا به . وأتى قوم من طيء عدياً فقالوا : ماذا ترى وماذا تأمر ؟ فقال : ننتظر ما يصنع الناس ، فأخبر بقيام الحسن وكلام من تكلم ، فقال : قد بايعنا هذا الرجل ، وقد دعانا الى جميل ، وإلى هذا الحدث العظيم لننظر فيه ، ونحن سائرون وناظرون .

(١) ما زالت الرواية عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٨٥ .

وقام هند بن عمرو ، فقال : إن أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا رُسُلَه حتى جاءنا ابنه ، فاسمعوا إلى قوله ، وانتهوا إلى أمره ، وانفروا إلى أميركم فانظروا معه في هذا الأمر وأعينوه برأيكم .

وقام حُجر بن عدي ، فقال : أيها الناس أجيئوا أمير المؤمنين وانفروا خفافاً وثقالاً ، وأنا أولكم . وقام الأَشتر فذكر الجاهلية وشدتها ، والإسلام ورخاءه ، وذكر عثمان رضي الله عنه فقام إليه المقطع بن الهيثم بن فجيج العامري ثم البكائي ؛ فقال : اسكت قبحك الله ! كلبٌ خُلِّي والنُّشاج ، فثار الناس فأجلسوه .

وقام المقطع ، فقال : إنا والله لا نَحتمل بعدها أن يبوء أحد بذكر أحد من أئمتنا ، وإن علينا عندنا لمقنن ، والله لئن يكن هذا الضرب لا يرضى به علي ، فعضُّ امرؤ على لسانه في مشاهدنا ، فأقبلوا على ما أحثاكم .

فقال الحسن : صدق الشيخ ، وقال الحسن : أيها الناس إني غادٍ فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر ، ومن شاء فليخرج في الماء ، فنفر معه تسعة آلاف فأخذ بعضهم البر ، وأخذ بعضهم الماء وعلى كل سُبُع رجلٌ ، أخذ البر ستة آلاف ومائتان ، وأخذ الماء ألفان ومائتان .

نزول أمير المؤمنين «علي» ذا قار :

لما التقوا بندي قار ^(١) تلقاهم علي في أناس ، فيهم ابن عباس فرحب بهم ،

(١) عن عمرو ، عن الشعبي ، ط ٤ - ٤٨٧ .

وقال : يا أهل الكوفة ، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم ، وفضضتم جموعهم ، حتى صارت إليكم مواريتهم ، فأغنيتهم حوزتكم ، وأعنتم الناس على عدوهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فإن يرجعوا فذاك ما نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق ، وبايناهم حتى يبدؤونا بظلم ، ولن ندع أمراً فيه صلاحٌ إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله .

فاجتمع بندي قار سبعة آلاف ومائتان ، وعبد القيس بأسرها في الطريق بين علي وأهل البصرة ينتظرون مرور علي بهم ، وهم آلاف - وفي الماء الفان وأربعمائة .

مساعي الإصلاح :

[وفي رواية أخرى ^(١) .

لما نزل علي ذا قار أرسل ابن عباس والأشتر بعد محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر ، وأرسل الحسن بن عليّ وعماراً بعد ابن عباس والأشتر ، فخف في ذلك الأمر جميع من كان نفّر فيه ، ولم يقدم فيه الوجوه اتباعهم ، فكانوا خمسة آلاف اخذ نصفهم في البر ونصفهم في البحر ، وخف من لم ينفر فيها ولم يعمل لها . وكان على طاعته ^(٢) ملازماً للجماعة ، فكانوا أربعة آلاف . فكان رؤساء الجماعة : القعقاع بن عمرو ، وسعد ^(٣) بن مالك ، وهند بن عمرو ، والهيثم بن شهاب ، وكان رؤساء التفّار : زيد بن صوحان ، والأشتر مالك بن الحارث ، وعدي بن حاتم ، والمسيّب بن نجبة ، ويزيد بن قيس ومعهم اتباعهم وامثال

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٨٦ .

(٢) في نسخة « وكان علي طاعناً » .

(٣) في نسخة : « سعد » .

لهم ليسوا دونهم إلا أنهم لم يؤمّروا، منهم حُجْر بن عدي وابن مُحَدَّوج البكريّ وأشباهَ لهما لم يكن في أهل الكوفة أحد على ذلك الرأي غيرهم . فبادروا في الوقعة إلا قليلاً ، فلما نزلوا على ذي قار دعا القعقاعَ بن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال له : التق هذين الرجلين يابن الحنظلية — وكان القعقاع من أصحاب النبي ﷺ — فادعها إلى الألفة والجماعة ، وعظّم عليها الفرقة ، وقال له : كيف أنت صانع فيما جاءك منها مما ليس عندك فيه وصاة مني ؟ فقال : نلقاهم بالذي أمرتَ به ، فإذا جاء منها أمر ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا الرأي وكلّناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي . قال : أنت لها . فخرج القعقاع حتى قدم البصرة ، فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها ، وقال : أي أمّه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أي بني ، إصلاح بين الناس ، قال : فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامها ، فبعثت اليها فجاءا ، فقال : إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد ؟ فقالت : إصلاح بين الناس ، فما تقولان أنتما ؟ أمتابعان أم مخالفتان ؟ قال : متابعان ، قال : فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح ؟ فوالله لئن عرفنا لنُصلحنّ ، ولئن أنكرناه ، لا نصلح . قال : قتلة عثمان رضي الله عنه ، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، وإن عمل به كان إحياء للقرآن . فقال : قد قَتَلْتُمَا قتلة عثمان من أهل البصرة ، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستائة إلا رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم ذلك الذي أفلتت — يعني حُرْقُوص بن زهير — فمنعه ستة آلاف وهم على رجل ، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون ، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوهم عليكم فالذي حذرتم وقربتم به هذا الأمر اعظم مما أراكم تكرهون ، وأنتم أحيتم مضر وربيعه من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء ، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير . فقالت أم المؤمنين : فتقول أنت

ماذا ؟ قال : اقول هذا الأمر دواؤه التسكين ، وإذا سكن اختلجوا ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتبشير رحمة ودركٌ بثأر هذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الامة ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه ، كانت علامة شر ، وذهاب هذا الثأر ، وبعثة الله في هذه الامة هزاهزا ، فأثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون ، ولا تعرّضونا للبلاء ولا تعرّضوا له فيصرعنا وإياكم . وأيم الله إني لأقول هذا وأدعوك اليه وإني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الامة التي قلّ متاعها ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدر ، وليس كالأمر ، ولا كقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل . فقالوا : نعم ، إذا قد أحسنت وأصبت المقالة ، فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر . فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح ، كره ذلك من كرهه ، ورضيه من رضيه .

وأقبلت وفود البصرة نحو علي حين نزل بندي قار ، فجاءت وفود تيم وبكر قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأي اخوانهم من اهل الكوفة ، وعلى أي حال ، نهضوا إليهم ، وليعلموهم أن الذي عليه رأيهم الإصلاح ، ولا يخطر لهم قتال على بال . فلما لقوا عشائريهم من اهل الكوفة بالذي بعثهم فيه عشائريهم من اهل البصرة وقال لهم الكوفيون مثل مقالتهم ، وأدخلوهم على علي فأخبروه خبرهم ، سأل علي جرير بن شرس عن طلحة والزبير ، فأخبره عن دقيق أمرهما وجليله حتى تمثّل له :

ألا أبلغ بني بكر رسولاً فليس إلى بني كعب سبيل
سيرجع ظمكم منكم عليكم طويل الساعدين له فضول

وتمثل علي عندها :

ألم تعلم أبا سِمعان أنا	نردُّ الشيخ مثلك ذا الصُّداعِ
ويذهل عقله بالحرب حتى	يقومَ فيستجيبَ لغير داعِ
فدافعَ عن خزاعة جمعُ بكرٍ	وما بك يا سُراقَة من دفاعِ

[و] لما جاءت^(١) وفود اهل البصرة الى اهل الكوفة ورجع القعقاع من عند ام المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم ، جمع علي الناس ، ثم قام على الغرائر ، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ . وذكر الجاهلية وشقاءها والاسلام والسعادة وإنعام الله على الامة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ ، ثم الذي يليه ، ثم حدث هذا الحدث الذي جرّه على هذه الامة أقوامٌ طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا ردّ الأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره ، ومصيب ما أراد . ألا وإني راحلٌ غداً فأرتحلوا ، ألا ولا يرتحلن غداً أحدٌ أعان على عثمان بشيء في شيء من امور الناس ، وليُغْنِ السفهاء عني أنفسهم .

رؤوس الفتنة يحبطون مساعي الإصلاح :

فاجتمع نفر ، منهم علباء بن الهيثم ، وعدي بن حاتم ، وسالم بن ثعلبة العبسي وشريح بن أوفى بن ضبيعة ، والأشتر ، في عدّة ممن سار إلى عثمان ، ورضي بسير من سار ، وجاء معهم المصريون : ابن السوداء وخالد بن ملجم وتشاوروا فقالوا : ما الرأي ؟ وهذا والله علي ، وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب من

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٤٩٣ .

يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك ، وهو يقول ما يقول ، ولم ينفر إليه إلا هم والقليل من غيرهم ، فكيف به إذا شام القوم وشاموه ^(١) ، وإذا رأوا قتلنا في كثرتهم ؟ أنتم والله تراءدون ، وما أنتم بأنجي من شيء . فقال الأشر : أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما ، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ورأي الناس فينا والله واحد ، وإن يصطلحوا وعلي ، فعلى دماننا ، فهاهوا فلتواثب على علي فلنلحقه بعثمان ، فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون .

فقال عبد الله بن السوداء : بنس الرأي رأيت ! أنتم يا قتلة عثمان من أهل الكوفة بذى قار ألفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة ، وهذا ابن الحنظلية وأصحابه في خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلا ، فارقاً على ظلمك ^(٢) .

وقال علباء بن الهيثم : انصرفوا بنا عنهم ودعوهم ، فإن قتلوا كان أقوى لعدوهم عليهم ، وإن كثروا كان أخرى أن يصطلحوا عليكم ، دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقون به ، وامتنعوا من الناس .

فقال ابن السوداء : بنس ما رأيت ! ودء والله الناس أنكم على جديلة ^(٣) ، ولم تكونوا مع أقوام برآء ، ولو كانت ذلك الذي تقول لتخطفكم كل شيء . فقال عدي بن حاتم : والله ما رضيت ولا كرهت ، ولقد عجبت من تردد من تردّد عن قتله في خوض الحديث ، فأما إذ وقع ما وقع ونزل من الناس

(١) أي حققوا حملات الحرب .

(٢) أرقاً على ظلمك : أي أصلح أمرك أولاً .

(٣) أي على رأي واحد .

بهذه المنزلة ، فإن لنا عتاداً من خيول وسلاح محموداً ، فإن أقدمتم أقدمنا وإن أمسكتم أحجمنا . فقال ابن السوداء : أحسنت .

وقال سالم بن ثعلبة : من كان أراد بما أتى الدنيا فإني لم أرد ذلك ، والله لئن لقيتهم غداً لا أرجع الى بيتي ، ولئن طال بقائي إذا أنا لاقيتهم لا يزد على جزر جزور ، وأحلف بالله إنكم لتفرقون السيوف فرّق قوم لا تصير امورهم إلا الى السيف . فقال ابن السوداء : قد قال قولاً .

وقال شريح بن أوفى : أبرموا امورك قبل أن تخرجوا ، ولا تؤخروا أمراً ينبغي لكم تعجيله ، ولا تعجلوا أمراً ينبغي لكم تأخيره ، فإنما عند الناس بشرّ المنازل ، فلا أدري ما الناس صانعون غداً إذا ما هم التقوا .

وتكلم ابن السوداء فقال : يا قوم ، إن عزمكم في خُلفة الناس ، فصانعوهم ، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ، ولا تفرّغوهم للنظر ، فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون . فأبصروا الرأي ، وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون .

وأصبح عليّ على ظهر ، فمضى ومضى الناس حتى إذا انتهى الى عبد القيس نزل بهم وبمن خرج من أهل الكوفة وهم أمام ذلك ، ثم ارتحل حتى نزل على أهل الكوفة وهم أمام ذلك^(١) والناس متلاحقون به وقد قطعهم ، ولما بلغ أهل البصرة رأيهم ونزل عليّ بحيث نزل ، قام أبو الجرباء الى الزبير بن العوام فقال : إن الرأي أن تبعث الآن ألف فارس فيمسّوا هذا الرجل ويصبّحوه قبل ان يوافي أصحابه ، فقال الزبير : يا أبا الجرباء ، إنا لنعرف امور الحرب ،

(١) ط ٤ - ٤٩٥ .

ولكنهم أهل دعوتنا ، وهذا أمر حدث في أشياء لم تكن قبل اليوم ، هذا أمرٌ من لم يلقَ الله عز وجل فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة ، ومع ذلك إنه قد فارقنا وافدّهم على أمرٍ ، وأنا أرجو ان يتمّ لنا الصلح فابشروا واصبروا . وأقبل صبرة بن شيان فقال : يا طلحة ، يا زبير ، انتهزنا هذا الرجل فإفان الرأي في الحرب خيرٌ من الشدة . فقالا : يا صبرة إنا وهم مسلمون ، وهذا أمرٌ لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن ، أو يكون فيه من رسول الله ﷺ سُنة ، إنما هو حدث ، وقد زعم قومٌ أنه لا ينبغي تحريكه اليوم . وهم علي ومَن معه ، فقلنا : نحن لا ينبغي لنا ان نتركه اليوم ولا نؤخره . فقال علي : هذا الذي ندعوك اليه من إقرار هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه ، وهو كأمر لا يدرك ، وقد كاد ان يبين لنا ، وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار أعمتها منفعةٌ وأحوطها .

وأقبل كعب بن سور فقال : ما تنتظرون يا قوم بعد تورّدكم أوائلهم ؟ اقطعوا هذا العُنق من هؤلاء . فقالوا : يا كعب ، إن هذا أمر بيننا وبين إخواننا ، وهو أمرٌ ملتبس ، لا والله ما أخذ أصحاب محمد ﷺ مذبح الله عز وجل نبيّه طريقاً إلا علموا أين مواقع أقدامهم ، حتى حدث هذا فانهم لا يدرون أمقبولون هم أم مدبرون ! إن الشيء يحسن عندنا اليوم ويقبح عند إخواننا ، فإذا كان من الغد قُبِحَ عندنا وحَسُنَ عندهم ، وإنا لنحتج عليهم بالحجة فلا يرونها حجة ، ثم يحتجون بها على أمثالها ، ونحن نرجو الصلح إن أجابوا اليه وتموا ، وإلا فإن آخر الدواء الكي .

وقام الى علي بن ابي طالب أقوامٌ من أهل الكوفة يسألونه عن إقدامهم على القوم ، فقام اليه فيمن قام الأعور بن بُنان المنقريّ ، فقال له علي : على الإصلاح

وإطفاء النائرة^(١) لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم ، وقد أجابوني ، قال : فإن لم يحيبونا ؟ قال : تركناهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا ، قال : فهل لهم مثل ما عليهم من هذا ؟ قال : نعم .

وقام اليه ابو سلامة الدألاني فقال^(٢) : أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك ؟ قال : نعم ، قال : فترى لك حجة بتأخيرك^(٣) ذلك ؟ قال : نعم ، إن الشيء إذا كان لا يُدرك ، فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعاً ، قال : فما حالنا وحالكم إن ابتلينا غداً ؟ قال : إني لأرجو ألا يقتل أحدٌ نقى قلبه الله منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة .

وقام اليه مالك بن حبيب ، فقال : ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم ؟ قال : قد بان لنا ولهم أن الإصلاح الكف عن هذا الأمر ، فإن بايعونا فذلك ، فإن أبوا وأبيننا إلا القتال فصدع لا يلتئم ، قال : فإن ابتلينا فما بال قتلنا ؟ قال : من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاهه .

وقام عليّ ، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا أيها الناس ، املِكُوا أنفسكم ، كفُّوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم ، فإنهم إخوانكم ، واصبروا على ما يأتيكم ، وإياكم أن تسبقونا ، فإن المحصوم غداً من خصم اليوم .

ثم ارتحل وأقدم ودفع تعبيته التي قدم فيها ، حتى إذا أطل على القوم بعث اليهم حَكيم بن سلامة ومالك بن حبيب : إن كنتم على ما فارقتم عليه الققعقاع بن عمرو ، فكفُّوا وأقِرُّونا ننزل وننظر في هذا الأمر .

(١) النائرة : العداوة والشحناء . (المنجد)

(٢) ط ٤ - ٤٩٦ .

(٣) ابن الأثير : « بتأخير ذلك » ، النويري : « بتأخير ذلك الى اليوم » .

فخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشتمّين ، قد منعوا حرقوص بن زهير ، ولا يرون القتال مع علي بن أبي طالب . فقال : يا عليّ ، إنّ قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً أنك تقتل رجالهم وتسيي نساءهم . فقال : ما مثلي يُخاف هذا منه ، وهل يحل هذا إلا من تولّى وكفر ، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل : ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ . إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾ ^(١) . وهم قوم مسلمون ! هل أنت مغنٍ عني قومك ؟ قال : نعم ، واخترمني واحدة من ثنتين ، إما أن أكون آتيك فأكون معك بنفسي ، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف . فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود وقد بدأ فقال : يالَ خِنْدَف ، فأجابه ناسٌ ، ثم نادى يالَ تميم ، فأجابه ناس ، ثم نادى : يالَ سعد ، فلم يبقَ سعدي إلا أجابه ، فاعتزل بهم ، ثم نظر ما يصنع الناس ، فلمّا وقع القتال وظفر علي جاؤوا وافرّين ، فدخلوا فيما دخل فيه الناس .

[كذلك] أرسل عمران بن حصين ^(٢) في الناس يخذل من الفريقين جميعاً ، كما صنع الأحنف ، وأرسل إلى بني عدي فيما أرسل ، فأقبل رسولُه حتى نادى على باب مسجدهم : ألا إن أبا نُجَيْد عمران بن الحصين يقرئكم السلام ، ويقول لكم : والله لأن أكون في جبل حضن ^(٣) مع اعنّز خضر وضأن ، أجزئ أصوافها وأشرب ألبانها ، أحبُّ إليّ من أن أرمي في شيء من هذين الصفين بسهم ، فقالت بنو عدي جميعاً بصوت واحد : إنا والله لا ندع ثقل رسول الله ﷺ لشيء - يعنون أمّ المؤمنين .

(١) سورة الفاشية ، الآية ٢٢ - ٢٣ .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٠٢ .

(٣) في نسخة « حصين » .

وأهل البصرة فرّق^(١) : فرقة مع طلحة والزبير ، وفرقة مع علي ، وفرقة لا ترى القتال مع احد من الفريقين ، وجاءت عائشة رضي الله عنها من منزلها الذي كانت فيه حتى نزلت في مسجد الحُدّان في الأزْد ، وكان القتال في ساحتهم ، ورأس الأزْد يومئذ صَبْرَة بن سَينان ، فقال له كعب بن سور : إن الجموع إذا تراءوا لم تستطع ، وإنما هي بحور تدفق ، فأطعني ولا تشهدهم ، واعتزل بقومك ، فإني أخاف ألا يكون صلح ، وكن وراء هذه النطفة ، ودع هذين الغارين من مُصر وربيعة ، فهما اخوان ، فان اصطلحا فالصلح ما أردنا ، وإن اقتتلا كنا حكاماً عليهم غداً - وكان كعب في الجاهلية نصرانياً - فقال صبرة : أخشى أن يكون فيك شيء من النصرانية ، أتأمرني أن أغيب عن إصلاح بين الناس ، وأن أخذل أم المؤمنين وطلحة والزبير إن ردّوا عليهم الصلح ، وأدع الطلب بدم عثمان ! لا أفعل ذلك أبداً ، فأطبق أهل اليمن على الحضور .

[و] لما رجع الأحنف^(٢) بن قيس من عند علي لقيه هلال بن وكيع بن مالك ابن عمرو ، فقال : ما رأيك ؟ قال : الاعتزال ، فما رأيك ؟ قال : مكافئة أم المؤمنين ، أفتدعنا وأنت سيدنا ؟ قال : إنما أكون سيّدكم غداً إذا قُتِلتَ وبقيتُ ، فقال هلال : هذا وأنت شيخنا ؟ فقال : أنا الشيخ المعصي ، وأنت الشاب المطاع . فاتّبع بنو سعد الأحنف ، فاعتزل بهم الى وادي السباع ، واتّبع بنو حنظلة هلالاً ، وتابعت بنو عمرو أبا الجرباء فقاتلوا .

(١) حديث سيف هنا عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٠٣ .

(٢) عن الضريس البجلي ، عن ابن يعمر ، ط ٤ - ٥٠٤ .

[و] لما أقبل الأحنف نادى : يا لآد^(١) ، اعتزلوا هذا الأمر ، وولّوا هذين الفريقين كيّسه وعجّزه ، فقام المنجاب بن راشد فقال : يالَ الرباب لا تعتزلوا ، واشهدوا هذا الأمر ، وتولوا كيّسه ، ففارقوا . فلما قال : يالَ تميم ، اعتزلوا هذا الأمر وولوا هذين الفريقين كيّسه وعجّزه ، قام أبو الجرباء — وهو من بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم — فقال : يالَ عمرو ، لا تعتزلوا هذا الأمر وتولوا كيّسه . فكان أبو الجرباء على بني عمرو بن تميم ، والمنجاب بن راشد على بني ضبة ، فلما قال : يالَ زيد مناة ، اعتزلوا هذا الأمر ، وولوا هذين الفريقين كيّسه وعجّزه ، قال هلال بن وكيّع : لا تعتزلوا هذا الأمر ، ونادى : يالَ حنظلة تولوا كيّسه ، فكان هلال على حنظلة ، وطاوعت سعد الأحنف ، واعتزلوا الى وادي السباع .

كان على هوازن^(٢) وعلى بني سليم والأعجاز مجاشع بن مسعود السُلَيميّ ، وعلى عامر زُفَر بن الحارث ، وعلى غطفان أعصُر بن النعمان الباهلي ، وعلى بكر بن وائل مالك بن مسمع ، واعتزلت عبد القيس إلى علي إلا رجلاً فإنّه أقام ، ومن بكر بن وائل قُيَاس ، واعتزل منهم مثل من بقي منهم ، عليهم سنان ، وكانت الأزد على ثلاثة رؤساء : صبرة بن شيان ، ومسعود ، وزباد بن عمرو ، والشواذب عليهم رجلان : علي مضر الحُرَيْت بن راشد ، وعلي قضاة والتوابع الرّعي الجسَرميّ — وهو لقب — وعلي سائر اليمن ذو الآجرة الحميري .

فخرج طلحة والزبير فنزلا بالناس من الزابوقة ، في موضع قرية الأرزاق ، فنزلت مضر جميعاً وهم لا يشكّون في الصلح ، ونزلت ربيعة فوقهم جميعاً وهم لا

(١) عن محمد ، عن أبي عثمان ، ط ٤ — ٥٠٤ . في نسخة «يا لزيد» وهو أد بن طابخة ، أصل تميم .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ — ٥٠٥ .

يشكون في الصلح ، ونزلت اليمن جميعاً أسفل منهم ، وهم لا يشكون في الصلح ، وعائشة في الحدّان ، والناس في الزابوقة ، على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفاً ، وردّوا حكيماً ومالكاً إلى علي ، بأنّا على ما فارقنا عليه القعقاع فاقدم . فخرجوا حتى قدما عليه بذلك ، فارتحل حتى نزل عليهم بجيأهم ، فنزلت القبائل الى قبائلهم ، مضر الى مضر ، وربيعه الى ربيعة ، واليمن الى اليمن ، وهم لا يشكون في الصلح ، فكان بعضهم بجبال بعض ، وبعضهم يخرج الى بعض ، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح ، وخرج امير المؤمنين فيمن معه ، وهم عشرون ألفاً ، وأهل الكوفة على رؤسائهم الذين قدموا معهم ذا قار ، وعبد القيس على ثلاثة رؤساء : جذيمة وبكر على ابن الجارود ، والعمور على عبد الله بن السوداء ، وأهل هَجَرَ على ابن الأشج ، وبكر بن وائل من أهل البصرة على ابن الحارث ابن نهار ، وعلى دنور بن علي الزط والسبايحة ، وقدم علي ذا قار في عشرة آلاف وانضم اليه عشرة آلاف .

فلما نزل الناس واطمأنوا ، خرج علي وطلحة والزبير ، فتواقفوا ، وتكلموا فيما اختلفوا فيه ، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع ، وأنه لا يُدرك ، فافترقوا عن موقفهم على ذلك ، ورجع علي الى عسكره ، وطلحة والزبير الى عسكرهما .

المعركة :

وبعث علي من العشي^(١) عبد الله بن عباس الى طلحة والزبير ، وبعثا هما من العشي محمد بن طلحة إلى علي ، وأن يكلم كل واحد منها أصحابه فقالوا : نعم ،

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٦ - ٥ .

فلما أمسوا ، وذلك في 'جمادي الآخرة' ، أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابها ، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ، ما خلا أولئك الذين هضوا عثمان . فباتوا على الصلح ، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه ، والنزوع عما اشتهى الذين اشتروا وركبوا ما ركبوا ، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرّ ليلة باتوها قط ، قد أشرفوا على الهلكة ، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها ، حتى اجتمعوا على إنشأ الحرب في السر ، واستسروا بذلك خشية أن يُفطن بما حاولوا من الشر ، فغعدوا مع الغلس ، وما يشعر بهم جيرانهم ، انسلثوا إلى ذلك الأمر انسلالا ، وعليهم ظلمة ، فخرج مُضَرِّئُهُم إلى مضريهم وربيعيهم إلى ربيعيتهم ، ويمانيهم إلى يمانيتهم ، فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهل البصرة ، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين يهتوم^(١) .

وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر فبعثا إلى الميمنة ، وهم ربيعة . يعبؤها^(٢) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب ابن أسيد ، وثبتا في القلب ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : طرقتنا أهل الكوفة ليلاً فقالا : قد علمنا أن علينا غير منته حتى يسفك الدماء ، ويستحل الحرمة ، وأنه لن يطاوعنا ، ثم رجعا بأهل البصرة ، وقصف أهل البصرة ، أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم ، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت ، وقد وضعوا رجلاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون ، فلما قال : ما هذا ؟ قال ذاك الرجل ما فجعنا إلا وقوم منهم بيتونا ، فرددناهم من حيث جاؤوا ، فوجدنا القوم على رجل فركبونا ، وثار الناس ، وقال علي لصاحب ميمنته : إئت الميمنة ، وقال لصاحب ميسرته : إئت الميسرة ، ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا

(١) يهتوم : كذبهم .

(٢) أي يرأسها .

الدماء ، ويستحلا الحرمة ، وأنها لن يطاوعانا ، والسبئية لا تفتر انشاباً .
ونادى علي في الناس : أيها الناس ، كفوا فلا شيء ، فكان من رأيهم جميعاً في
نذاك الفتنة ألا يقتتلوا حتى يُبدؤوا ، يطلبون بذلك الحجة ، ويستحقون ^(١) على
الآخرين ، ولا يقتلوا مدبراً ، ولا يجهزوا على جريح ، ولا يتبعوا . فكان مما
اجتمع عليه الفريقان ونادوا فيما بينهما .

وأقبل ^(٢) كعب بن سور حتى أتى عائشة رضي الله عنها ، فقال : أدركي ،
فقد أبى القوم إلا القتال ، لعل الله يُصلح بك . فركبت . وألبسوا هودجها
الادراع ، ثم بعثوا جملها ، وكان جملها يدعى عسكرياً ، حملها عليه يعلي بن أمية ،
اشتراه بمائتي دينار . فلما برزت من البيوت — وكانت بحيث تسمع الغوغاء —
وقفت ، فلم تلبث أن سمعت غوغاء شديدة ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : ضجة
العسكر ، قالت : بخير أو بشر ؟ قالوا : بشر . قالت : فأبي الفريقين كانت
منهم هذه الضجة فهم المهزومون . وهي واقفة ، فوالله ما فجئها إلا الهزيمة ،
فمضى الزبير من سنه ^(٣) في وجهه ، فسلك وادي السباع ، وجاء طلحة سهم
غَرَب ^(٤) يخل ركبته بصفحة الفرس ، فلما امتلأ موزجته ^(٥) دماً وثَقُلَ ،
قال لفلامه : أردفني وأمسكني ، وابغيني ^(٦) مكاناً أنزل فيه ، فدخل البصرة
وهو يتمثل مثله ومثل الزبير :

(١) يستحقون : يطلبون الحق .

(٢) عن محمد وطلحة وأبي عمر ، ط ٤ - ٧ هـ .

(٣) سنان الرمح : نصله .

(٤) سهم غرب : لا يدري راميهِ .

(٥) موزجه : خفه ، والموزج معرب من الفارسية ، جمعه موازج . (أقرب الموارد)

(٦) ابغني مكاناً : التمس لي مكاناً .

فإن تكنِ الحوادثُ أقصدتني وأخطأهُنَّ سَهْمِي حين أُرْمِي
فقد ضَيَّعتُ حين تَبَيَّعتُ سَهْمًا سفاهاً ما سَفِهْتُ وُضْلُ حَلْمِي
ندمتُ ندامةَ الكُسْعِي لَمَّا شَرَيْتُ رِضَا بَنِي سَهْمٍ بِرَغْمِي
أطعْتُهُمُ بفرقةِ آلِ لَأيٍ فألقُوا للسَّبَاعِ دَمِي ولحْمِي

[وفي رواية اخرى] :

ولما انهزم الناس ^(١) في صدر النهار ، نادى الزبير : أنا الزبير ، هلموا إلي
أيها الناس . ومعه مولى له ينادي : أعن حواري رسول الله ﷺ تنهزمون ؟
وانصرف الزبير نحو وادي السباع ، واتبعه فرسان ، وتشاغل الناس عنه
بالناس ، فلما رأى الفرسان تتبعه عطف عليهم ، ففرق بينهم ، فكروا عليه ،
فلما عرفوه قالوا : الزبير ! فدعوه ، فلما نفر فيهم غلباء بن الهيثم ، ومر القعقاع
في نفر بطلحة وهو يقول : إلي عباد الله ، الصبر الصبر ! قال له : يا أبا محمد ،
إنك لجريح ، وإنك عما تريد لعليل ، فادخل الأبيات ، فقال : يا غلام ، أدخلني
وابغني مكاناً . فادخل البصرة ومعه غلام ورجلان ، فاقتتل الناس بعده ، فأقبل
الناس في هزيمتهم تلك وهم يريدون البصرة . فلما رأوا الجمل أطافت به مضر ،
عادوا قلباً كما كانوا حيث التقوا ، وعادوا الى أمر جديد . ووقفت ربيعة
البصرة ، منهم ميمنة ومنهم ميسرة ، وقأت عائشة : خل يا كعب عن البعير ،
وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم اليه ، ودفعت اليه مصحفاً . وأقبل القوم
وأمامهم السبئية يخافون ان يجري الصلح ، فاستقبلهم كعب بالمصحف وعلي من
خلفهم يزعمهم ويأبون إلا إقداماً ، فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً ،
فقتلوه ، ورموا عائشة في هودجها ، فجعلت تنادي : يا بني ، البقية البقية
- ويعلمو صوته كثرة - الله الله ، اذكروا الله عز وجل والحساب ، فيأبون إلا

(١) حديث سيف ، عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥١٢ .

إقداماً ، فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت : أيها الناس ، إلعنوا قتلة
عثمان وأشياعهم ، وأقبلت تدعو .

وضح "أهل البصرة بالدعاء ، وسمع علي بن أبي طالب الدعاء ، فقال :
ما هذه الضجة ؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم ،
فأقبل يدعو ويقول : اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم . وأرسلت إلى عبد الرحمن
ابن عتّاب وعبد الرحمن بن الحارث : اثبتنا مكانكما ، وذمرت الناس حين رأت
أن القوم لا يريدون غيرهما ، ولا يكفون عن الناس ، فازدلفت مضر البصرة ،
فقصفت مضر الكوفة حتى رُوحم علي ، فنخس علي قفا محمد ، وقال : احمل ،
فنكّل ، فأهوى علي إلى الراية ليأخذها منه ، فحمل فترك الراية في يده ،
وحملت مضر الكوفة ، فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرسوا ، والمجنّبات ^(١)
على حالها ، لا تصنع شيئاً ^(٢) ، ومع علي أقوام غير مضر ، فمنهم زيد بن
صوحان ، فقال له رجل من قومه : تنح إلى قومك ، ما لك ولهذا الموقف ،
ألست تعلم أن مضر بجيالك ، وأن الجمل بين يديك ، وأن الموت دونه ؟ فقال :
الموت خير من الحياة ، الموت ما أريد ، فأصيب وأخوه سيحان ، وارتث
صعصة ، واشتدت الحرب . فلما رأى ذلك علي بعث إلى اليمن وإلى ربيعة :
أن اجتمعوا على من يليكم ، فقام رجل من عبد القيس فقال : ندعوكم إلى كتاب
الله عز وجل ، قالوا : وكيف يدعوننا إلى كتاب الله من لا يقيم حدود الله
سبحانه ، ومن قتل داعي الله كعب بن سور ! فرمته ربيعة رشقاً واحداً فقتلوه
وقام مسلم بن عبد الله العجلي مقامه ، فرشقوه رشقاً واحداً ، فقتلوه ، ودعت
يَمَنُ الكوفة يَمَنُ البصرة فرشقوهم .

(١) ابن الأثير : « والمجنبتان على حالهما » .

(٢) ط ٤ - ٥١٤ .

[و] كان القتال الأول يستحر إلى انتصاف النهار ^(١) ، واصيب فيه طلحة رضي الله عنه ، وذهب فيه الزبير ، فلما أوا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال ، ولم يريدوا إلا عائشة ، ذمرتهم ^(٢) عائشة ، فاقتتلوا ، حتى تآدوا فتحاجزوا ، فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا ، وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة ، فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير ، وفي وسطه مع عائشة ، وتزاحف الناس ، فهزمت يمن البصرة بمن الكوفة ، وربيعه البصرة بربيعه الكوفة ، ونهد علي بمضر الكوفة إلى مضر البصرة ، وقال : إن الموت ليس منه فوت ، يدرك الهارب ولا يترك المقيم .

[و] اقتتل المجنبتان ^(٣) حين تزاحفتا قتالاً شديداً ، يشبه ما فيه القلبان ، واقتتل أهل اليمن ، فقتل على راية أمير المؤمنين من أهل الكوفة عشرة ، كلما أخذها رجل قتل ، خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن ، فلما رأى ذلك يزيد ابن قيس أخذها ، فثبتت في يده وهو يقول :

قد عشت يا نفسُ وقد غنيتِ دهرأ فقطك اليومَ ما بقيتِ
أطلبُ طولَ العمرِ ما حييتِ

وإنما تمثلها ، وهو قول الشاعر قبله . وقال نمران بن أبي نمران الهمداني :

جردتُ سيفي في رجالِ الأزديِّ أضربُ في كهلِهِم والمردِ
كلَّ طويلِ الساعديِّنَ نهدِ

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥١٤ .

(٢) زمر : حض .

(٣) أي قلب جيش علي وقلب جيش عائشة ، ط ٤ - ٥١٥ .

وأقبلت ربيعة ، فقتل على راية الميسرة من أهل الكوفة زيد ، وصُرع صمصعة ، ثم سَنَحان ، ثم عبد الله بن رقة بن المغيرة ، ثم أبو عبيدة بن راشد ابن سلمى وهو يقول : اللهم أنت هديتنا من الضلالة ، واستنقذتنا من الجهالة ، وابتليتنا بالفتنة ، فكنا في شبهة وعلى ريبة ، حتى قُتل ، ثم الحصين بن معبد ابن النعمان ، فأعطاها ابنه معبدًا ، وجعل يقول : يا معبد ، قَرِّبْ لها بوَّها تحَدِّب ، فنبئت في يده .

[و] لما رأت الكُفَّةُ من مضر الكوفة ومضر البصرة الصبر تنادوا في عسكر عائشة وعسكر علي : يا أيها الناس ، طرفوا إذا فرغ الصبر ، ونزع النصر . فجعلوا يتوجَّون^(١) الأطراف : الأيدي والأرجل ، فما رُئيت وقعة قط قبلها ولا بعدها ، ولا يسمع بها أكثر يدًا مقطوعة ورجلاً مقطوعة منها ، لا يُدرى من صاحبها ، وأصابت يد عبد الرحمن بن عتاب يومئذ قبل قتله ، وكان الرجل من هؤلاء وهؤلاء إذا أُصيب شيء من أطرافه استقتل إلى أن يقتل .

[و] اشتد^(٢) الأمر حتى أرزت ميمنة الكوفة إلى القلب ، حتى لزقت به ولزقت ميسرة البصرة بقلبيهم ، ومنعوا ميمنة أهل الكوفة أن يختلطوا بقلبيهم ، وإن كانوا إلى جنبهم ، وفعل مثل ذلك ميسرة الكوفة وميمنة البصرة ، فقالت عائشة رضي الله عنها لمن عن يسارها : مَنْ القوم ؟ قال صبرة بن شيان : بَنُوكِ الأزْد ، قالت : يا آل غسان ، حافظوا اليوم جلادكم الذي كنا نسمع به ، وتمثلت :

(١) يتوجَّون الأطراف : يضرِبونهم في أيديهم وأرجلهم ، ط ٤ - ٥١٦ .

(٢) عن الصعب بن عطية بن بلال ، عن أبيه ، ط ٤ - ٥١٦ .

وجالَدَ من غَسَّانَ أَهْلُ حِفْظِهَا وَهِنْبُ وَأَوْسُ جَالِدَتِ وَشَيْبُ

وقالت لمن عن يمينها : مَنْ القوم ؟ قالوا : بكر بن وائل ، قالت : لكم يقول القائل :

وجاءوا إلينا في الحديد كأنهم من العزة القعساء بكر بن وائل

إنما بازائكم عبدُ القيس . فاقتتلوا أشد القتال من قتالهم قبل ذلك ، وأقبلت على كتيبة بين يديها ، فقالت : مَنْ القوم ؟ قالوا : بنو ناجية ، قالت : بَخْ بَخْ سيوف أبطحية ، وسيوف قرشية ، فجالدوا جلاداً يتفادى منه . ثم أطافت بها بنو ضبة ، فقالت : وهيا جمره الجمرات ! حتى إذا رقتوا خالطهم بنو عدي ، وكثروا حولها ، فقالت : مَنْ أنتم ؟ قالوا : بنو عدي خالطنا اخواننا ، فقالت : ما زال رأس الجمل معتدلاً حتى قتلت بنو ضبة حولي ، فأقاموا رأس الجمل ، ثم ضربوا ضرباً ليس بالتمذير ، ولا يعدلون بالتطريف ، حتى إذا كثُر ذلك وظهر في العسكرين جميعاً ، راموا الجمل وقالوا : لا يُزال القومُ أو يصرع ، وأرزت مجنبتنا علي فصارتا في القلب ، وفعل ذلك أهل البصرة ، وكره القوم بعضهم بعضاً ، وتلاقوا جميعاً بقلبيهم ، وأخذ ابن يثربي برأس الجمل وهو يرتجز ، وادّعى قتل علباء بن الهيثم ، وزيد بن صوحان وهند بن عمرو ، فقال :

أنا لِمَنْ يُنْكِرُنِي ابن يثربي قاتلُ علباء وهِنْدِ الجملي
وابنِ لِصُوحانَ علي دين علي

فناداه عمار : لقد لعمرى لذت^(١) بحريز ، وما إليك سبيل ، فإن كنت صادقاً فاخرج من هذه الكتيبة إليّ ، فترك الزمام في يد رجل من بني عدي حتى

(١) ابن الأثير : « عذت » .

كان بين أصحاب عائشة وأصحاب علي ، فزحم الناس عماراً حتى أقبل إليه ، فاتقاه عمار بدركته ، فضربه ، فانتشب سيفه فيها ، فماله فلم يخرج ، فخرج عمار إليه لا يملك من نفسه شيئاً ، فأسف عمار لرجليه فقطعها ، فوقع على استه ، وحمله أصحابه ، فارُثت بعدُ ، فأتى به علي فأمر بضرب عنقه . ولما أصيب ابن يثري ترك ذلك العدوي الزمام ، ثم خرج فنادى : من يبارز ؟ فخنس عمار وبرز إليه ربيعة العقيلي - والعدوي يدعى عمرة بن كبحرة ، أشد الناس صوتاً - وهو [أي ربيعة] يقول :

يا أمتنا أعقّ أمّ نعلم والأمّ تغذو ولداً وترحمُ
ألا ترين كم شجاع يُكلم وتختلى منه يد ومعصم

ثم اضطربا ، فأخذ كل واحدٍ منها صاحبه ، فماتا .

وقال عطية بن بلال : ولحق بنا من آخر النهار رجل يدعى الحارث ، من بني ضبة ، فقام مقام العدوي ، فما رأينا رجلاً قط أشد منه ، وجعل يقول :

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ننمى ابن عفان بأطراف الأسل
الموت أحلى عندنا من العسل رُدُّوا علينا شيخنا ثم يحل (١)

[و] جعل (٢) أبو الجرباء يومئذ يرتجز ويقول :

أسمعُ أنت مطيع لملي من قبل أن تذوقَ حدَّ المشرفي
وخاذلُ في الحق أزواج النبي أعرفُ قوماً لست فيه ببعني

(١) يحل : أي حسب .

(٢) عن الصعب بن عطية ، عن أبيه ، ط ٤ - ٥٢٥ .

[وقد] كانت ^(١) أم المؤمنين في حلقة من أهل النجّادات والبصائر من أفناء مضر ، فكان لا يأخذ أحد بالزمام إلا كان يحمل الراية واللواء لا يحسن تركها ، وكان لا يأخذه إلا معروف عند المطيفين بالجلل فينتسب لها : أنا فلان ابن فلان ، فوالله إن كانوا ليقاتلون عليه ، وإنه للموت لا يوصل إليه إلا بطلبة وعنت ، وما رame أحد من أصحاب علي إلا قتل أو أفلت ، ثم لم يعد . ولما اختلط الناس بالقلب جاء عدي بن حاتم فحمل عليه ، ففقت عينه ونكل ، فجاء الأشتر ، فحامله عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وإنه لأقطع منزوف ، فاعتنقه ، ثم جلد به الأرض عن دابته ، فاضطرب تحته ، فأفلت وهو جريض .

[و] كان لا يحيي ^(٢) رجل فيأخذ بالزمام حتى يقول : أنا فلان بن فلان يا أم المؤمنين ، فجاء عبد الله بن الزبير ، فقالت حين لم يتكلم : من انت ؟ فقال : انا عبد الله ، أنا ابن اختك ، قالت : وائكل أسماء ! — تعني اختها — وانتهى إلى الجمل الأشتر وعدي بن حاتم ، فخرج عبد الله بن حكيم بن حزام إلى الأشتر فمشى إليه الأشتر ، فاختلفا ضربتين ، فقتله الأشتر ، ومشى إليه عبد الله بن الزبير ، فضربه الأشتر على رأسه ، فجرحه جرحاً شديداً ، وضرب عبد الله الأشتر ضربة خفيفة ، واعتنق كل واحد منها صاحبه ، وخرّا إلى الأرض يعتركان فقال عبد الله بن الزبير : « اقتلوني ومالكاً » ^(٣) .

وكان مالك يقول : ما أحب ان يكون قال : « والأشتر » وأن لي حُمر النعم . وشدّ ناس من أصحاب علي وأصحاب عائشة فافترقا ، وتنقذ كل واحد من الفريقين صاحبه .

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٢٥ .

(٢) عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، ط ٤ - ٥٢٥ .

(٣) فذهبت هذه الكلمة مثلاً .

وجاء محمد بن طلحة^(١) فأخذ بزمام الجمل، فقال : يا أمّته ، مريني بأمرك .
 قالت : أمرك ان تكون كخير بني آدم إن تركت ، قال : فحمل فجعل لا
 يحمل عليه أحدٌ إلا حمل عليه ويقول : « حَمَّ لا يُنصرون » واجتمع عليه نفر
 فكلهم ادعى قتله : المكعب الأسدي ، والمكعب الضبي ، ومعاوية بن شداد
 العبسي ، وعفان بن الأشقر النصري ، فأنفذه بعضهم بالرمح ، ففي ذلك يقول
 قاتله منهم :

وأشعث قوامٍ بآيات ربه	قليل الأذى فيما ترى العينُ مُسلمٍ
هتكت له بالرمح جيب قميصه	فخرٌ صريعاً لليدين وللقم
يذكرني حَمَّ والرمح شاجرٌ	فها تلا حَمَّ قبل التقدم
على غير شيء غير أن ليس تابِعاً	علياً ومن لا يتبع الحق يندم



قال القعقاع بن عمرو للأشتر يؤلبه يومئذ : هل لك في العود ؟ فلم يجبه .
 فقال : يا أشتر ، بعضنا أعلم بقتال بعض منك . فحمل القعقاع ، وإن الزمام مع
 زُفر بن الحارث ، وكان آخر من أعقب في الزمام ، فلا والله ما بقي من بني عامر
 يومئذ شيخ إلا أُصيب قدام الجمل ، فقتل فيمن قتل يومئذ ربيعة جد اسحاق بن
 مسلم ، وزفر يرتجز ويقول :

يا أمّنا يا عَيْش لن تراعي كلُّ بنيك بطلٌ شجاعٌ
 ليس بوهمٍ ولا براعي

(١) عن الصعب بن عطية ، عن أبيه ، ط ، ٤ - ٥٢٦ .

وقام القعقاع يرتجز ويقول :

إِذَا وَرَدْنَا أَجْنًا جَهْرًا
وَلَا يُطَاقُ وَرْدُ مَا مَنَعْنَاهُ

تمثلها تمثلاً .

[و] كان آخر من قاتل^(١) ذلك اليوم زُفَر بن الحارث ، فزحف إليه القعقاع ، فلم يبق حول الجمل عامري مكتهل إلا أصيب ، يتسرعون إلى الموت ، وقال القعقاع : يا بُحَيْر بن دُلْجَة ، صح بقومك فليعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين ، فقال : يالَ ضَبَّة ، يا عمرو بن دُلْجَة ، ادعُ بي إليك ، فدعا به ، فقال : أنا آمن حتى أرجع ؟ قال : نعم . قال : فاجتث ساق البعير ، فرمى بنفسه على شِقِّه وجرجر البعير . وقال القعقاع لمن يليه : أنتم آمنون . واجتمع هو وزفر على قطعِ بَطَانِ البعير ، وحملوا الهودج فوضعا ، ثم أطافا به ، وتفارَّ مَنْ وراء ذلك من الناس .



لما أمسى الناس^(٢) وتقدم علي وأحيط بالجمل ومن حوله ، وعَقَرَهُ بُحَيْر بن دُلْجَة ، وقال : انكم آمنون ، كفَّ بعض الناس عن بعض - وقال علي في ذلك حين أمسى وانخَسَ عنهم القتال :

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٢٧ .

(٢) عن الصعب بن عطية ، عن أبيه .

اليك أشكو عُجْرِي وُجْرِي ومَعْشَرًا عَشَّوْا عَلِيَّ بَصْرِي
قَتَلْتَ مِنْهُمْ مَضْرًا بُمُضْرِي شَفَيْتَ نَفْسِي وَقَتَلْتَ مَعْشَرِي



قال طلحة يومئذ ^(١) : اللهم اعطِ عثمان مني حتى يرضى ، فجاء سهم غرب وهو واقف ، فخلَّ ركبته بالسرج ، وثبت حتى امتلأ موزجُه ^(٢) دماً ، فلما ثقل قال لمولاه : أردفني وابغني مكاناً لا أعرف فيه ، فلم أرَ كاليوم شيخاً أضيع دماً [مني] ^(٣) . فركب مولاه وأمسكه وجعل يقول : قد لحقنا القوم ، حتى انتهى به الى دار من دور البصرة خربة ، وأنزله في فيها ، فمات في تلك الخربة ، ودفن رضي الله عنه في بني سعد .



كانت ربيعة ^(٤) مع علي يوم الجمل ثلث أهل الكوفة ، ونصف الناس يوم الواقعة . وكانت تعبيتهم مَضر ومَضر ، وربيعه وربيعه ، واليمن واليمن ، فقال بنو صوحان : يا أمير المؤمنين ، ائذن لنا نقف عن مضر ، ففعل ، فأتى زيد فقيل له : ما يوقفك حيال الجمل وبحيال مضر؟ الموت معك وبإزائك ، فاعتزل الينا ، فقال : الموت نريد ، فأصيبوا يومئذ ، وأفلت صعصعة من بينهم .



(١) عن اسماعيل بن أبي خالد ، عن حكيم بن جابر ، ط ٤ - ٥٢٧ .

(٢) الموزج : الخف ، وهي كلمة فارسية معربة .

(٣) من ابن الأثير .

(٤) عن البخاري العبدي ، عن أبيه .

قال الصعب بن عطية ^(١) : كان رجل منا يدعى الحارث ، فقال يومئذ :
يال مُضَر ، علامَ يقتل بعضكم بعضاً ؟ تبادرون لا ندرى إلا أننا إلى قضاء ،
وما تكفون في ذلك .



كان القتال ^(٢) يومئذٍ في صدر النهار مع طلحة والزبير ، فانهزم الناس
وعائشة توقع الصلح ، فلم يفجأها إلا الناس ، فأحاطت بها مضر ، ووقف الناس
للقتال فكان القتال نصف النهار مع عائشة وعلي ... ^(٣) كعب بن سور أخذ
مصحف عائشة وعلي فبدرَ بين الصفيين يناشدهم الله عز وجل في دمائهم ، وأعطى
درعه فرمى بها تحته ، وأتى بترسه فتنكبّه ، فرشقوه رشقاً واحداً ، فقتلوه
رضي الله عنه ، ولم يهلوم أن شدوا عليهم ، والتحم القتال ، فكان أول مقتول
بين يدي عائشة من أهل الكوفة .



قال والدُ مَخْلَد بن كثير ^(٤) : أرسلنا مسلم بن عبد الله يدعو بني أبينا ،
فرشقوه - كما صنع القلب بكعب - رشقاً واحداً ، فقتلوه ، فكان أول من قُتل
بين يدي أمير المؤمنين وعائشة رضي الله عنها ، فقالت ام مسلم ترثيه :

(١) ط ٤ - ٥٢٨ .

(٢) عن ابن صعصعة المزني - أو عن صعصعة - عن عمرو بن جأوان ، عن جرير بن أشرس .

(٣) يوجد نقص في الأصل .

(٤) عن سيف ، عن مَخْلَد بن كثير ، عن أبيه ، ط ٤ - ٥٢٩ .

لا هُمَّ إِنْ مسلماً أتاَهُمُ مستسلماً للموتِ إِذْ دَعاهُمُ
إلى كتابِ اللهِ لا يَخْشاهُمُ فرمَلُوهُ من دمٍ إِذْ جَاهَهُمُ
وأُممُهُم قانِئةٌ تراهُمُ يَأْتَمرون النَفيَّ لا تنهاهُمُ



لما انهزمت ^(١) مجنبتا الكوفة عشية الجمل ، صاروا الى القلب - وكان ابن يثري قاضي البصرة قبل كعب بن سور ، فشدهم هو وأخوه يوم الجمل ، وهما عبد الله وعمرو ، فكان واقفاً أمام الجمل على فرس - فقال علي : من رجل يحمل على الجمل ؟ فانتدب له هند بن عمرو المرادي ، فاعترضه ابن يثري ، فاختلفا ضربتين ، فقتله ابن يثري . ثم حمل سيحان بن صوحان ، فاعترضه ابن يثري ، فاختلفا ضربتين ، فقتله ابن يثري . ثم حمل علباء بن الهيثم ، فاعترضه ابن يثري ، فقتله ، ثم حمل صعصعة فضربه ، فقتل ثلاثة أجهز عليهم في المعركة : علباء ، وهند ، وسيحان ، وارتث ^(٢) صعصعة وزيد ، فمات أحدهما وبقي الآخر .



أخذ الخطام ^(٣) يوم الجمل سبعون رجلاً من قريش ، كلهم يتل وهو أخذ بالخطام ، وحمل الأشر فاعترضه عبد الله بن الزبير ، فاختلفا ضربتين ، ضربه الأشر فأمته ^(٤) ، وواثبه عبد الله ، فاعتنقه فخرّ به ، وجعل يقول : « اقتلوني

(١) عن سيف ، عن الصعب بن حكيم بن شريك ، عن أبيه عن جده .

(٢) ارتث : حمل جريحاً .

(٣) عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، ط ٤ - ٥٣٠ .

(٤) أمته : جرحه جرحاً بليفاً في رأسه .

ومالكاً - وكان الناس لا يعرفونه بمالك ، ولو قال : « والأشتر » وكانت له ألف
نفس ما نجا منها شيء - وما زال يضطرب في يدي عبد الله حتى أفلت ، وكان
الرجل إذا حمل على الجمل ثم نجما لم يعد . وجرح يومئذ مروان وعبد الله
ابن الزبير .



ارتجز يومئذ ابن يثري^(١) .

أنا لمن أنكرني ابن يثري قاتلُ علباء وهندِ الجملي
وابن لصوحان على دين علي

وقال : من يبارز ؟ فبرز له رجل ، فقتله ، ثم برز له آخر ، فقتله ،
وارتجز وقال :

أقتلهمُ وقد أرى علياً ولو أشأ أوجرته عمرياً

فبرز له عمار بن ياسر ، وإنه لأضعف من بارزه ، وإن الناس ليسترجعون
حين قام عمار ، وأنا أقول لعمار من ضعفه : هذا والله لاحق بأصحابه ، وكان
قضيئاً^(٢) ، حمش الساقين^(٣) ، وعليه سيف حمائله تشف عنه ، قريب من إبطه ،

(١) عن داود بن أبي هند ، عن شيخ من بني ضبة .

(٢) القضيئ : الدقيق العظيم ، القليل اللحم .

(٣) حمش الساقين : دقيقها .

فيضربه ابن يثربي بسيفه ، فنشب في حَجَفَتِه (١) ، وضربه عمار وأوهطه (٢) ،
ورمى أصحابُ عليٍّ ابنَ يثربي بالحجارة حتى أثخنوه وارتثوه (٣) .



لما قال الضبي يوم الجمل (٤) :

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ننعى ابن عفان بأطراف الأسل
ردوا علينا شيخنا ثم يحل

قال عمير بن أبي الحارث :

كيف نردُّ شيخكم وقد قَحَلْ (٥) نحن ضربنا صدره حتى انجفل (٦)

[وقد] عقر الجمل (٧) [كما مر معنا] رجلٌ من بني ضبة يقال له : ابن دُلْجَة
- عمرو أو يُحِير - وقال في ذلك الحارث بن قيس - وكان من أصحاب عائشة :

نحن ضربنا ساقه فأنجدلا من ضربة بالنفَر كانت فيصلا
لو لم نكوّن للرسول ثَقَلًا وحرمةً لاقتسمونا عَجَلًا

وقد نُحِلَ ذلك المثنى بن مخزومة من أصحاب علي .

(١) الحجفة : الترس .

(٢) أوهطه : أضعفه وأثخنه ضرباً .

(٣) أي حمّاه من المعركة جريحاً .

(٤) عن سيف ، عن حماد البرجي ، عن خارجة بن الصلت .

(٥) قحَل : مات وجف جلده (اللسان) .

(٦) انجفل : سقط .

(٧) عن الصعب بن حكيم ، عن أبيه عن جده ، ط ٤ - ٥٣١ .

صفة القتال يوم الجمل :

قال القعقاع ^(١) : ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من قتال القلب يوم الجمل بقتال صفين ، لقد رأيتنا ندافعهم بأسنتنا ، ونتكئ على ازجتنا ، وهم مثل ذلك حتى لو أن الرجال مشت عليها لاستقلت بهم .

إزال هودج عائشة :

أتى محمد بن أبي بكر ^(٢) وعمار بن ياسر عائشة ، وقد عُقِرَ الجمل ، فقطعاً غُرْضة ^(٣) الرجل واحتملا الهودج ، فنحياه حتى أمرهما علي فيه أمره بعد ، قال : أدخلاها البصرة ، فأدخلاها دار عبد الله بن خلف الخزاعي .

[و] أمر علي ^(٤) نفرأ يحمل الهودج من بين القتلى ، وقد كان القعقاع وزفر ابن الحارث أنزلاه عن ظهر البعير ، فوضعه الى جنب البعير ، فأقبل محمد بن أبي بكر اليه ومعه نفر ، فأدخل يده فيه ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قال : أخوك البرّ ، قالت : عقوق . قال عمار بن ياسر : كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أمّه ؟ قالت : مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابنك البار عمار ، قالت : لستُ لك بأمّ ، قال : بلى ، وإن كرهت . قالت : فخرتم إن ظفرتم ، وأتيتم مثل ما نقمت ، هيهات ، والله لن يظفر من كان هذا دأبه . وأبرزوها بهودجها من القتلى ،

(١) عن محمد بن نويرة ، عن أبي عثمان ، ط ٤ - ٥٣٢ .

(٢) عن محمد بن راشد السلمي ، عن ميسرة أبي جميلة ، ط ٤ - ٥٣٣ .

(٣) الغرصة للرجل كالخزام للسرّج .

(٤) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٣٣ .

ووضعوها ليس قريبها أحد ، وكان هودجها فرخ مقصَّب^(١) مما فيه من النبل ، وجاء أعين بن ضبيعة المجاشعي حتى اطلع في الهودج ، فقالت : إليك لعنك الله ! فقال : والله ما أرى إلا حميراً ، قالت : هتك الله سترك ، وقطع يدك ، وأبدى عورتك . فقتل بالبصرة وسلب ، وقطعت يده ، ورمي به عرياناً في خربة من خَرَبَات الأزد ، فانتهى إليها علي ، فقال : اي أمه ، يغفر الله لنا ولكم ، قالت : غفر الله لنا ولكم .

[وفي رواية أخرى]^(٢) .

انتهى محمد بن أبي بكر ومعه عمار ، فقطع الانساع عن الهودج ، واحتمله ، فلما وضعاه أدخل محمد يده وقال : أخوك محمد ، فقالت : مذمم ، قال : يا أخية ، هل أصابك شيء ؟ قالت : ما أنت من ذاك ؟ قال : فمن إذن ؟ الضُّلَّال ؟ قالت : بل الهداة ، وانتهى إليها علي ، فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت بخير قال : يغفر الله لك . قالت : ولك .

ولما كان^(٣) من آخر الليل خرج محمد بعائشة حتى أدخلها البصرة ، فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية ابنة الحارث بن طلحة بن أبي طلحة ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله ابن خلف .

(١) في نسخة « معصب » ، والفرخ : الزرع اذا تهيأ للانشقاق بعدما يطلع . ومعصب : أي ذو أنابيب .

(٢) عن الصعب بن حكيم ابن شريك ، عن أبيه ، عن جد ، ط ٤ - ٥٣٤ .

(٣) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٣٤ .

[وكانت الواقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ في قول الواقدي] .

مقتل الزبير بن العوام :

لما انهزم الناس ^(١) يوم الجمل عن طلحة والزبير ، ومضى الزبير رضي الله عنه حتى مر بمعسكر الأحنف ، فلما رآه وأخبر به قال : والله ما هذا بخيار ^(٢) ، وقال للناس : مَنْ يأتينا بخبره ؟ فقال عمرو بن جرموز لأصحابه : أنا ، فاتبعه ، فلما لحقه نظر اليه الزبير - وكان شديد الغضب - قال : ما وراءك ؟ قال : إنما أردت ان أسألك ، فقال غلام للزبير يدعى عطية كان معه : إنه مُعِدٌّ ، فقال ما يهولك من رجل ؟ وحضرت الصلاة ، فقال ابن جرموز : الصلاة ، فقال الزبير : الصلاة ، فنزلا ، واستدبره ابن جرموز فطعمه من خلفه في جُرْبَتَانِ ^(٣) درعه ، فقتله ، وأخذ فرسه وخاتمه وسلاحه ، وخلي عن الغلام ، فدفنه بوادي السباع ، ورجع الى الناس بالخبر . فأما الأحنف فقال : والله ما أدري أحسنت أم أسأت ؟ ثم انحدر الى علي وابن جرموز معه ، فدخل عليه ، فأخبره ، فدعا بالسيف ، فقال : سيف طالما جلّى الكُربَ عن وجه رسول الله ﷺ ، وبعث بذلك الى عائشة ، ثم أقبل على الأحنف فقال : تربّصتَ ، فقال : ما كنت أراي إلا قد أحسنت ، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين ، فافرق فإن طريقك الذي سلكت بعييد ، وأنت اليّ غداً أحوج منك أمس ، فاعرف إحساني واستصفِ مودّتي لقد ، ولا تقولنّ مثل هذا ، فإني لم أزل لك ناصحاً .

(١) عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله ، عن أبيه ، ط ٤ - ٥٣٤ .

(٢) أي باختيار منه إنما اضطر الى ذلك .

(٣) الجربان : الجيب .

من انهزم يوم الجمل فاختمى ومضى في البلاد :

ومضى الزبير^(١) في صدر يوم الهزيمة راجلاً نحو المدينة ، فقتله ابن جرموز ،
وخرج عتبة بن أبي سفيان وعبدالرحمن ويحيى ابنا الحكم يوم الهزيمة ، قد شجّجوا
في البلاد ، فلقوا عصمة بن أبير التيمي ، فقال : هل لكم في الجوار ؟ قالوا : من
أنت ؟ قال عصمة بن أبير . قالوا : نعم ، قال : فأنتم في جوارى إلى الحوّل ،
فمضى بهم ، ثم حمّاهم وأقام عليهم حتى برئوا ، ثم قال : اختاروا أحبّ بلد إليكم
أبلغكموه ، قالوا : الشام ، فخرج بهم في أربعمئة راكب من تيم الرّباب ، حتى
إذا وغلوا في بلاد كلب بدومة ، قالوا : قد وفّيت ذمتك وذرهم ، وقضيت
الذي عليك فارجع ، فرجع ، وفي ذلك يقول الشاعر :

وفي ابن أبيرٍ والرماح شوارعٌ بآل أبي العاصي وفاءٌ مُدَكَّرًا

وأما ابن عامر فإنه خرج ايضاً مشججاً ، فتلّقه رجل من بني حرقوص ،
يدعى مُرَيَّةً ، فدعاه للجوار ، فقال نعم ، فأجاره واقام عليه ؟ وقال : اي البلدان
احب اليك ؟ قال : دمشق . فخرج به في ركب من بني حرقوص حتى بلغوا
به دمشق . وقال حارثة بن بدر — وكان مع عائشة ، وأصيب في الواقعة ابنه
او اخوه زراع^(٢) .

أتاني من الأنباء ان ابن عامرٍ اناخ والقي في دمشق المراسيا

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٣٥ .

(٢) في نسخة « دراع » .

وأوى مروان بن الحكم الى أهل بيت من عنزة يوم الهزيمة ، فقال لهم :
اعلموا مالك بن مسمع بكاني ، فأتوا مالكا فأخبروه بمكانه ، فقال لأخيه مقاتل :
كيف نصنع بهذا الرجل الذي قد بعث إلينا يُعلمنا بمكانه ؟ قال : ابعث ابن أخي
فأجيره ، والتمسوا له الأمان من علي ، فإن آمنه فذاك الذي نحب ، وإن لم يؤمنه
خرجنا به وبأسيفنا ، فإن عرض له جالدنا دونه بأسيفنا ، فإما أن نسلم ، وإما
أن نهلك كراماً . وقد استشار غيره من أهله من قبل في الذي استشار فيه
مقاتلاً ، فنهاه ، فأخذ برأي أخيه ، وترك رأيهم ، فأرسل اليه فأنزله داره ،
وعزم على منعه إن اضطر الى ذلك ، وقال : الموت دون الجوار وفاء ، وحفظ
لهم بنو مروان ذلك بعد ، وانتفعوا به عندهم ، وشرّفوهم بذلك ، وأوى
عبدالله بن الزبير الى دار رجل من الأزد يدعى وزيراً ، وقال : إئت أم المؤمنين
فأعلمها بكاني ، وإياك أن يطلع على هذا محمد بن أبي بكر ، فأتى عائشة رضي الله
عنها فأخبرها ، فقالت : عليٌّ بمحمد ، فقال : يا أم المؤمنين ، إنه قد نهاني أن
يعلم به محمد ، فأرسلت اليه فقالت : إذهب مع هذا الرجل حتى تجيئني بابن
اختك ، فانطلق معه ، فدخل بالأزدي على ابن الزبير ، قال (١) : جئتك والله
بما كرهت ، وأبت أم المؤمنين إلا ذلك . فخرج عبد الله ومحمد وبهما يتشامتان ،
فذكر محمد عثمان فشتمه ، وشم عبد الله محمداً حتى انتهى الى عائشة في دار عبد الله
ابن خلف — وكان عبد الله بن خلف قبل يوم الجمل مع عائشة ، وقُتِلَ عثمان
أخوه مع علي — وأرسلت عائشة في طلب من كان جريحاً فضمت منهم ناساً ،
وضمت مروان فيمن ضمت ، فكانوا في بيوت الدار .

وغشيَ الوجوهُ عائشة^(١) وعلي في عسكره ، ودخل القعقاع بن عمرو على عائشة في أول من دخل ، فسلم عليها ، فقالت : إني رأيت رجلين بالأمس اجتلدا بين يديّ وارتجزا بكذا ، فهل تعرف كوفيّك منها ؟ قال : نعم ، ذاك الذي قال : « أعقُ أمّ نعلم » ، وكذب والله ، إنك لأبرّ أم نعلم ، ولكن لم تطاعني ، فقالت : والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة . وخرج فأتى علياً فأخبره أن عائشة سألته ، فقال : ويحك من الرجلان ؟ قال : ذلك أبو هالة الذي يقول :

* كما أرى صاحبه علياً *

فقال : والله لوددتُ أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ، فكان قولهما واحداً . وتسلسل الجرحى^(٢) في جوف الليل ، ودخل البصرة من كان يطيق الانبعاث منهم ، وسألت عائشة يومئذ عن عِدّة من الناس ، منهم من كان معها ، ومنهم من كان عليها ، وقد غشيها الناس ، وهي في دار عبد الله بن خلف ، فكلما نُعمي لها منهم واحد قالت : يرحمه الله ، فقال لها رجل من أصحابها : كيف ذلك ؟ قالت : كذلك قال رسول الله ﷺ فلان في الجنة . وفلان في الجنة ، وقال علي بن أبي طالب يومئذ : إني لأرجو ألا يكون أحدٌ من هؤلاء نقى قلبه إلا أدخله الله الجنة .



قال علي^(٣) : ما نُزِّلَ على النبي ﷺ آية أفرح له من قول الله عز وجل :

(١-٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٣٧ .

(٣) عن عطية ، عن أبي أيوب ، عن علي ، ط ٤ - ٥٣٧ .

﴿ وما أصابكم من مُصيبةٍ فبما كسبت أيديكم ﴾ ويعفو عن كثير ﴿ (١) ، فقال ﷺ : « ما أصاب المسلم في الدنيا من مصيبة في نفسه فبذنب ، وما يعفو الله عز وجل عنه أكثر ، وما أصابه في الدنيا فهو كفارة له وعفو منه لا يُعتدّ عليه فيه عقوبة يوم القيامة ، وما عفا الله عز وجل عنه في الدنيا فقد عفا عنه ، والله أعظم من أن يعودَ في عفوهِ » .

دفن القتلى وتوَجَّع علي عليهم :

وأقام علي (٢) بن أبي طالب في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة ، وندب الناس إلى موتاهم ، فخرجوا إليهم فدفنهم ، فطاف علي معهم في القتلى ، فلما أتى بكعب بن سُور قال : زعمت أنما خرج معهم السفهاء ، وهذا الخبر قد ترون . وأتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال : هذا يعسوب القوم — يقول الذي كانوا يُطيفون به — يعني أنهم قد كانوا اجتمعوا عليه ، ورضوا به لصلاتهم . وجعل علي كلما مرّ برجل فيه خير قال : زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا القوغاء ، هذا العابد المجتهد . وصلى على قتلاهم من أهل البصرة ، وعلى قتلاهم من أهل الكوفة ، وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء ، فكانوا مدنيين ومكيين ، ودفن علي الأطراف في قبر عظيم ، وجمع ما كان في العسكر من شيء ، ثم بعث به إلى مسجد البصرة ، أن من عرف شيئاً فليأخذه ، إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سِمَة السلطان ، فإنه لما بقي لم يعرف ، خذوا ما أ جلبوا به عليكم من مال الله عز وجل ، لا يحل لمسلم من مال المسلم المتوفى شيء ، وإنما كان ذلك السلاح في أيديهم من غير تنفيل (٣) من السلطان .

(١) سورة الشورى ، الآية : ٣٠ .

(٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٣٨ .

(٣) أي من غير عطاء من السلطان ، ط ٤ - ٥٣٩ .

عدد قتلى الجمل :

كان قتلى الجمل^(١) حول الجمل عشرة آلاف، نصفهم من أصحاب علي، ونصفهم من أصحاب عائشة، من الأزد ألفان، ومن سائر اليمن خمسمائة، ومن مضر ألفان، وخمسمائة من قيس، وخمسمائة من تميم، وألف من بني ضبّة، وخمسمائة من بكر بن وائل. وقيل: قُتِلَ من أهل البصرة في المعركة الأولى خمسة آلاف وقتل من أهل البصرة في المعركة الثانية خمسة آلاف، فذلك عشرة آلاف قتيل من أهل البصرة، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف. وقتل من بني عديّ يومئذ سبعون شيخاً، كلهم قد قرأ القرآن، سوى الشباب ومن لم يقرأ القرآن.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما زلتُ أرجو النصر حتى خفيتُ أصواتُ بني عديّ.

دخول عليّ على عائشة ومعاقبته من أساء إليها :

ودخل عليّ البصرة يوم الاثنين، فانتهى إلى المسجد فصلى فيه، ثم دخل البصرة، فأتاه الناس، ثم راح إلى عائشة على بغلته، فلما انتهى إلى دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة، وجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف مع عائشة، وصفيّة^(١) ابنة الحارث مختمرة^(٢) تبكي، فلما رآته قالت: يا علي، يا قاتل الأحبة يا مفرّق الجمع^(٣)، أَيْتَمَ اللهُ بَنِيكَ مِنْكَ كَمَا أَيْتَمَ وَلَدَ عَبْدِ اللهِ مِنْهُ. فلم يردّ عليها شيئاً، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسلم عليها، وقعد عندها وقال لها: جَبَّهْتُنَا صَفِيَّةُ، أما إني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم. فلما

(١) عن محمد وطلحة، ط ٤ - ٥٣٩.

(٢) مختمرة: أي واضعة الحمار على وجهها.

(٣) ما زال الحديث عن محمد وطلحة، ط ٤ - ٥٤٠.

خرج علي أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام، فكفّ بقلته وقال : أما لهممّت - وأشار إلى الأبواب من الدار - أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه ، ثم هذا فأقتل من فيه ، ثم هذا فأقتل من فيه - وكان أناس من الجرحى قد لجؤوا إلى عائشة ، فأخبر علي بكانهم عندها ، فتغافل عنهم - فسكتت . فخرج علي ، فقال رجل من الأزد . والله لا تَقْلَتْنَا هذه المرأة . فغضب وقال : صه ، لا تهتِكُنْ سِتْرًا ولا تدخلنَ داراً ، ولا تهيجُنَ امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسفهن امراءكم وُصلحاءكم ، فإنهن ضعاف ، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن ، وإنهن لشركات ، وإن الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب فيُعِيرُهَا عَقِبَهُ من بعده ، فلا يبلغنني عن أحد عرض لامرأة فانكّل به شرار الناس . ومضى علي فلحق به رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، قام رجلان ممن لقيتُ على الباب ، فتناولوا من هو أمضُ لك شتمة من صفة . قال : ويحك ، لعلها عائشة ، قال : نعم ، قام رجلان منهم على باب الدار فقال أحدهما :

* 'جَزَيْتِ عَنَّا أَمْنًا عَقُوقًا *

وقال الآخر :

* يَا أَمْنَا تُوبِي فَقَدْ خَطِيتِ *

فبعث القمعاق بن عمرو إلى الباب ، فأقبل بمن كان عليه ، فأحالوا على رجلين فقال : اضرب أعناقهما ، ثم قال : لأنهن كنّتهما عقوبة . فضرِبَها مائة مائة وأخرجهما من ثيابهما .

[و] هما رجلان من أزد الكوفة ^(١) يقال لهما عَجَل وسعد ابنا عبد الله .

(١) عن الحارث بن حصيرة ، عن أبي الكنود ، ط ، ٤ - ٥٤٠ .

بيعة أهل البصرة علياً وقسمه ما في بيت المال عليهم :

بائع الأحنف من العشيّ لأنه كان خارجاً هو وبنو سعد ، ثم دخلوا جميعاً البصرة ، فبايع أهل البصرة على راياتهم ، وبايع علي أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمنة فلما رجع مروان لحق بمعاوية . وقال قائلون : لم يبرح المدينة حتى فرغ من صفين .

ولما فرغ علي^(١) منبيعة أهل البصرة نظر في بيت المال فإذا فيه ستائة ألف وزيادة ، فقسمها على من شهد معه [الواقعة] ، فأصاب كل رجل منهم خمسمائة وخمسمائة ، وقال : لكم إن أظفركم الله عز وجل بالشام مثلها الى اعطيائكم . وخاض في ذلك السبئية ، وطعنوا على علي من وراء وراء .

سيرة علي فيمن قاتل يوم الجمل :

كان من سيرة علي^(٢) ألا يقتل مدبراً ولا يُذَقَّف^(٣) على جريح ، ولا يكشف ستراً ، ولا يأخذ مالا ، فقال قوم يومئذ : ما يُجَلّ لنا دماءهم ، ويُجرّم علينا أموالهم ؟ فقال علي : القوم أمثالكم ، من صفح عنا فهو منا ، ونحن منه ، ومن لجّ حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر ، وإن لكم في 'خنسه لغنى' ، فيومئذ تكلمت الخوارج .

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٤١ .

(٢) عن محمد بن راشد ، ط ٤ - ٥٤١ .

(٣) لا يذفف : لا يجهز .

خروج عائشة من البصرة الى مكة :

قصدت عائشة مكة^(١) فكان وجهها من البصرة، وانصرف مروان والأسود ابن أبي البَخْتَرى إلى المدينة من الطريق ، وأقامت عائشة بمكة إلى الحج ، ثم رجعت إلى المدينة .

كتابة علي الى عامله بالكوفة :

وكتب علي بالفتح الى عامله بالكوفة^(٢) حين كتب في أمرها وهو يومئذ بمكة :

من عبد الله علي أمير المؤمنين . أما بعد ، فإننا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالحُريبة - فناء من أفنية البصرة - فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين، وقتل منا ومنهم قتلى كثيرة ، وأصيب ممن أصيب منا ثمانية بن المثنى ، وهند بن عمرو ، وعِلباء بن الهيثم ، وسيحان وزيد ابنا صوحان ، ومحدوج .

[وكتب عبيد الله بن رافع . وكان الرسول زُفَر بن قيس الى الكوفة بالبشارة في جمادى الآخرة] .

[وقد] علم أهل المدينة^(٣) بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس من نَسَر مرًا بما حول المدينة ، معه شيء متعلقه ، فتأمله الناس فوق ، فإذا كف فيها خاتم ، نقشه « عبد الرحمن بن عَتَّاب » ، وجفل من بين مكة والمدينة من أهل

(١-٢) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٤٢ .

(٣) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٤٣ .

البصرة، مَنْ قَرُبَ البصرة أو بَعُدَ ، وقد علموا بالوقعة مما ينقل اليهم النور من الأيدي والأقدام .

تجهيز علي عائشة وارسالها الى المدينة :

وجهز^(١) علي عائشة بكل شئ ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع ، وأخرج معها كل من نجا من خرج معها إلا من أحب المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ، وقال : تجهز يا محمد ، فبلغها ، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه ، جاءها حتى وقف لها ، وحضر الناس ، فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم ، وقالت : يا بني ، تعتب بعضنا على بعض استبطاءً واستزادة ، فلا يعتد أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك ، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار . وقال علي : يا أيها الناس ، صدقت والله وبرأت ، ما كان بيني وبينها إلا ذلك ، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة .

وخرجت يوم السبت لفرّة رجب سنة ٣٦ هـ ، وشيعها علي أميالاً ، وسرح بنيه معها يوماً .

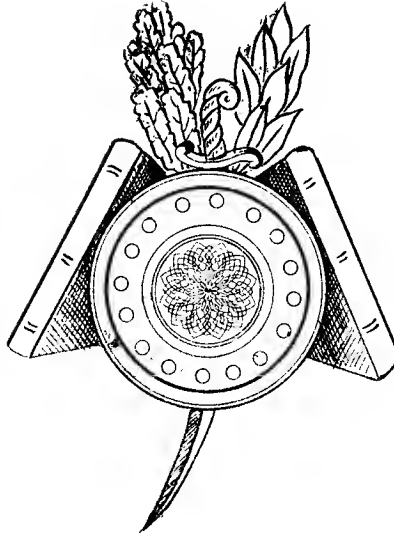
[تمت نصوص رواية سيف بن عمر المتعلقة بمقتل عثمان ووقعة الجمل] .

(١) عن محمد وطلحة ، ط ٤ - ٥٤٤ .

المراجع

أنساب الأشراف للبلاذري
الإمامة والسياسة لابن قتيبة
أقرب الموارد، سعيد الخوري الشرتوني (قاموس)
الاعلام لخير الدين الزركلي (قاموس تراجم)
البداية والنهاية لابن كثير
تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك للطبري
تاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم حسن
تاريخ العرب العام، ل. سيدو، ترجمة عادل زعيتر
التاريخ الاسلامي والمذهب المادي لفتححي عثمان
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
تاريخ ابن خلدون
تاريخ ابن الأثير (الكامل)
تهذيب التهذيب لابن حجر (تراجم)
الذيل الأول لبروكلمان (تراجم)
صحيح البخاري
عائشة والسياسة لسعيد الأفغاني

المواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي
(تحقيق محب الدين الخطيب)
لسان العرب لابن منظور (قاموس)
الفتنة الكبرى لطفه حسين
الفهرست لابن النديم (تراجم)
ميزان الاعتدال للذهبي (تراجم)
المنجد ، لويس معلوف اليسوعي (قاموس)
نظرات جديدة في تاريخ الأدب لأحمد لؤسانى
نهاية الأرب للنويرى
وقعة صفين لنصر بن مزاحم



فہرست کتابت

- ۱۔ فہرست الفہم
- ۲۔ فہرست الاماکن
- ۳۔ فہرست الموضوعات

فهرس الأعلام

١ - نظراً لكثرة الأعلام في الكتاب ، وكي لا يفقد الفهرس الغاية التي وجد من أجلها ، فقد اقتصر على ذكر أرقام الصفحات التي ورد فيها العلم (الاسم) وله دور مهم في الأحداث المذكورة فيها .

٢ - بما أن أسماء الرواة تتكرر نفسها في الحواشي ، فقد ذكرتها مجتمعة في آخر فهرس الأعلام .

الأشتر (مالك بن الحارث النخعي) :	أ
٣٦ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٨٢ ،	الأحنف بن قيس : ١٢١ ، ١٥٢ ،
٩٣ ، ٩٤ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ،	١٥٣ ، ١٧٤ ، ١٨١
١٤٨ ، ١٦٥	أدهم بن المحرز : ٨٣
الأشعث بن قيس : ٤٤ - ٨٦	أسماء (بنت أبي بكر) : ١١٧ ، ١٦٤
أعصر بن النعمان الباهلي : ١٥٤	أسماء بن خارجة : ٨٣
الأعوص : ٥٨ ، ٦٠	أسامة بن زيد : ٤٩ ، ٥٦ ، ١٢٨
الأعور بن بنان المنقري : ١٥٠	الأسود بن أبي البخري : ١٨٢
أعين بن ضبيعة المجاشعي : ١٧٣	الأسود بن سريع السعدي : ١٢٣
أنس بن مالك : ٦٢	الأسود بن الهيثم : ٨٣

ابن محدوج البكري : ١٤٥
ابن المحرش (ابن عبد بن عمرو) :
١٣٠ ، ٥٨

ابن مسعود (عبد الله) : ١١
ابن يثربي : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ،
١٧٠ ، ١٧١

ام حبيبة (زوج النبي) : ٦٦ ، ٦٧
ام سلمة (زوج النبي) : ١١٠
ام الفضل (بنت الحارث) : ١١٤
ام كلثوم (بنت علي) : ١٠٩
ابو الاسود (الدؤلي) : ١٢١ ، ١٢٢ ،
١٢٦

ابو الأعور بن سفيان : ٨٥
ابو أمانة (الصحابي) : ٦٢
ابو أيوب (الأنصاري) : ١١٠
ابو أيوب بن زيد : ١٢٨
أبو بكر (الصديق) : ٥٦ ، ٦١
ابو بجيد عمران بن الحصين : ١٥٢
ابو الجرباء (عاصم بن الدلف) : ١٢٧ ،
١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٣

ابو الدرداء (الصحابي) : ٦٢ ، ٨٥
ابو ذر (الغفاري) : ١١
ابو زينب (ابن عوف) : ٨٢
ابو سلامة الدألاني : ١٥١
ابو عبيدة بن الجراح : ١٠٨
ابو عبيدة بن راشد بن سلمى : ١٦١
ابو عبد الله (الزبير) : ١١٨
ابو عمر : ٦٣

ابن أبي العرجاء : ٤٣
ابن أبي سرح (عبد الله بن أبي سرح)
٥٦

ابن الأثير : ٥١
ابن الأشج : ١٥٥
ابن التميمية : ٦٧
ابن جرموز : ١٧٥
ابن الحنظلية (القعقاع) : ١٤٥ ، ١٤٨
ابن الجارود (المنذر) : ١٥٥
ابن الحارث بن نهار : ١٥٥
ابن خلدون : ٢٩
ابن دجلة (عمرو أو بجير) : ١٧١

ابن راهويه : ٧
ابن الزبير : ٦٥ ، ٦٨
ابن ذي الحبكة (النهدي) : ٣٦ ، ٨٠
ابن سميع : ٧
ابن سهلة : ٥٥
ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) : ٢٤ ،
٤٢ ، ٥٨ ، ٧٧ ، ١٤٧ ، ١٤٩
ابن صوحان : ١٧٠

ابن عامر (عبد الله بن عامر) : ٥٢ ،
٩٩ ، ١٠٠ ، ١٢١ ، ١٧٥
ابن عباس (عبد الله) : ٩٩ ، ١١٩ ،
١٤٤

ابن عفان (عثمان) : ١٦٣
ابن عمر (عبد الله) : ١٢ ، ٩١ ، ١١٦
ابن قدامة القشيري : ١٣٢
ابن الكواء : ٣٦ ، ٤١

ابو ليلي بن عمر بن الجراح : ١٠٨ ،

١٣٦

ابو لؤلؤة (قاتل عمر بن الخطاب) :

١٣

ابو كرب : ٧٤

ابو مسلم الخولاني : ٦٢

ابو محمد (طلحة) : ١٥٨

ابو موسى (الأشعري) : ٤٧ ، ٥٤ ،

٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١

ابو مورع : ٨٢

ابو هريرة : ٦٣ ، ٧١

ابو الهيثم بن التيهان : ١١٠

ب

بجير بن دبلجة : ١٦٦

بدر بن الحليل بن عثمان الأسدي : ٥٢

بشر بن شريح الحطيم بن ضبيعة القيسي

٥٨

بغثر (الكلبي) : ٤٥

بكر بن وائل : ١٣٢

ت

التجبي (كنانة بن بشر) : ٧٥

تمام بن العباس : ١١٩ ، ١٢٨

ثمالة بن المثني : ١٨٢

ج

جارية بن قدامة السعدي : ١٢٥

جرير بن شرس : ١٤٦

جرير بن عبد الله : ٤٥ ، ٨٦

جندب (ابن زهير الغامدي) : ٣٦

ح

حارثة بن بدر : ١٧٥

الحارث بن قيس : ١٧١

الحارث السدوسي : ١٣٢

الحارث (من بني ضبة) : ١٦٣

حبيب بن مسلمة الفهري : ٦٢ ، ٦٥ ،

٨٥

حبيش (خنيس الأسدي) : ٨٦

الحجاج بن غرية الأنصاري : ١٣٦

الحجاج (ابن يوسف الثقفي) : ٨٢ ،

٨٣

حجر بن عدي : ١٤٣ ، ١٤٥

حذيفة (ابن اليمان) : ٤٨

حرقوص بن زهير السعدي : ٥٨ ،

١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ،

١٥٢

الحسن بن علي : ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٩ ،

٨٤ ، ١٢٠ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،

١٤٤

حصين بن أبي الحر : ٤٣

ربيعة (جد اسحاق بن مسلم) : ١٦٥

رجاء بن حيوة : ٥٢

الرعي الجرمي : ١٥٤

ز

الزبير (ابن العوام) : ٢٥ ، ٣٠ ، ٥٨ ،

٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٨٣ ، ٩١ ،

٩٢ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،

١٠١ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١١ ،

١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،

١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ،

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ،

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ،

١٧٤ ، ١٧٥

زفر بن الحارث : ١٥٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،

١٧٢

زفر بن قيس : ١٨٢

زكريا بن يحيى الساجي : ٧

زياد بن النضر الحارثي : ٥٨

زياد بن حنظلة التميمي : ١٠٧ ، ١١١ ،

١٥٤

زيد بن عبد القيس : ١٤٠

زيد بن ثابت : ١٠ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٨٦

الحصين بن معبد بن النعمان : ١٦١

الحكم بن أبي العاص : ١١ ، ٧٨ ،

١١٠

حفصة (ابنة عمر بن الخطاب) : ١٠ ،

١١٤

حكيم بن جبلة العبدي : ٤٢ ، ٥٨ ،

٦٣ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،

١٣٠ ، ١٣٧ ، ١٥٥

حكيم بن سلامه الخزاعي : ٤٥ ، ١٥١

حمران بن أبان (مولى عثمان) : ٤٢ ،

٨٠

حنظلة بن الربيع التميمي : ٦٢ ، ٦٦

خ

خالد بن ملجم : ٥٠ ، ١٤٧

الخريت بن راشد : ١٥٤

خزيمة بن ثابت : ١١٠

خنيس بن حبيش : ٣٥

ذ

ذريح بن عباد العبدي : ٥٨ ، ١٣٠ ،

١٣١

ر

ربيعة العقيلي : ١٦٣

زيد بن صوحان : ٥٨ ، ٨٢ ، ١٤٠ ،
١٤٤ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٨٢

ش

الشافعي : ٧

شيث بن ربيعي : ١٤٠

شريح بن الحارث : ٦٢

شريح بن أوفى بن ضبيعة : ١٤٧ ، ١٤٩

شريك بن خباشة النميري : ٦٢

الشعبي : ١١٠

س

سالم بن ثعلبة العبدي : ١٤٧ ، ١٤٩

سالم بن عبد الله : ٧٩

السائب بن الأقرع : ٤٤ ، ٨٦

سبرة الجهيني : ١٠٢

سبرة بن عمرو العنبري : ١٣٢

سعد بن أبي وقاص : ١٣ ، ٩١

سعد بن مالك : ٦٣ ، ١٤٤

سعيد الأفغاني : ٢٩

سعيد بن زيد : ٧٧ ، ١١٠

سعيد بن قيس : ٤٤ ، ٨٦

سعيد بن المسيب : ٧٩

سعيد بن العاص (والي عثمان على الكوفة)

١٠ ، ٣٥ ، ٥١ ، ٦٨ ، ٧٠ ،

١١٣ ، ١١٥

سلمان بن ربيعة : ٤٥

سماك الأنصاري : ٨٦

سنان (رئيس طائفة من بكر) : ١٥٤

سهيل بن حنيف : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٢٨

سودان بن حمران : ٥٠ ، ٥٧ ، ٧٢

السواد جابر بن عمرو المزني : ٨٦

سيار العجلي : ١٣٢

سيحان بن صوحان : ١٤٢ ، ١٥٩ ،

١٦٩ ، ١٨٢

ص ص

صبرة بن شيمان : ١٢١ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ،

١٥٤ ، ١٦١

صبيح (من موالي عثمان) : ٨٤

الصعب بن عطية : ١٦٨

صعصعة (ابن صوحان) : ٣٦ ، ٣٨ ،

١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٦٩

صفية بنت الحارث : ١٧٣ ، ١٧٩ ،

١٨٠

صهيب بن سنان : ١٢٨

ضابىء بن الحارث البرهمي : ٨١

الضي : ١٧١

ط ظ

طارق بن شهاب : ١٢٠

طلحة بن عبيد الله (الصحابي) : ٨ ،

٣٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ،

عباس بن عتبة بن أبي لهب : ٥٥ ، ٧٩
العباس = العباس بن عبد المطلب : ٧٩ ،
٨٠

عبد بن أم كلاب (عبد بن أبي سلمة) :
١١٥

عبد الله بن أبي أوفى : ٦٢
عبد الله بن أبي سرح = عبد الله بن سعد
ابن أبي سرح : ١١ ، ٥٠ ، ٥٢
عبد الله بن سعد = عبد الله بن أبي سرح
٦٢ ، ٥١

عبد الله بن خالد بن أسيد : ١١٥
عبد الله بن خلف الخزاعي : ١٧٢ ،
١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩

عبد الله بن حكيم بن حزام : ١٦٤
عبد الله بن حكيم (أو عكيم) : ٦٢
عبد الله بن رقة بن المغيرة : ١٦١
عبد الله بن الزبير : ١٠ ، ٧٠ ، ٧٤ ،
١١٧ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
١٧٦

عبد الله بن رافع : ١٨٢
عبد الله بن عامر = عبد الله بن عامر
الحضرمي : ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ،
١١١ ، ١١٢ ، ١١٣

عبد الله بن سبأ : ١٧ ، ٤٨ ، ٤٩
عبد الله بن السوداء = عبد الله بن سبأ
٥٠ ، ١٤٨ ، ١٥٥

عبد الله بن سلام : ٧٢ ، ١١٩
عبد الله بن عباس : ٦٧ ، ١٠٧ ، ١١١ ،

٦٠ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٧ ،
١١٣ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٢ ،
١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ،
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ،
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٤

طلحة بن خويلد : ١٠٠
ظفر (رجل من جهينة) : ١١٤

ع

عامر بن عبد قيس : ٤٢
عامر بن مطر : ١٣٧
عائشة (بنت أبي بكر وزوجة الرسول
صلى الله عليه وسلم) : ٦٦ ، ٦٧ ،
١١٢ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢١ ،
١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ،
١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ،
١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ،
١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠
عبادة بن الصامت : ٦٢

٦٥ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ،

٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١٢ ،

١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،

١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،

١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ،

١٧٦

عثمان بن حنيف : ١٠٠ ، ١٠٨ ،

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،

١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ،

١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨

عتبة بن النحاس : ٤٥ ، ٤٦ ،

عدي بن حاتم : ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٦٤

عروة (ابن الزبير) : ١١٧

عصمة بن أبير التيمي : ١٧٥

عطاء بن رثاب (مولى الحارث بن حزن) :

١١٩

عطية بن بلال : ٥٠ ، ٨٦ ، ١٦٣ ،

١٧٤

عفان بن الأشقر النصري : ١٦٥

عقبة بن عمرو : ٦٢ ، ٨٦ ،

علباء بن الهيثم : ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ،

١٦٩ ، ١٨٢

علقمة بن حكيم الكنانى : ٨٥

١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٥٥

عبد الله بن عامر : ١١٤

عبد الله بن عمر : ٤٩ ، ١٠٩ ، ١١٤ ،

١١٨

عبد الله بن قيس الفزاري : ١٤١

عبد الله بن كريز : ١٣

عبد الله مسروق بن الأجدع : ٦٢

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : ١٠ ،

١٣٠ ، ١٥٦ ، ١٥٩

عبد الرحمن بن الحكم : ١٧٦

عبد الرحمن بن خنيس : ٣٦

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد : ٤٠ ،

٨٥

عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد : ١١٦ ،

١١٧ ، ١٢٩ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ،

١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧٨ ، ١٨٢

عبد الرحمن بن عديس البلوي : ٥٧ ،

٧١ ، ٨٤

عبد الرحمن بن عوف : ٧٦

عبد الرحمن بن غنم : ٦٢

عبيد بن أبي سلمة : ١١١

عبيد الله بن عباس : ١٠٠ ، ١٠١ ،

عبيد الله بن عمر : ١٢ ، ١٩ ،

عبيد بن كعب : ١٣٤

عتبة بن أبي سفيان : ١٧٥

عثمان (ابن عفان ، الخليفة) : ٦٠ ، ٥٤ ،

٣٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ،

٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ،

عمرو بن العاص : ٥١
 عمرو بن سفيان بن عبد الأسد : ١٠٧
 عمرو بن دجلة : ١٦٦
 عمرو بن بجرة : ١٦٣
 عمير بن أبي الحارث : ١٧١
 عمير بن ضابئة : ٨٢ ، ٨١ ، ٣٦
 عمير بن عبد الله التميمي : ١٢١
 عمير بن مرثد : ١٣٤ ، ١٣٣

غ

الغافقي بن حرب العكي : ٥٨ ، ٦٤ ،
 ٧٢ ، ٩١

ف

فاطمة (أم إبراهيم بن عدي) : ٨٤
 فبات الكناني : ٧١
 قبيصة (رجل من بني عيس) : ١٠٢
 قتيبة بن حمران السكوني : ٧٢
 قثم بن العباس : ١٠٨ ، ١١٩
 القعقاع بن عمرو (الصحابي) : ٤٥ ،
 ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٨٦ ، ١٠١ ،
 ١٢٤ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
 ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،
 ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ،
 ١٨٠
 قيس بن سعد : ١٠٠ ، ١٠٨
 قيس بن الفقدية الحميري : ١٢٣

علي (ابن أبي طالب) : ٤٨ ، ٥٣ ،
 ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٨٤ ،
 ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
 ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ،
 ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٩ ،
 ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،
 ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ،
 ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
 ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
 ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
 ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
 ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
 ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
 ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
 ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
 ١٨٠ ، ١٨٣
 عمار بن ياسر : ١١ ، ٤٢ ، ٤٩ ،
 ٦٣ ، ٧٩ ، ١٣٩ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ،
 ١٧٣ ، ١٧٢
 عمارة بن شهاب : ١٠٠ ، ١٠١
 عمران بن الحصين : ٦٢ ، ١٢١ ،
 ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٥٢
 عمر بن أبي سلمة : ١٠٧ ، ١٣٦
 عمر بن الخطاب : ١٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
 ٦١ ، ٧٥ ، ٧٨
 عمرو بن جرموز : ١٧٤
 عمرو بن حريث : ٤٦

ك ل

محمد بن أبي حذيفة : ٦٣ ، ٧٩
 محمد بن أبي قتيرة : ٦٣
 محمد بن جعفر : ٦٧ ، ١١١ ، ١٣٥ ،
 ١٤٤
 محمد بن الحنفية : ١٠٧ ، ١٣٦
 محمد بن طلحة : ٦٩ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ،
 ١٥٥ ، ١٦٥
 محمد بن مسلمة : ٤٩ ، ٦٣ ، ٨٠ ،
 ١٢٨
 مخلد بن كثير : ١٦٨
 مرثد بن قيس : ١٣٣ ، ١٣٤
 مروان بن الحكم : ١١ ، ٦٧ ، ٦٨ ،
 ٧١ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٢ ، ١١٦ ،
 ١٧٦ ، ١٨١

مروان بن الزبير : ١٧٠
 مرة (غلام من بني سعد) : ١٣٧
 المستنير (ابن يزيد النخعي) : ٨١
 مسروق بن الأجدع : ١٣٩
 مسعود (قائد الأزد) : ١٥٤
 مسلم بن عبد الله : ١٥٩ ، ١٦٨
 المسيب بن نجبة : ١٤٤
 مظفر بن معرض : ١٣٢
 معاوية بن أبي سفيان : ٣٦ ، ٥٠ ،
 ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٥ ،
 ٨٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
 ١٠٧ ، ١٨١
 معاوية بن حديج السكوني : ٦٢
 معاوية بن شداد العبسي : ١٦٥

كعب بن ذي الحبكة : ٨٠ ، ٨٢
 كعب بن سور : ٦٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
 ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
 ١٦٨ ، ١٧٨
 كعب (الأحبار) : ٥٢
 كعب بن مالك : ٨٤
 كلثوم بن نجيب : ٧٣
 كميل بن زياد : ٣٦ ، ٨٢
 كنانة بن بشر التجيبي : ٥٠ ، ٥٧ ،
 ٨٤
 ليلى بنت عميس : ٦٧

م

مالك بن حبيب اليربوعي : ٤٤ ، ٨٦ ،
 ١٥١
 مالك بن عبد الله : ٨٠ ، ٨٣
 مالك بن مسمع : ١٥٤ ، ١٧٦
 مالك (الأشر) : ١٥٥ ، ١٦٤
 المثني بن مخزومة : ١٧١
 مجاشع بن مسعود السلمي : ٦٥ ، ١٥٤
 محدوج : ١٨٢
 محمد بن اسحاق : ٧
 محمد بن أبي بكر : ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٣ ،
 ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٥ ،
 ٧٩ ، ١١١ ، ١٣٥ ، ١٧٢ ، ١٧٣

الهرمزان (قاتل عمر بن الخطاب)

١٢ ، ١٣

هشام بن عامر : ٦٢ ، ١٢٣

هلال بن وكيع بن مالك بن عمرو

١٥٣ ، ١٥٤

هند بن عمرو : ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٦٢ .

١٨٢

الهيثم بن شهاب : ١٤٤

و

الواقدي : ٧ ، ١٧٤

وزير (رجل من الأزد) : ١٧٦

الوليد بن عقبة : ١٣ ، ٨٠ ، ٨١ ،

٩٢ ، ١١٣

ي

يحيى بن الحكم : ١٧٥

يزيد بن عبد الله بن مرثد : ١٣٤

يزيد بن قيس الأرحبي : ٤٦ ، ٥٤ ،

١٤٤ ، ١٦٠

يعلی بن أمية : ١١٣ ، ١١٤ ، ١٥٧

يوسف العشى : ٦

معبد الأسلمي : ١٠١

المغيرة بن الأخنس : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١

المغيرة بن شعبة : ٧٤ ، ١١٥

مقاتل (ابن مسمع البكري) : ١٧٦

المقطع بن الهيثم بن فجيع العامري : ١٤٣

المكعبير الأسدي : ١٦٥

المكعبير الضبي : ١٦٥

مليح بن عوف السلمي : ١١٧

منذر (ابن الزبير) : ١١٧

المنجاب بن راشد : ١٥٤

ن

نائلة (ابنة الفرافصة) : ٧٢ ، ٧٥ ،

٨٤ ، ٨٥

النباع (رجل من بني ليث) : ٧١

نجيح (أحد موالي عثمان) : ٨٤

النسائي : ٧

النسير العجلي : ٤٤ ، ٨٦

نمران بن أبي نمران الهمداني : ١٦٠

نيار بن عبد الله الأسلمي : ٧١

هـ

هرم بن حيان العبدي : ٦٢

أسماء الرواة الواردة في الحواشي

اسماعيل بن أبي خالد (هو أبو سعيد اليمحمدي ، وهو ابن عليّة) - ابن
يعمر - ابن الكنود (عبد الرحمن بن عبيد) - ابن صعصعة المزني - ابن أبي
ملكية (عبد الله بن عبيد الله) - ابن الشهيد - أبو حارثة (محرز العبشمي)
- أبو عثمان (يزيد بن أسيد الفساني) .

بدر بن الحليل بن عثمان بن قطبة الأسدي (بدر بن عثمان) - البخاري
العبدّي .

جرير بن أشرس .

حكيم بن جابر - الحارث الوالبي - الحارث بن حصيرة - الحسن بن أبي
الحسن البصري (الحسن البصري)

خالد بن مهران البجلي .

داود بن أبي هند

سليمان بن أبي المغيرة - سالم بن عبد الله - سهل بن يوسف السلمي - سعيد
ابن عبد الله (المجحي)

الشعبي (عامر بن شراحيل)

الصعب بن حكيم بن شريك - الصعب بن عطية بن بلال -

الضريس البجلي

طلحة بن الأعلم الحنفي

عبيد الله (ابن رافع) - عبد الله بن سعيد بن ثابت (ابن الجذع الأنصاري)
- عون بن عبد الله بن عتبة - عبد الرحمن بن جندب (الأزدي) - عبد الله بن
عمير الأشجعي - عمرو بن محمد - عطية بن الحارث - عمارة بن القعقاع الضبي -
عمرو بن شعيب - عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف - عبد الله بن سعيد بن
ثابت بن الجذع الأنصاري - عبيدة بن معتب - عمرو بن جأوان

قيس بن يزيد النخعي (أخو المستنير) - القاسم بن محمد

محمد بن راشد السلمي - مخلد بن كثير - ميسرة أبي جميلة - محمد بن قيس
الأسدي الوالبي - محمد بن عبد الله بن سواد بن نيرة - المستنير بن يزيد
النخعي - مجالد بن سعيد - مبشر بن الفضيل - محمد بن عبد الله - مروان بن عبد
الرحمان الحميري .

نصر بن مزاحم (الطار) - مجالد (ابن سعيد)

هشام بن عروة .

واقد بن عبد الله - الوليد بن عبد الله (بن أبي طيبة البجلي)

يزيد بن معن السلمي - يزيد الضخم - يزيد الفقهي - يحيى بن سعيد -
يحيى بن مسلم .

فهرست المآثر

١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ،
١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،
١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،
١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،

البقيع : ٨٤

ت ت

تبوك : ١٠٠
الثعلبية : ١٣٧

ج ح

الجزيرة : ٤٠

أ

الأردن : ٨٥
أذربيجان : ٤٤ ، ٨٦
الإسناد : ١٣٧
أصبهان : ٤٤ ، ٨٦
أوطاس : ١١٧
أيلة : ١٠٠

ب

الباب : ٤٥
البحرين : ٣٨
بدر : ١٢
بئر أريس : ١٣
البصرة : ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٨ ،

٦١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٨ ، ٩٣ ،
٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٣ ،
١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ،

الشام : ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٥ ،
٧٨ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ،
١١٩ ، ١٣٢ ، ١٧٥

ص

صفيين : ٤٨
صنعاء : ١٧٢

ط

الطائف : ٥٦ ، ٧٨

ع

العراق : ٤٠ ، ١٣٤
عمان : ٣٨

ف ق

الفرات (نهر الفرات) : ٤٦ ، ١٤١
فلسطين : ٨٥
فيحان : ٩٢
قرقيسيا : ٤٥ ، ٨٦
قنسرين : ٨٥

ك

الكوفة : ٣٦ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦١ ،

حوران : ٤٠

الحفير : ١٢١

حلوان : ٤٥ ، ٨٦

حمص : ٤٠

حوران : ٤٦

خ

خربتا : ١٠٠

خير : ٣٦

د ذ

دمشق : ١٠٢ ، ١٧٥

دنياوند (اسم جبل) : ٨٠

ذو خشب : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠

ذوقار : ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨

ذو المروة : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠

ر

الربذة : ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٤ ،

١٣٥ ، ١٣٦

الركة : ٤٠

الري : ٤٤

س ش

سرف : ١١٥

مسناة البصرة : ٨٦	٦٢ ، ٦٧ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ،
مشارف : ٤٦	٨٦ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
مصر : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ،	١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٢ ،
٦١ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ،	١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
١٠٠ ، ١٢٠ ، ١٥٦ ،	١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،
مكة : ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٩٢ ، ٩٩ ،	١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
١٠١ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١١ ،	١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ،
١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ،	١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
١٨٢	١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،
الموصل : ٤٥	

م

ن

النشاستج : ٣٦
النهران : ١١٠

هـ

همذان : ٤٤ ، ٨٦
وادي السباع : ١٥٧ ، ١٥٨

ي

اليمن : ٧٤ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
١١٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ،
١٦٠ ، ١٦٧

ماسبذان : ٨٦

ماه : ٤٤ ، ٨٦

المدينة : ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ،

٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ،

٧٧ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩٣ ،

٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،

١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ،

١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ،

١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ،

١٧٥

المربد : ١٢٤

فهرس الوفوف

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٢٧	ترجمة سيف بن عمر
٢٩	حول المصادر وطريقة البحث
	الفتنة (مقتل عثمان بن عفان)
٣٥	نفي المخالفين من أهل الكوفة
٤٢	نفي المشاغبين من أهل البصرة الى الشام
٤٤	اجتماع الثوار على عثمان
٤٨	دعوة عبد الله بن سبأ
٥٠	مشاورات عثمان مع ولاته
٥٤	المواجهة الاولى سنة ٣٤ هـ
٥٧	خروج الثوار الى المدينة عام ٣٥ هـ
٥٩	ما قاله علي وطلحة والزبير للثوار وتظاهرهم بالعودة
٦٠	مباغنة المدينة

٦١	كتابة عثمان الى الأمصار
٦٤	آخر خطبة لعثمان
٦٥	الحصار
٧٢	مقتل عثمان
٧٥	بعض سير عثمان بن عفان
٧٦	آراء متفرقة في تحليل الفتنة
٨٤	دفن عثمان
٨٥	ولادة الأمصار عند وفاة عثمان
٨٦	بعض خطب عثمان

خلافة علي بن أبي طالب

٩١	الدولة بلا خليفة
٩٣	المبايعة لعلي
٩٤	مبايعة طلحة والزبير
٩٥	أول خطبة لعلي
٩٧	مطالب طلحة والزبير
٩٩	أخبار عمال علي
١٠١	كتابة علي الى أبي موسى ومعاوية

وقعة الجمل

١٠٧	استئذان طلحة والزبير علياً في العمرة
١٠٨	استنفار أهل المدينة
١١١	وصول الخبر إلى عائشة

- ١١٢ توجه عائشة إلى المدينة وعودتها
- ١١٦ توجه عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة
- ١١٨ موقف عبد الله بن عمر
- ١١٨ خروج علي إلى الريزة يريد البصرة
- ١٢١ الموقف في البصرة
- ١٢٦ قتال عائشة وعثمان بن حنيف
- ١٢٧ الاتفاق على وقف القتال بين عثمان بن حنيف وعائشة
- ١٢٩ عودة القتال وانتصار عائشة
- ١٣٤ مسير علي بن أبي طالب إلى البصرة
- ١٣٨ موقف أبي موسى الأشعري
- ١٤٣ نزول أمير المؤمنين علي ذا قار
- ١٤٤ مساعي الإصلاح
- ١٤٧ رؤوس الفتنة يحبطون مساعي الإصلاح
- ١٥٥ المعركة
- ١٧٢ صفة القتال يوم الجمل
- ١٧٢ انزال هودج عائشة
- ١٧٤ مقتل الزبير بن العوام
- ١٧٥ من انهزم يوم الجمل فاختلفى ومضى في البلاد
- ١٧٨ دفن القتلى وتوجه علي عليهم
- ١٧٩ عدد قتلى الجمل
- ١٧٩ دخول علي على عائشة ومعاقبته من أساء إليها
- ١٨١ بيعة أهل البصرة علياً وقسمه ما في بيت المال عليهم
- ١٨١ سيرة علي فيمن قاتل يوم الجمل

١٨٢	خروج عائشة من البصرة إلى مكة
١٨٢	كتابة علي إلى عامله بالكوفة
١٨٣	تجهيز علي عائشة وإرسالها إلى المدينة
١٨٥	المراجع

فهارس الكتاب

١٨٩	فهرس الأعلام
٢٠١	فهرس الأماكن والبلدان
٢٠٤	فهرس الموضوعات

من منشورات «دار النفائس»

١ - إعداد وتحقيق أحمد راتب عرموش :

- موطأ الامام مالك ، رواية يحيى بن يحيى الليثي .
- مسند عبد الله بن عمر ، تخريج أبي أمية الطرسوسي .
- الفتنة ووقعة الجمل ، رواية سيف بن عمر الضبي الأسدي .
- الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف ، ولي الله الدهلوي .
- الحج والعمرة والأدعية المأثورة .

٢ - تحقيق عاصم بهجة البيطار :

- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ، للغزالي .
- الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين ، للقاسمي .

٣ - تحقيق الدكتور احسان حقي :

- تاريخ الدولة العلية العثمانية ، لمحمد فريد .

٤ - إعداد الدكتور محمد حميد الله :

- مجموعة الوثائق السياسية والإدارية للعهد النبوي .

٥ - تأليف أحمد عادل كمال :

- سلسلة استراتيجية الفتوحات الاسلامية .

٦ - تأليف بسام العسلي :

- سلسلة مشاهير قادة الإسلام .
- سلسلة جهاد شعب الجزائر .
- الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية .